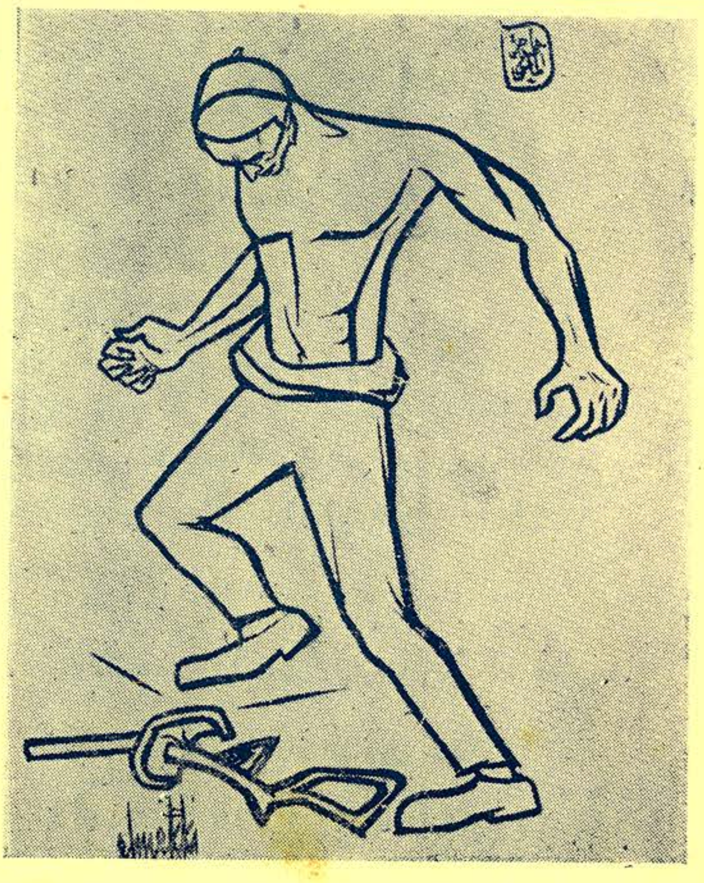
الآداب

مجلّة شهريّة تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت



الحرية أقوى ... للفنان التونسي حاتم المكّي

آذار (مارس) ١٩٥٤ العدد الثالث — السنة الثانية

أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول : بهيج عثمان
رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

Directeur : BAHIJ OSMAN
Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص.ب ١٠٨٥ – تلفون ٢٣/٠١

AL-ĀDĀB : REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. : 23 - 01

العدد الثالث
آذار (مارس) ١٩٥٤
السنة الثانية

No. 3 - Mars 1954
2ème Année

في الحس الوطني

بقلم : عبد الله العلايلي

كانت هناك أزمان شاعرية يلذ للمرء في تناولها ،ان يتنصت الى نغمها المنسجم المطمئن ، وان يستروح عبيرها الفواح ، وان يستسلم لموسيقاها الحانية تحمله الى آفـــاق يعجز عن تصويرها اللسان : حيث لا تعود الدنيا الا انشودة عذبة .. اما حاضرنا الذي نواجهه فليس شيئاً من هذا في قليل او كثير ، فقد جهل الجرسَ والايقاع ولم يشعر بقوة ما فيه من سحر . انه انكشف دفعة واحدة عن الاماني والرغبات التي تجيش في الأرواح القلقة، واطلع بذور الفوضى بمواجهته اخطاء المدنية وجرائمها .

انه فترة شاقة ولكنها دسمة مع ذلك ، تتميز بجمالها الخاص ، ففيها نتتبع مسير الحركات الواسعة النطاق ، ونشهد الكتل من الافكار التي تتفرق لتتجمع من جديد طبقاً لقوانين واصول مستحدثة ، ونرى اخواننا من بني الانسان هنا وهناك يتلمسون في شجاعة سبيلهم نحو المصير المجهول ، دون ان تتثبط لهم همة، او ان يستسلموا لعائق.. نعم ان في عنادهم واستبسالهم لشيئاً من الجلال المستهوي .

ثم هي ، اي هذه الفترة ، تجربة عميقة نبيلة تهيأ لها ان تحمل الكائن من الثبـــات الى الحركة، فبعد ان كانت امنية الاعصر الكلاسيكية اجتناب كل تغيير من شأنه ان يخل بالتوازن النفسي القائم ، اعني هـذا الشيء الذي عبر عنه سنكا بقوله « ان اول دليل على اتزان العقل قدرته على التوقف وانطوائه على نفسه .. وان بؤس الناس مرده الى سبب واحد هو انهم لا يستطيعون الاستقرار في غرفة » .. اقول بعد ان كانت امنية تلك الاعصر الثبات، غدا طابع هذه الفترة الحركة، فقد فسخ الكائن الحاضر تلك الهدنة السعيدة التي كانت تسمح بالنشاط والعمل في هدوء واطمئنان، واطلق عنان الحرية لرغباته ولابسته روح الظعن والارتحال .

على ان هذه الفترة بالنسبة لنا هي لحظة ازمة وتقرير، فامامنا في العالم العربي عدة قرارات حاسمة ، فهناك القرار السياسي الذي يجابهنا جميعاً وعليه يتوقف مصيرنا السياسي، وهناك ايضاً القرار الاجتماعي، واعني كيفية تنظيم الحياة من جديد في مجتمع افضل، وثمت القرار الاقتصادي ومن فوقـه القرار الثقافي الذي يعين نوع الثقافة التي نريد اشاعتها في البلاد وتوطيد صلتها بالثقافـــة الاصيلة ، ولكن قبل كل هذه القرارات يوجد قرار هو شرطها جميعاً، وهذا القرار الاساسي هو حرية الفكر اي حرية الانتقال من الثبات الى الحركة التي تحمل تجربتها الضارية هذه الفترة الهائلة .

وحرية الفكر التي اعنيها تنزل من موضوعي « الحس الوطني » منزلة القاعدة ؛ وهي ليست شيئاً نُمنحه بالفطرة أو بالغـريزة كما هي ليست من مكاسبها، فرجل الفطرة لا يحس بشأنها ولا يشعر بعملها لانه عبد لغرائزه وخرافاته ، عبـــد لخياله الجامح اللامحدود ، ثم هو عبد للطبيعة القاسية المحيطة به .

إن الانسان يكسب حريته كسباً ، وذلك بقدر ما يرث احرارَ الفكر في التاريخ ، اما الكائن الواقع خـارج التراث العقلي الاصيل فلا امل له قط بتلك اللحظة الحرة التي يرى فيها عين الحق فيصبح انساناً متعالياً .. من ابطـال الفكر الحـر الذين جاهدوا وماتوا في سبيل الحقيقـة والحرية نستروح ذلك العبق الأقدس .

إذن فأول ما يجب ان يؤكـَّد عليه في العالم العربي هو فتح جميع معابر الوجود امام العقل بحرية تامة . وان شيئاً من هذا لن يتم إلا إذا تبنينا تراث الحرية ودمجناه في كياننا كي نغدو

معه وحدة لا تتجزأ .

غير ان الفكر المسؤول في العالم العربي يعرف حق المعرفة انه لم ينتصر بعد في معركة حرية الفكر ، بل لم يثر بعد هذه المشكلة كما ينبغي لها ان تثار .. يعرف ان القطرية والغوغائية والنفعية والظلامية والانفصالية ، كل هذه تضغط عليه ضغطاً يكاد يخنقه ولكنه يعرف في الوقت نفسه ان الفكر الحر وحده هو الذي يقدر ان يبني كياننا العتيد على اساس ثابت لا يتزعزع .. نعم ، ما لم يُعترف بهذه الحرية بجميع متضمناتها في نظرتنا الاخيرة الى الاشياء لن نتمكن من ابداع كيان اصيل ، فشرط الكيان حرية البناء وحرية الصيرورة .. اما إذا ظل النشدان الحر مقيداً ، والاعلان الصريح ممنوعاً ، والتغيير الكياني المخلص محرماً ، فستظل انسانيتنا محرومة من أقدس مقوماتها وأكثرها ايجابية وفعلاً .

ومن هذه النقطة ننفذ الى موضوع حسنا الوطني إزاء الاحداث ، وفعله في سياقها ومآلها ، ثم قيمته ، وهل يملك حقاً طاقة التغيير والفعل .

في العلم اليوم بديهية تقطع بانه لا نوعية [1] اجتماعية اليوم. فقد تراخت حواجز المجتمعات وتداعت تداعياً يكون من الخطأ اتخاذها قاعدة لأي وضع اجتماعي .

فإن اتصال اسباب العمران والثقافة والتشابك المصلحي والآلية ، أوجدت كلها وحدات عامة ومكيفات عامة، تخطت الحواجز الوسطية القائمة وتجاهلتها في حركة تموجها السريعة الشاملة .. فنشأ عن هذا حالة تداخل اجتماعي آخذة بالمد ، وغدا كل مجتمع يحتضن مثلاً ما يحتضن المجتمع الآخر .

إذن فالمحيط كعامل اجتماعي في حاضر البشرية ومستقبلها بدون تمييز اصبح لاغياً ، وإن كانت لاتزال له الصفة الجغرافية والسياسية ، وبقاء هذه الصفة لايجعل له عملاً اجتماعياً إلا في قدر واحد محدود .

على ان الرواسب النفسية التي أوقرت الاجيال احمالها بتأثير المحيط ، وكانت تقوم في الكائن بحركات جذرية عنيفة ، قد طفت بتأثير الصفة العقلية الجديدة التي تلبست الجماعات حتى ليخيل للمراقب ان البشرية عامة في دور تحول خالص وتجديد محض .

(١) انظر التفصيل في محاضرتنا « نظرية المحيط » في مجموعة محاضرات الندوة عدد ٩ سنة ١٩٥٠ .

وبذلك اضحت الرواسب طفاوة تعلو سطح النفس وهي دائمة التقلقل والاضطراب ، فلم تعد كما كانت تحرك الكائن وتستبد به ، بل غدت تتحرك تابعة لمحرك الكائن الجديد .. وهذا نذير بان البشرية تتشبث باسباب طور جديد ، وهذه الحميات والازمات في كل مكان دليل على الاستعداد بل الهجرة فعلاً.

وهذه الحقيقة البادية تضعنا وجهاً لوجه امام اعتبارات :

١ — لا نوعية اجتماعية ثابتة .

٢ — لا اثر للمحيط القومي في الاجتماع .

٣ — لا اثر للرواسب النفسية في طور العقل من اطوار البشرية السائرة .

وهذه المنفيات جميعها تنتهي بنا انتهاء عفوياً الى تقرير وحدة الاجتماع كنظرية اولية في كل تنظيم وطني ، ويتفرع عنها ان التيارات التي تتصل بمجتمع ما تؤثر حتى في أي مجتمع آخر .

وحيث ثبت ان الاشتراك الاجتماعي حل محل التنوع الاجتماعي ، وتمددت في كل مجتمع العوامل نفسها في المجتمع الآخر ، فلم يعد بد من تجاوب المجتمعات ، ولم يعد هناك من قوة تحول دون عدوى الفكر وعدوى الشعور على اشدهما شدة ، فبات لزاماً علينا ان نشخص الآفات العامة قبل اعطاء اية فكرة في الوضع الوطني .

ولعل أهم التيارات العامة هي :

١ — صراع الفردية والجماعية .

٢ — الخضوع لأفكار رجعية بفاعلية الانتخاب الصناعي .

صراع الفردية والجماعية

كان احساس الجماعة بشخصيتها ومكوناتها حدثاً مهماً في تاريخ البشر ، يعدل في القيمة احساس الفرد بشخصيته .. وهذان الاحساسان لم يصطلحا بحيث يكون احدهما مقدمة للآخر بل دخلا في صراع لم يزل يجر الكائن الى ميدانه ، ولم تزل معركة التناحر بينهما قائمة .

نعم كان احساس الجماعة بشخصيتها او ظهور هذه الشخصية حدثاً مهماً في تاريخ التطور البشري ، لأنه اقتضى نقض كل الاوضاع القائمة على غير قاعدتها .

والاحساس بشخصية الجماعة جدير بهبة الفكر المزود بها الانسان ، والا فالفرد بقطع النظر ليس خليقاً بهذا الفكر غير المحدود، ومطالبه لا تقتضيه ان يكون لهذا النوع من التعقل .

فالفكر الانساني يفرض الجماعة ان لم تكن، لان اسلوب حركته يتجه الى دائرة اوسع من حدوده الشخصية .

وحيال هذا الصراع تلزمنا وقفة نطرح فيها كل افكار قبلية، ونتجرد معها من اية عوائق ومعطيات سابقة .

فأنا اعتقد بان الفرد يدين بالفكر بـل باحساسه بوجوده وفرديته للجماعة، فنحن نعرف ان انعكاس الصوت يحدده ويوضحه ويضيف الى ذبذباته قدرة لم تكن لها .. فالمقابل المحدث لهذا الانعكاس هو انت الواقع بازاء انا ، ولولا هذا المقابل الجماعي لظل الأنا ضميراً غير ذي دلالة ولا معطيات وغير ذي بواعث تقوده الى نفسه ، الى الحس بوجوده .

واعتقد ايضاً الى كل فكرة عنصرها الاولي المنبهم ما يجيش بـه شعور الجماعة الذي يسبق فكرة الفرد في سرعة الاحساس ويكون ما وقع في دائرة هذا الشعور ملهماً الفرد وموقظاً له على رأي ما .. والا فشعوره مغلق من شدة الانبهام وفكره اكثر اغلاقاً ، وهو انما يرهف شعوراً اذا انغمر في التجمع ، وبذلك يصبح فكراً اكثر يقظة واكثر ابداعاً وخلقاً .

لذلك نرى حيث لا توجد جماعة بالمعنى المفهوم من هذا اللفظ، يضمحل الفكر الفردي وتتطامن مقدراته كما هو المشاهد عند البدائيين والبداة .

وعليه فالتنادي بجعل الفرد نقطة الابتداء وهم سخيف وعقيم .. ان المصلحين في القديم ارادوا اصلاح المجتمع الفردي بالمبدأ الاخلاقي ، وتوسلوا بالاخلاق الى كسر انانية الفرد ، فاقدم مباديء الاخلاق الى احدثها تستهدف هذه الغاية، ولكنها فشلت في مهمتها وبلغ من فشلها حين اتخذت وسيلة لتحطيم الانانيات انها مست بعدواها، فبرزت الانانية في الاخلاق نفسها ، وغدت فضائل المبدأ الاخلاقي مجموعة انانيات فردية لئيمة .

والذي يفيدنا من هذا في تكوين الحس الوطني هو ان نصنعه صنعاً اجتماعياً خالصاً ، وان نتأتى باستخدام التربية الى تحويل فكرة الفرد من الخلود في الاسرة الى الخلود في المجتمع .

الخضوع لافكار رجعية بفاعلية الانتخاب الصناعي

من الخير بادىء ذي بدء ان نتأتى الى شرح ما يعنى بالانتخاب الصناعي في حقل العمل الاجتماعي ، هذا الانتخاب الذي تحكَّم بأثره السيء في اكثر ادوار التاريخ ولا يزال يتحكم به .

الانتخاب الصناعي يعني تغليب فكرة والعمل على سيطرتها بالعنف الخارجي والداخلي ، من قبل افراد او طبقة او هيأة ، فالفكرة التي يحملها المستعمر وتتم لها الغلبة ليست هي الاصلح لأن غلبتها وان تمت بصراع بين فكرين فقد اختارها العنف الخارجي وهو انتخاب صناعي .. والفكرة الاتوقراطية مثلاً ليست هي الاصلح لان غلبتها تمت بالعنف الداخلي من قبل فرد وهو انتخاب صناعي .. والفكرة الارستقراطية ايضاً ليست هي الاصلح لان غلبتها تمت بالعنف من قبل طبقة وهو انتخاب صناعي .

وهذا الانتخاب [1] يدخل في مختلف عمل الفكر البشري كالاخلاق والقانون والتربية الخ ..

نعم انا لا اقول ولا اود ان اقول : ان الانتخاب الطبيعي في الفكرة وما يلابسه ويتصل به ، لو ترك له عمله لانتخب الفكر الاصلح مطلقاً ، فانه اي الانتخاب الطبيعي محكوم بالنشوء ، ولكن لا بد من ان ينتخب دائمـاً الفكرة الاصلح نسبياً في الزمن والموضع والدرجة النشوئية ، اي ينتخب على الدوام الفكرة التي لا رجعية فيها والتي هي الاصلح للكائن في الزمان والمكان .

لا شك في ان الثورة الفرنسية كانت مثالاً لما نعني من تنازع البقاء بين الافكار التي جرت الكائن الى ميدانها ، فنشبت الثورة بين الجماعات التي دخلت اخيراً في طور استسلام للفكرة المختارة بواسطة الانتخاب الطبيعي .. وعلامة الفكرة المنتخبة طبيعياً أن تحدث في النهاية اطمئناناً عاماً اليها ، حتى عند من حاربوها .. على اننا لو فرضنا ان حزب الملك اذ ذاك كان يملك القوة الكافية لاخضاع الشعب الهائج ، وفرض فكرته ولم يتغير النظام ،فان غلبتها تكون قـد تمت بواسطة الانتخاب الصناعي فقط ، ولا يمضي زمن حتى تتأزم الحياة الاجتماعية وتتعقد ثانية في صراع آخر الى ان تتحكم الفكرة المنتخبة طبيعياً .

ويظهر من هذا ان ما نشهد اليوم من تخبـط عنيف في الفكر والأوضاع ولا سيما عندنا ، سينتهي حتماً بتركيز أصلح لا محالة نتيجة للانتخاب الطبيعي المحض .

ان قيمة الحلول ليس في انها تملأ فراغ الفكر وتحفـل بالآراء بل قيمتها في مقدار صلاحيتها واتصالها بالكائن في الزمان والمكان ، كالدواء الذي لا تكون قيمته في انه عقاقير مركبة فقط بل في انه عقاقير صالحة لنوع المرض وصفة الجسد المريض .

وفي العالم من وراء الأشكال والمظاهر رجعية منكرة في الفكر والعمل ، فالفكرة الاستعمارية أو التدخلية ، والتحاجز الروحي بين الشرق والغرب واشباهها من القضايا الكثيـرة تظهر كمثل الطوابع الثابتة . وكان لهذه الرجعية العالميـة المسيطرة على الأفكار العامة آثار اذكت حركة التبلبل الوبيل

(١) انظر التفصيل في كتابنا «دستور العرب القومي» المطبوع سنة ١٩٤٢

وساعدت في قوة التيار ومده المستطيل .

والذي يفيدنا من هذا داخل نطاق الحس الوطني هو ان نطهر المجتمع من كل فكرة رجعية تلقيَ به في اتون حامٍ من التنازع والاختلاف فيما بين فئاته وجماعاته ، وان نبتعد في قوانيننا وأوضاعنا ماشئنا وشاء لنا استعدادنا عن تحكم الانتخاب الصناعي في أي شيء .. وان نطلق الرأي حريته القصوى مع التأكيد على ان حرية الرأي لا تعني ابداً حرية الاختلاف ، فإن المطالبة بحرية من هذا النوع معناها المطالبة بحرية التأخير والعرقلة .

إن الحرية على ما نفهمها هي افساح المجال للاختيار وجعل الاختيار حقيقياً وعملياً ، وليس معناها المقدرة على الاستمرار في الاختيار .. بل نعني ان تأتي عمليتها في الشكل التالي : البحث والجدل الحر ، القرار ، التبديل العملي ..

واخيراً يتحتم علي ان ارسم ملامح حسنا الوطني الخامر اليوم بسمّات سريعة أشبه بضربات ريشة لا تقصد الى التصوير بمقدار ما تقصد الى التعبير :

الشعب كله يحس ويتحدث عن الأوضاع الظالمة ، عن الجوع ، عن الخراب الشامل الذي يأخذ الحياة من شتى مرافقها ، عن هذا الاستبداد الذي تستحكم حلقاته يوماً بعد يوم ، وهو اينما يتلفت حوله يجد اعداءه متربصين به متآمرين عليه ، هؤلاء الاعداء هم الذين عصفوا بماضي الشعب وهم الذين يتهددون مستقبله وينغصون حاضره ويفرطون بأقدس امانيه وأماناته .

الشعب كله مجمع على ضرورة التغيير ، والشعب كله ، كما يبدو ، على استعداد لبذل التضحية من أجل هذا التغيير .. ولكن هذا الاجماع وهذا الاستعداد ، بل وهذا البذل ، ليست تكفي كلها لاحداث التغيير المنشود ولا لسحق الأعداء .

إنما يجب ان نجمع ملايين الساخطين ونرسم لهم الطريق . ان السخط وحده لا يزيل الظلم ، والبذل إن لم يرشده ويوجهه العلم والوعي الصحيح فلا جدوى منه ، بل لا يستبعد ان ينقلب نفعه إلى ضرره . إن كنا نريد أن نزيل الظلام من حياتنا فلنبحث عمن هم أعداء الشعب ولنرسم طريقنا لتخليص مجتمعنا منهم .. مجتمعنا نصف استعماري ونصف إقطاعي ، والجماهير في حربها اليوم تريد ان تعرف دور كل عدو من اعدائها ومدى علاقاته بالاعداء الآخرين .

نعم إن ذلك الحس الوطني السامي المتصاعد ، وإن ذلك الوعي الشعبي المترابي ، الذي أحس الآن بانه يتجسد في طلة تباركنا ، ثم أحس به يتنفض ، وهل عرفت الزلزال الذي هو مخاض الارض لتضع هنالك البركان ، فانه حكايته .. أقول ان الحس الوطني الذي ينتظم جماهيرنا هنا وهناك يقرر في قطع بان الاستعمار اصيب بالجنون : يوم أسقط من حسابه كل قيمة إلا للضراوة الوحشية ! ثم هو يقرر في قطعٍ كذلك ان السياسة العربية أصيبت بالجنون ايضاً : يوم ذهبت بكل اقدارها دائرة في تيار عجلته ، ويوم وهبت نفسها للشيطان . ألا من يخلص السياسة العربية من جنون المستعمر ، أو من يخلص الشعوب من جنون هذه السياسة ؟

الاستعمار ومشاريع الاستعمار نحن نبرأ منها ، وهذا أمر مفروغ منه ، وما أشك في ان الطريق التي تتخذها الينا تهبط من فوق الى تحت ، فلنبدأ إذن من رقبات الجسور ، من الدروب ، من نقاط الارتكاز ، ليكون عملنا مقبولاً في محراب الوطن لا مدخولاً بموهاً ولا معللاً بالجبن الرعديد ... وقديماً قيل : درهم وقاية خير من قنطار علاج ... نعم البراءة من مؤسسات الاستعمار في الداخل هي البراءة .

ينبغي الانلتمس الجد من جامعة وحكومات ومن منظمات ولجان ، ونحن ان فعلنا فلن نصيب الا الجهد العابث .. خير لابصارنا ان لا تتعلق تلك الكوى الرسمية التي لا يلتمس منها النور ، ولا تهبّ الا بريح عفنة إن لم تخنق فلا اقل من ان تمس بالزكام .

ان ما نفتقده على الحقيقة ، ليس خارج اوعيتنا المقدسة ، وعبثاً نفتش عنه خارجها ، انه في تصميمنا حينما نفرغه عزماً في العمل .

انهم هناك في الدواوين الرسمية ابناء سدة عالية ورفرف ارفع .. وابناء السدة اذا بنوا فإنما يبنون بمهارة من فوق ، ويقيمون الاهرام على رأسها لا على القاعدة ، ولكن هيهات لها ان تتوازن فلا تسقط !

اما نحن المشدودين الى الارض ، فعذرنا واضح اذا لم نحسن الا اقامة البيت على اسسه ، ورفع البناء على قواعده ، اي كما هدى الله وقدر المنطق وعلّم الفن .

ولعل من تحصيل الحاصل ، القول انه لا يعنينا ان نعرف كيف يفكرون هناك ، فلهم لجانهم ومنظماتهم ولهم احابيلهم وحبائلهم ، بمقدار ما يعنينا ان نتجرد للعمل شاعرين بامانة مزدوجة : بعضها تراث الاجداد ، وبعضها حق الحياة لنا وللاحفاد .

عبد الله العلايلي

دراسات في أدبنا الحديث

سعيد تقي الدين الدراماتي

بقلم مارون عبود

افتتح سعيد مقدمة «نخب العدو» بما يلي : « انني ادفع الى المسرح العربي برائعة يفتخر بها أي دراماتي كان ، في أي لغة وأي زمان ، ولئن دار في خلدك انه قد تدحرجت من فمي كلمة ادعاء ضخمة ، فأنا أدعوك إلى المقابلة ، فأت بأية رائعة افرنجية وقابلها بنخب العدو ، حادثة ومواقف ونكات ، وأشخاصاً ومفاجآت، وحركة وتضاداً ، وشبكة فنية وسلاسة ، تجد نخب العدو تضاهي أجملهن في كل شيء . وقد تكون دون بعضهن في روعة المأزق ولكني واثق من ان نهايتها هي اجمل نهاية روايه تعرفها بدون استثناء وعلى الاطلاق » .

انتهى التبجح.

قد لا تصدق ما تقرأ . بلى صدق . فما نقلته لك ليس من مخطوطات وعاديات راس شمرا وحجر رشيد . إنه من كتاب تستطيع ان تتناوله بسهولة. قد يكون سعيد مبالغاً فيما كتب ولكنه قادر على عمل كوكتيل عجيب من الجد والهزل حتى لا تدري إن كان يهزل او يجد . ولكنه كما قال موليير — الذي تبنى سعيد مواقف شتى من مسرحياته — : لا هزل بدون حقيقة . فسعيد في اسلوبه وسرده كلاعب السيف والترس «الحكم» رشاقة وخفة يد وحركة دائمة ، فما عليك الا ان تشد حذاءك جيداً وتشمّر وتلحقه .

قد يكون سعيد مبالغاً ولكنه خير من ألف مسرحيات ناجحة ، بل هو الدراماتي الاول عندنا في هذه الفترة ، وإن شئت فكما كتب على قفا «غابة الكافور» والكلام للشاعر نزار قباني :

« هو إله صغير سقط من شبابيك نجمة متلألئة فشربته ارض لبنان » .

لم تدلنا كلمة « صغير » على حجم هذا الاله ، وعلى كل، فأقل جرم إلهي يكون عظيما جداً بالنسبة الينا نحن الترابيين . إذن فلأقل « النومن » قبل ان ابدأ عملي :

اؤمن بسعيد تقي الدين، الخالق الضابط لكل ما يرى وما لا يرى الخ ... أجل انا اؤمن بعبقرية سعيد وبمخيلته الوثابة ، وبعبارته المصنوعة حديثاً ، واؤيد رأيه في نفسه ، فهو دراماتيّنا في هذه الفترة ، ولو كان عندنا مسرح لكان يجلس سعيد في لوج الشرف وينظر الى الجماهير من علٍ ويقول للنظارة: فكروا يا ذبان ، افهموا الفن .

وحق ربنا ، يا سعيد ، أنا في هذا جاد لا امزح ، اما إله صغير فهذا هراء . إن « لولا المحامي » — التي تزدريها انت — و « نخب العدو » و « حفنة ريح » تحف نادرة ، ومع هذا لا بد من النقد . فلنفرض ان هذا العبقري إله لا نصف إله ، فلا بد له من نقد . فالله جل جلاله انتقد ، ولا يزال ينقد ، وأول ثورة كانت عليه : « خلقتني من نار وخلقته من طين » .

قد يقول القارىء انت لم تعودنا هذا اللف والدوران ، فما بالك اليوم تغيّر عادتك ولا تقول كلمتك وتمشي؟! فالى هذا القارىء اقول : يجب قبل كل حساب ، ان نصفّي الحساب ، حساب الناقد . فسعيد ليس له عدو على الارض الا الناقد . اما في العالم الذي سقط منه الينا فهذا علمه عند نزار قباني ...



سعيد تقي الدين

نرى سعيد من جهة يزدري الناقد ويحتقر ما يقول « فالنقد — في زعمه — فن زائف ومهنة طفيلية ، النقد يوهم صاحبه، ولو ضمناً، بالتفوق على المنقود . انا انقدك إذاً انا افضل منك ... زد على ذلك ان النقد يضع بين يدي الاديب او المتأدب موضوعاً جاهزاً فلا حاجة الى حك الرأس والتنقيب عن موضوع . كذلك ليس من انتاج مهما عظم الا وفيه نواح ضعيفة يسهل اكتشافها ، فتسري نشوة الظفر في عروق الناقد مكتشفها . كذلك التطرف

يولد التطرف ، والمديح بلا وزن سبب النقد الاعمى » اه .

ترى من اي وزن هو قول نزار قباني الذي زُينت به قفا غابة الكافور ؟

ذاك رأي سعيد في الناقد ، كما اثبته في الصفحة الثامنة من نخب العدو ، واما ما في ذيل « حفنة ريح » فيقول سعيد حين قرأ نقد الدكتور سهيل ادريس لنخب العدو : « شعرت بقربى تربطني بك بعد قراءة نقدك الرائع في جريدة «بيروت» لنخب العدو ، ولو انه اعطي لي قبل اليوم ان اطلع على مثل هذا النقد لترددت في قول « النقد فن زائف ومهنة طفيلية » .

اسمح لي يا سعيد ان اعود بك إلى البدء ، إلى ما قبل الخليقة عندما بدأ الله في تأليف كتابه الاعظم ، اي تكوين الكون ، قال ليكن نور فكان النور ، ورأى ان النور حسن ومضى في الخلق والتساؤل فيرى ان ما خلقه حسن حتى اليوم الاخير . أظن ان هذا التساؤل يدلك كما يدلني على انه تعالى كان ينظر إلى عمله كناقد حتى إذا رآه حسناً ، راح يتم تأليف كتاب الخلق المؤلف من ستة أقسام . وفي القسم الاخير خلق الانسان ، ولو لم يكن الله ، جل جلاله ، ناقداً لما وجه إلى اعماله هذه النظرة .

فالناقد الاول كان الله ، وهو في الوقت نفسه المؤلف الاعظم وان لم يؤلف مثل نخب العدو . وانه اطرى عمله كما اطريت انت مسرحيتك ... ولو لم يكن الله ناقداً ملهماً لما عرف ولا قال ان ما خلقه حسن .

قلتَ إن الناقد يجد موضوعاً جاهزاً ، وانا اقول لك : نعم ، ولكن المواضيع جاهزة كلها ، والذكي مثلك من يفصلها ويضعها في واجهة دكانه ، ثم يبيعها كأنها « استعمال » .

النقد فن يا سعيد . اما انت فكبطل صديقك موليير تسب الناقد وانت ذاك . ففي جميع مسرحياتك : لولا المحامي ، ونخب العدو ، وحفنة ريح ، انت ناقد ، وسأريك . اما الفرق ما بيننا فهو انك تفتش عن بطلك بين الناس ، وانا افتش عنه بين الكتب ... اظنك قرأت مسرحية موليير «البورجوازي» استغرب ذاك البورجوازي جداً حين قال له معلم الفلسفة ان النثر هو ما يحكيه ، فقال لمعلمه : إذن انا اتكلم النثر منذ اربعين عاماً دون ان اعرف ذلك ! كثّر الله خيرك لانك خبرتني ذلك » .

فهل تستغرب انت ايضاً إذا قلت لك انك ناقد في كل مسرحياتك ، وكثيراً ما تكون ناقداً ادبياً ثم لا تخرج من الجو الادبي إلا لتكون ناقداً من نوع آخر ، فأنت إذن ناقد مهما اغرتك انانيتك وحملتك على ازدراء النقد .

إن الناقد هو الذي يدل الناس على مواهب المؤلف ، كما سأدل على مواهبك ، وأنت ناقد يا بطل موليير ، وناقد لا يرحم . يتكلم من الاعالي وعلينا ان نضع على وجوهنا برقعاً ، كما كان يفعل موسى حين يتحدث اليه ربه ... وإذا لم تصدقني فراجع نقدك لقصص صديقك الذي اكتشفته ، الدكتور سهيل ادريس . لقد تشكيت في مقدمة « نخب العدو » كثرة المديح المتفشي عندنا ، وكذلك تألمت من النقد ، فحيرتني والله . واخيراً اهتديت إلى حل لهذه المعضلة ، وهو ان نمدح حيث يجب المدح ونقدح حيث نجد مدخلاً (للخرّبرّ) .

فلنبدأ عملنا .

المسرح عندنا صغير السن حديث الميلاد. نشأت مسرحياتنا الاولى لا هي عامية اللهجة ولا هي فصيحة ، ثم صارت فصيحة حتى التقعّر ، في أواخر القرن التاسع عشر . شعرية مع عبدالله البستاني ، وشعرية نثرية مع اديب اسحق ، وأخيراً مع نجيب الحداد . كانت مواضيعها مختلفة ولكنها كلها تمثل الطبقات العليا أو ما اشبهها من حوادث قديمة ، إلى ان جاء شوقي ونظمها شعراً رائعاً في مواضيع تاريخية ادبية ، ونهض فرح انطون بالمسرحية فجعلها شعبية استقى مواضيعها من الحياة العامة . وقفز سعيد تقي الدين من مقعد المدرسة إلى المسرح ، وهو ذاك العتليت بلغته ، والعتعيت بلغتنا العامية ، فكانت قفزة موفقة جداً ، وحسبك الدليل على ذاك التوفيق ان يسمع مؤلفها سعيد ، في مخزن امين ابي ياغي ، كلمة : اهلاً بالنابغة ، من امين الريحاني ، فنام سعيد على اكليل الغار منذ عام ١٩٢٤ ، ولم يستيقظ من تلك النومة الذهبية الاحلام إلا في جزائر الفيليبين ، الشرق الاقصى عام ١٩٣٧ . وليسمح لي ان احرّف ما قال : ناخ نوخة جمل ، وقام قومة سبع . فمسرحيتنا طليانية فرنسية مع أبي المسرح اللبناني مارون النقاش ، وفرنسية انكليزية مع الذين جاؤوا بعده .

كانت تعتمد اولاً على البيان الاصطناعي لان الذين ترجموا او ألفوا في هذا الفن كانوا يكتبونها للقارىء ولا يفكرون المسرح ، ولذلك جاءت شخوصهم جامدة لا تدل على انها بشر تحيا وتتكلم كما نحيا ونتكلم ، وتروح وتجيء كما نجيء ونروح . كان مؤلفوها متزمتين حتى لا ترى على المسرح وجهاً ضاحكا

هازلاً ، واذا كان لا بد من الضحك او الاضحاك ألفوا فصولاً مضحكة تمثل بين الفصول . اما الهزل والدعابة والنقد والهجاء الاجتماعي فلا نكون مبالغين اذا قلنا ان سعيد تقي الدين هو الذي اشاعها في المسرحية ، فالهزل يسيطر حتى على درامته ، فكأن ليس بين ابطاله واحد يحبه . او كأنه لم يخلق بطلاً ، او لم يستعر من المجتمع بطلاً ، الا ليضحك من الناس او يضحك الناس منه . واذا كانت ابطال مهازله قومية بلدية فلا يعني هذا انه خلقها ، ولا انه استعارها من روائي آخر ، (كمسطرة) يعمل مثلها ، بل انها نماذج عايشها ورآها بعيني رأسه — كما عبروا — . فهو في لولا المحامي مثله في نخب العدو وحفنة ريح ، يمثل اشخاصاً عايشها وآكلها وشاربها وتأمل حركاتها وسكناتها ، وراح يخلق منها قصة بعدما انطقها بما يلائمها من الفاظ وتعابير تضحك المفلس . تعابير يتعمدها ويعتمد عليها في اخراج روايته ، وهو لم يبدعها كلها ، ولكنه جلاها وصقلها جميعاً حتى لاءمت مذهبه الفني . وهذه العبارات هي من صميم حياة ابطاله فكأنهم هم قالوها حقاً . ليست عبارة مسرحيات سعيد من المصنوعات البيانية ، وهذا سر نجاحها ، ففي فم كل شخص كلمات وعبارات لا تصدر الا عنه . اذا لم ترض ، احياناً ، هذه العبارات البيانية فلسعيد بيان خاص به ، وليدق البيانيون رأسهم بالحيط ...

تدل مسرحيات سعيد على عين لاقطة ، كعدسة المصور . ولاعجب اذا ظهرت ابطاله بهذا الوضوح فهوقد تأملهم كثيراً ، وربما ان بينهم من حمله مرضعاً وماشاه صبياً ، وهو لم ينقطع عنهم الا حين شعر بارستقراطيته .

انه يعوّل كثيراً على استحسان الجماهير وضحكهم وتصفيقهم ، ومن كان كذلك ، عليه ان يفتش عن مثل الذي يفتش عنه سعيد . ومن هنا جاءت حملات سعيد الغواشم على الناقد حتى عده طفيلياً يعيش على الهامش . يجد موضوعه جاهزاً فيتهالك عليه كجوعان لم ير الخبز منذ اسبوع ، وعطشان لخمس .

ان ضحك الجماهير وتصفيق النظارة هو عند سعيد الفوز الاعظم ، اما الخاصة ففي فمهم التراب . ليقولوا ما شاؤوا . اما صفق الجمهور وضحك ؟... ولهذا يتعمد العبارة الطريفة والنكتة البارعة . اما قال سعيد للمخرج : ازرع بين النظارة من يصفقون ، وهل في الدنيا كاتب غير سعيد يصرح بهذا ؟ وان كان الفن الدرامي هو في اثارة الضحك واشاعة الاستحسان ، فالخراج الاصطناعي لا يعمله الا نطس الاطباء .

اما انشاؤه فهو معمول في مسرحياته ليحكي لا ليقرأ ، وسنعود الى هذا في الكلام التفصيلي على مسرحياته وقصصه .

يحاول سعيد ان يقول الحقيقة دائماً ولو كانت تمس اقرب الناس اليه بل ذاته ، وهو دائماً يخرج من هزله حقيقة عملاً بقول موليير ايضاً : لا حقيقة بدون هزل ، ولا هزل بدون حقيقة . انه كالصيدلي الذي يعطيك ملبسة فيها الدواء المر ، ويموه سماجة الطعم بالحلاوة . السر في ان تقبلها وتزدردها والله الشافي فيما بعد .

يريد ان يضحك الجمهور ويهذّب اخلاقهم ، وهذا ما يعمله كل من كانت له طباع سعيد وقريحة سعيد ومواهب سعيد ، واطلاعه الواسع على الروائع العالمية التي يريد من كل قلبه ان يعمل مثلها وقد عمل . اما هذا الهزل في الادعاء فمن بضاعة سعيد . انه مؤمن بما يقول فيورده لك بهذا القالب المضحك حتى اذا لم تصدقه عده هزلاً وكفى الله المؤمنين القتال .

وسعيد يخرج مقاله احياناً بشكل تمثيلي ، وهذا يدلك على انه خلق كاتباً مسرحياً . اقرأ حديثه مع المخرج . بل سيرة حياته تر كيف مثلها تمثيلاً لا ينقصه الا المسرح والمخرج .

اما المسرح فيعنيه منه ان يكون سهل الوجود ، فبدلاً من الموبيليا لا بأس بالسحارة ، لانه يهدف الى ان يكون كل شيء طبيعياً .

ليس سعيد من ذوي الانبساط والمرح وليس من ذوي الضحكة الداوية ، ومواضيع مسرحياته ليست كذلك ايضاً ، فمن اين ينبثق اذاً هذا الضحك؟ في الغالب يكون التعبير مصدر ذلك ، او التكوين الذي خلقه لاشخاصه ، او الموقف الذي يراه صاحبه جدياً كل الجد بينما الآخرون يهزأون به ويضحكون من عقل صاحبه . ان تكبير الاشياء الهزيلة الحقيرة هو عنصر هام عنده بل هو وسيلته الى ابراز هؤلاء الاشخاص ، عرفهم صغيراً وابتعد عنهم كبيراً ، ولكن صورتهم كانت قد انطبعت في مخيلته ، وهو يستعيدها بتفاصيلها ساعة يشاء ، ويؤلف منها مشهده متى اراد فيأتي كل شيء طبق الاصل .

ان مشيخته جعلته يستهزيء بهم ، فيجعلهم يقتتلون على على لا شيء تقريباً ، على (عصا النوطرة) . صحيح ان هذا امر واقعي ولكن المؤلف يحتقر تلك الحفنة من البشر . وحسبك استهزاءً بهم ، عند عقد الصلح ، تقديم العصا الى بيت الحمصي كأنها صولجان ملك ...

لهيب رماد

•

أيُّ مجدٍ هــذا الرماديُّ يزهو
كلواءٍ لفاتحٍ منصورِ !
لا من الشيب لونه ـ خسيء الشيب ـ
ولا من ضبــاب فجر مَطـير
لا ، ولا من نثار فضّةِ قمراءَ ـ
بجـوٍّ مطيّب مسحـور
هو شيءٌ عــن جمر قلبي ذرّته
نفحةٌ من هوًى رغيــدٍ قرير

نفحةٌ من هوىً عــلى جمر قلبي
عبرتْ فهو أيُّ وهـجٍ ونور !

٭

جرّديه هــذا الرماديَّ نسجــاً
من رؤى خاطري ولطف الأثير
وائذني ان تُراحَ عيني عليـه
راحةَ الطفل في المهــاد الوثير
واخبئي تحته عوالم من سحرٍ ـ
ودنيــاً من فتنــةٍ وعطور
انا حسبي مـن السنى والعبــير
بخيــالي لمحُ السنى والعبيرِ !

رئيف خوري

اما الرواية الثانية فاسمها يدل على تقدير المؤلف لابطالها : حفنة ريح ... ازدراء واي ازدراء . جلّ هـذه المسرحيات نقدية، فلا يفلت من قلم المؤلف شيء ولا يسلم من لسانه احد... فهو ينتقد حتى اقرب الناس اليه، ويجعله مثلاً لبطل من ابطاله.

ينتحل سعيد كلام ومشاهد غيره كما في ختـام رواية لولا المحامي حيث يشن الغارة على موليير . فوحدة الحال بينه وبين موليير تبرىء الموقف ، فدستور سعيد الفني دستور موليري: قاعدة القواعد هي ان ترضي وتعجب .

كل حياة سعيد قفز وجمز، فمن مدرسة مارونية اكليريكية ارستقراطية محافظة، الى جامعة اميركية ديمقراطية لا تعبأ بالتقاليد الموروثة ، ومن لبنان بــل من الشوف الدرزي المحافظ الى المهجر . من لبنان ارض الثرثرة والانطواء على الذات الى ارض العمل حيث لا ذات الا للدرهم والدينار، ولا حديث غير حديث الجمع والقسمة والطرح والضرب .

شاب نشأ في بيت عتيق ، زرع في رأسه ابوه محبة هذا البيت ودعمه بكل ما لديه من قوى ، فراح يفتش عن الدعامة المثلى ـ المال ـ وهناك رأى هموم الناس الكبرى، فراح يضحك في مسرحياته مـن هموم القرية الصغرى . وانتزع من اختباراته العالمية فوائد شتى، وصور ابطال لمسّها الى الساعة التي استيقظت فيها قريحته الهاجعة على اكليل الغار ، فكانت مواد مسرحياته واقاصيصه .

تنظر اليه فتحسبه جباراً عنيداً ، ولكنه يبدو لي مما قرأت له انه رجل طيب العنصر، وفيّ اذا احب ، دمث الاخلاق على تمام ألواحه وعرض كتفيه . فذاك الهيكل الضخم الذي يبديه كمصارع او ملاكم من الطراز الاول فيـه نفس طيبة تنم عنها تلك التعابير التي يخلقها وان لم تكن من العـدم فله فيها فضل التطبيق . الرجل ملهم بدون شك .

سعيد في نظر بعضهم يتعمد النكتة تعمداً ، اما انا فاري ان التعمد هو عمل ارادي لا بد منه لكل من يريد ان لا يكون مقلداً . يقول هؤلاء انه متطرف في هذا، وانا اقول لهم اكثر من هذا ، اي ان سعيد اذا لم يوفق الى مثل هذه العبارات في مسرحياته واقاصيصه ومقالاته يمزق اوراقه . فغايته الاولى هي ان يستولي على الجماهير ويجرفهم في التيار الذي يصطنعه لجرهم الى حيث يشاء .

مسرحيات سعيد تصوير للحقائق بشكل مضحك، اما عقدة (نخب العدو) التي كلفته اجتراح العجائب كالمسيح ، فهذه في نظري ليست بالعنصر الهام في مسرحياته، لان دراماته ومهازله تقوم على نماذجه وشخوصه المعمولة على (قالب استعمال) لا جاهز . بل على ذاك الحوار الرائع .

هذا هو المجمل ، اما المفصل ففي الآتي ان شاء الله .

مارون عبود

مولد شعب ليبيا

ظمئتْ عيونُك للصباحْ .. فجن في فمك النواحْ .!
ومضيتَ تنتهب الفضاء .. وأنت مخضوب الجناح
يأيهـا النسر المحلّق فـوق آفـاق الرياح
يأيها القـدر المدمدم ملء أسمـاع البطـاح
يأيها الشعب الذي .. حطم القيود .. فما استراح
ظمئتْ عيونك للصباح .. فأين يا شعبي الصباح ؟!

★

وسمعتُ صوتك في المساءْ فذاب في روحي المساءْ
وتوشحَتْ نفسي الضياء فما رأيتك في الضيـاء
ومددتُ سمعي للفضـاء فراعني صمت الفضـاء
مات النداء .. وضاع في ليل الدهور .. صدى النداء
فسمعت لحنك دافقـاً في الكون مجروح الغناء
وجرى حنينك في فمي نغماً تخضّب بالدمـاء
فغمستُ في دمك الطهور .. شفاه أشواقي الظماء ..!

★

ومشيتُ احتضن الجوع بقلبيَ الدامي الولوعْ
وأمدّ أجنحتي الرحيمة فـوق نيران الشموع
وبهجتي اللهب الحزين .. ومـلء اجفاني الدموع
وهتاف شعبي المستذل .. وصيحة البؤس الخنوع
رفّت بأحنائي طيوراً .. جفّ في فمها الربيع ..!!
ورأيت شعبي في دروب التيـه .. يحلم بالرجوع
فصرختُ .. يا شعبي الكبير : ألم يعذّبك الخضوع ؟!
أتعود للماضي الشقيّ .. تعود يا شعبي الوديعْ :
قيثارةً تبـكي .. لتطرب سيّـد القصر المنيع
أتعود زيتـاً تستضيء بـه قناديل الصقيع ؟!
فتدفقت حولي مواكبُه .. الغريقـة في الدموع
تمْضي لغايتهـا .. وتجتاز المسالك في خشوع ..!
فمشيت أحتضن الجوع لكي تباركني الجـوع ..

★

وسمعت صوتي .. صوتَ نفسي زاخراً فوق الوجود
فوقفت أسمع من بعيد .. صوت نفسي من بعيد :
حطّمْ قيودك .. وانتفِضْ فالشعب لا يخشى القيود
أقسمت بالليـل الجهوم .. وبالعواصف .. والرعود
أقسمت بالفجر المذهّب .. خلف اجفـان العبيد
أقسمت أنك لن تحيدْ .. ولن تموت .. ولن تبيد
ستظـلُّ تهزأ بالفنـاء .. تظـلُّ تطمح للخلود
سيظلّ يا شعبي نشيدك .. راقصـاً ملء الوجود !!

★

وتوشحتْ نفسي الحنين فأورقتْ خلف الجفون
وهتفتُ بالنغم الالهـي المنوّر في السكون :
يأيها الغرباء .. في وادي المخاوف والظنـونْ
يأيها المتعانقون .. وأيهـا المتخـاصمون ..!
يأيها المستضعفون .. وأيهـا المتجـبّرون ..!
يأيها المستعبـدون .. وراء قضبـان السجون
الخائفون من العواصف .. من تهاويل المنـون
لا تذكروا الألم الحـزينْ .. ولا تضجّوا بالحنين
من عمق أعماق الحيـاة المستكنّة .. تبعثون
مثل البذور الغامضات .. ستنبتُون .. وتورقـون
وستضحكون .. وتفرحونْ
عنـد الصباح ستفرحون
من قُنّة الجبـل الأشمّ .. من التـلال ستهبطون
مثـل الطيـور الحائمات عـلى الميـاه ترفرفون
لتعانقوا قلب الحياة .. وروعـة الأبـد الدفين ..!

★

من حمرة الشفق الجريح تسيل انوار الصبـاح ..!
ومن اللهيب الدافق المكنـون في صـدر الرياح
ومن المغاور والكهوف .. من الروابي والبطـاح
من جـدول الدمع الحبيس .. ومن اباريق الجراح
من صرخـة الجسد الممزّق تحت انيـاب السلاح
من أدمع الأطفـال مذعورين من صوت النـواحْ

★

يأيهـا المستضعفون : ستولدون مـع الصباح ..!

القاهرة **محمد فوزي العنتيل**

من « رابطة النهر الخالد »

ثلاثة رجال إزاء العبث

نيتشه
جيد
كامو

بقلم : رينه حبشي

تحتلّ فكرة « العبث » Absurde مركزاً هاماً في التجربة الفلسفية لهذا العصر . من أجل ذلك يظلّ ما يقال حولها قليلاً جداً ، وهي تحتاج الى دراسة واسعة عميقة تنفذ الى أعماق الحدس الرئيسي للوجدان الحديث ، في سبيل اكتشاف معنى الزمن الذي نعيشه . فالواقع ان ريحاً من « العدم » تعصف بطمأنينتنا كلها وتهزّ يقيننا . أيكون للكون معنىً تتجه اليه كل الاحداث ، وهل تنتهي النقائض جميعها الى انسجام أخير ، وهل يفضي الكون الى الوجود ام الى العدم ؟

على ان لكلمة العبث ، وفق تفكير كل فيلسوف ، مسمّيات عدّة ، تجعل معانيها مختلفة متباينة المدى . ولن اتحدث هنا الا عن مفاهيم نيتشه وجيد ، وهي متوازية تقريباً ، وامّيزها عن عن مفاهيم كامو الذي أحسبه في الطريق الى حلّ القضية التي تركها نيتشه وجيد من غير حل .

تجارب العبث الثلاث

اظنّ ان بوسعنا القول إن الشعور بعدم لزوم الحياة Contingence هو الذي يدفع الى الاعتقاد ببعض الوان العبث . نحن كائنون وقد كان بالامكان الاّ نكون . كان باسكال يقول « ليس من سبب معقول لأن اكون هنا بدلاً من ان اكون هناك » . ولماذا نكون شيئاً ما بدلاً من ان نكون لا شيء ؟ وهل يكون للأحداث سبب يستدعيها ويَصِلُها فيما بينها ، سببٌ استطيع ان ادركه بعقلي ؟

إن عدم اللزوم هذا هو ما يدعوه هيدغر Heidegger التصنّع او التحكّم Facticité . كل شيء قد تمّ قبل ان آتي ، فانا منخرط ، من غير ان ادري ، في حبكة لم أُردْها وليس بامكاني ان اسيطر عليها . وإن شأني في ذلك شأن حصاة لفظها الموج فجأة الى الرمل . اننا مقذوفون الى ساحل الوجود من غير ان نفقه لماذا ، وهذا ما يُحدث في نفوسنا شعور الوحدة والترك والوحشة Déréliction .

اما عند سارتر فان عدم اللزوم هذا يُعبّر عنه بشعور من « الزيادة » على الوجود De trop . وكلنا يعرف ذلك النصّ المشهور في قصته « الغثيان » حيث يفقد وجودُ الاشياء ، وجودُ جذور شجرة مثلاً ، اسمه واستعماله ولونه ويصبح كاسحاً طاغياً . إن الغثيان يتعدّى على وجود سارتر ؛ وإن هذا المد من الوجود الذي ليس له اسمٌ ولا معنى ، هو كشفٌ يوحي له بالغثيان . « إن كل موجود يولد من غير سبب ، ويعيش بدافع من ضعف ، ويموت بالمصادفة » . ذلك ما يقوله في « الوجود والعدم » . إن وجود الانسان نقصٌ في الكينونة ، إلتواءٌ يطلع العدم . إن الانسان هوًى ، لا جدوى فيه ، وهو بالاضافة الى ذلك كله يموت . إن كل شيء « زائد » .

وينبغي ان نلاحظ ان افتعال الوجود هذا عند هايدغر ، وهذه « الزيادة » عند سارتر ، هما تجربتان عاناهما الوعي . فليس العالم عبثاً الاّ في هذا الحوار مع وعي يحاول ان يجد له معنى . وعلى ذلك ، فان العبث يفترض مجابهة الانسان بالعالم ، وانما يتم كشف العبث في نفس الانسان .

من اجل هذا ، اعتقد ان كامو ، الذي ليس هو فيلسوفاً ميتافيزيقياً قبل كل شيء (ولكنه اخلاقي يبحث عن فلسفته الميتافيزيقية كما يبدو من دراسته « الانسان المتمرد ») قد عرّف بالرغم من كل شيء « حقيقة العبث » باوفر حظ من الوضوح . إنه يستخرج ، بطريقة قابلة للفهم ، ما ليس قابلاً للفهم في تجارب سارتر وهايدغر . ونحن نجد تحليله للعبث شديد الوضوح في « خرافة سيزيف » .

وهكذا يبدو لي ان ظهور العبث يقتضي وجود اثنين : العالم وانا . العالم الذي يمكن ان يكون جسمي ، كما يمكن ان يكون حياتي واحوالها ، ووعي الذي يدرك هذا العالم الخارجي

القى الاستاذ رينه حبشي مؤسس الندوة الفلسفية في القاهرة ومديرها سلسلة محاضرات باللغة الفرنسية في « الندوة اللبنانية » بعنوان « قلق الضمير الحديث وآماله » . وكان من ابرز محاضراته تلك التي استعرض فيها موقف ثلاثة من اكبر مفكري العصور الحديثة من مشكلة « العبث » والتي يسرّ « الآداب » ان تنقلها الى قرائها فيما يلي .

او الداخلي ؛ وبين الاثنين قصورٌ يمنـــع وعي من ان يفهم ويتمثّل .إن العالم الذي انا منخرط فيه ، ومتعلق به ، يعاندني كنواة « لا تمرّ » . إن العبث عقدة لا يمكن حلها ، ولا حيلة لي فيها . إنه ينتصب حائلاً ازاء فهمي الذي لا يخترقه بنوره ، وهو يُحاصر حياتي التي لا تستطيع ان تشخّصه او تجسّمه . إن العبث هو حضورُ غريبٍ في العالم الذي حُكم عليّ ان أسكنه .

الى هذه الصورة الموجزة يمكن ان نردّ حدْس هايدغر . فقبل كل شيء ، إن افتعال العالم الذي يبعث فيّ الشعور باني «ملقىً هناك »ناتجٌ عن ان العالم قد جاء قبلي ،لا تاريخياً فحسب، وإنما إنسانياً وطبائعياً . إن اثراً ما اصدره ، يأتي مني حتماً ، فأنا واعٍ جريَ النور المدرَك الذي يجتازه ؛ اما هنا ، فقد وُلدتُ من عالم لا انجح في إدراكه ، عالم يتكوّن خفيةً عني ويستغني عني . ومثل ذلك « غثيان » سارتر الذي ينتج عن هذا الحوار المستحيل الذي هو العبث بين العالم وبيني .

ولذلك أعتقد ان كامو قد أصاب في نظرته ، وتوصل الى اكتشاف عصَب العبث إذ عرّفه كعقدة لا يمكن حلها يعانيها الانسان في أعماق الانسان، ولكن بمناسبة حضور عالم يقاومه.

وبوسعنا الآن ان نوسّع تجربة العبث وان نجعلها مبتذلة . فعبثٌ هي الحياة الشخصية التي تُتنكَر فيها الحرية بفعل الغريزة، وعبثٌ هما الصداقة والحب اللذان يريدان ان يفتحـــا ملتجأً تنغلق عليه مع ذلك قلعة انانياتنا وممتلكاتنا المتوحدة . وعبث هي ثروات العالم التي تدعو الناس الى التعاون فيما هي تحجز كل امة في مجالات الرعب من القنبلة الذرية . وعبث هو هـــذا الكون الذي كان ينبغي ان يكون مألوفاً لدينا كالوطن والذي تجمّد في الواقع ارضاً لغير ما انسان . إن الانسان لا ينجح هو نفسه في ان يحمي نفسه . وقد قال باسكال إن الانسان غير قادر على ان يفهم نفسه . إن هنـاك انغلاقاً ينفينا عن أنفسنا ، وعبثاً نحاول ان ندرك أنفسنا ، وان نجد ارض محتدنا . اننا محجوزون خارج انفسنا . اننا نفوّت انفسنا ابداً .

تحليل العبث : الماهية والوجود

قبل ان ندرس موقف جيد ونيتشه من عداوة العالم هذه ، يحسن بنا ان نتعمـــق وعي العبث لنردّه ، إذا امكن ، الى أبسط عناصره ، أو الى أوفر هذه العناصر قابليةً للفهم. ولا بد هنا من طرح هـذا السؤال : لئن قُدِدْتُ كلّي من العبث ، ولئن كان العبث يشكّل لا تركيب حياتي فقط، وإنما تركيب كينونتي ايضاً ، بل إذا كنت من العبث ، فهل تُراني أشعر به ؟ يستحيل الافلات من جواب سلبي . لئن كانت طبيعتي هي العبث ، فليس ثمة أية وسيلة لادراكها . ولكن إن اكتُشِف فيّ إدراك العبث ، فذلك يعني انني لست اياه ، وبعبارة اخرى ما دام الكشف قد تمّ وقوعه في نفسي ، فإن فيّ جانباً يُفلت من العبث . وهـــذا الجانب الذي يعي العبث ، ينتصب في في وجهه ، ويُثبت من ثم تأصُّلي في انسجام عميق ، في أرض سابقة لعبث هذه المقابلة في نفسي مع العـــالم الناقص . ومن الانسجام يولد هذا الشعور بأن نواة تقاومني وتحول دون وحدتي



نيتشه



جيد



كامو

هذا الشعور بالزيادة الذي احس له بغثيان سارتر ، أو بهـــذا « الملقى هناك » الذي يثير قلق هايدغر .

من اجل تقريب معنى هذه النتيجة التي بلغناها ، أفكر بهذه العبارة الصغيرة المبتذلة التي ننطق بها من غير ان ندرك العمق الذي تتضمنه : « ما أسرع ما يمرّ الوقت ! » . ما أسرع ما يمرّ الوقت : ان ذلك يبدو بسيطاً جـداً . ولكن تسجيل مرور الوقت يقتضي ان لا يمرّ شيء ما في نفسي معه . لنتصوّر قليلاً ان ضفاف نهر ما تجري مع مياه هذا النهر ، فأي شيء يجعل من هذا النهر نهراً ، وما الذي يسجل جريان مياهه ؟

وكذلك ، ان انا وعيت ان الزمن يمر ، فذلك لان جانباً من نفسي لا اشك فيه يقاوم هذا المرور ، فيصعـــد في مجرى الزمن ، بينا يمضي الزمن فيه . وهكذا يولد وعيي من هـــذا التعارض بين هذين القطبين الداخليين ، فيما هو يكشف عنه .

ولنعد الآن الى العبث : إن الوعي الذي يبتعثه فيّ ، هو ايضاً ، يكشف في نفسي عن وجود قطبين وُلد منهما . وان القلق الذي يصدر عن العبث يشتد ما اشتدّ التوتر بـين هذين القطبين. وحينذاك يكشف العبث في نفسي عن وجود انسجام وانتظام للاعماق ووحدة أصلية لا أرتاب فيها قط . وحـــدة حقيقية وواقعية جداً حتى انها هي التي تخلق العبث إذ تقطعه على صعيد منسجم ، وهي من شدة الحضور بحيث ان غيابها سرعان ما يمحو وعي العبث بالذات .

واستطيع الآن ان أدفع فكرتي دفعة جديدة الى امـام فأقول: ان هذا التعارض بين قطبي الوعي اللذين يبرز بينهـــما العبث ، استطيع ان احوله الى لغة الطبيعة ، الى لغة الماهيـة والوجود .

من اي شيء يولد القلق في نفسي ؟ أقصد القلق الوجودي ، قلق الكينونة مع هذا الاحساس « بعدم اللزوم » هـذا الذي يجعل كل كائن كائناً قلقاً ؟ ألا تراه يُولد من انني اشعر بسُقْم طبيعتي كأنها جرح يسيل منه نزيف داخلي؟ ولكن اذا وعيت سقم طبيعتي هذه ، فذلك لأنها تتعارض في نفسي مع إمكانيـة طبيعةٍ سليمة كاملة. وإذن، فان سقمي الحالي هو الذي يكشف لي حظوظ اكتمالي السابق . او بعبارة اخرى ، ان طبيعتي الراهنة تسلمني الى القلق ما برز ضعفها على صعيد طبيعة مكتملة . من اجل هذا يكشف القلق غنى كائن ما ومزاياه . ان الرضى عنوان الفقر . وان القلق هو حظ الاكتمال .

تلك الطبيعة الحالية التي اعطيت لي الآن إزاء وعيي ليست هي شيئاً آخر غير ما يدعونه « وجودي »،باللغة العصرية. وهذا الصعيد للطبيعة المكتملة الذي يتعارض وإياها، هو ما يمكن ان نسميه بـ « الماهية » . وهكذا ، ليس التوتر بين طبيعتي الحالية وطبيعتي الأصلية إلا الدراما القائمة في نفسي بين وجودي وماهيتي .

وهذا ما يؤدي بنا الى القول : ان وعي العبث يكشف لي قطبيْ إدراكي الموزع بين وجودي الناقص وماهيتي الكاملة . وكلاهما يُعطَيان لي معاً في لحظة وعي. وليس القلق إلا المسافة المحفورة بينهما .

إما ان تترنح ماهيتي على حافة وجودي القابل للانجراح ، وذلك هو شعور عدم اللزوم الذي يحتل مركز المسائـــل الوجودية . وإما ان تبدو المسافة بينهما مستحيلة الملء ، وذلك هو اليأس . وإما ان يستجيب وجودي لدعوة مـاهيتي ويلبي رغباتها ، وذلك هو الأمل . ان الأمل يرافق دائماً اتجاه نزعتي، لأن النزعة إنما تكمن في سير وجودي الناقص نحو المثال على ضوء ماهية تربض في اعماق حياتي .

وإما ان تتوافق ماهيتي ووجودي لحظة ، وسرعان ماينشأ من اتصالهما رضى ومسرة ، لا قلق وضيق . فرحـــة تتيح لبرغسون ان يقول : « إن الفرحة إشارة الى ان نزعة مـا قد أدركتْ غايتها في جانب من الجوانب » وما تلبث هذه الفرحة ان تفيض امناً عميقاً ، نادراً بالضرورة ، ما دام هـذا الأمن صادراً عن توازن بين وجودي وماهيتي . ذلك انه ليس ثمة أمن إلا بين الأطراف المتباعدة ، يشق سبيله كساقية ضيقـة بين منحدرين من منحدرات اليأس .

والآن ، وبعد هذا التحليل الضروري للعبث الذي يكشف عن دراما الوجود الناقص والماهية الكاملة ، بحثاً عن تآلف عميق بينهما ، نستطيع ان نتحدث عن موقف نيتشه وجيـــد وكامو من هذا العبث .

نيتشه وجيد : رفض العبث

بالنسبة الى العبث ، نجد نيتشه وجيد متقابلـين . فالأول هو الذي شاء ان يكون وحيداً ، والثاني هو الذي لم يستطع احتمال وحدته .

ان العبث عند نيتشه هو عبث مسيحيتـــه الذي اصبح « اخلاق العبيد » وهو الذي تقابله في نفسه حاجة الطفو ، الحاجة الى ان يكتشف في الحرية والتجاوز سلماً جديـداً للقيم ، قِيَم

الانسان الأعلى . « ان الله قد مات » ، وعلى موت الله ينبغي ان ينهض تأليه الانسان .

ولكن نيتشه نبيّ للوجودية ، وليست مأساته مأساة افكار؛ انها مأساة معاناة حسياً في حياته ، وهي تظهر تعارضاً بين ما يسميه المبدأ « الديونيسياك » والمبدأ « الأبولينيان » . Dyoniséaque. هو وجود القوى الكونية العالمية في نفوسنا ، القوى اللاشخصية لمحيط من الحياد يربطنا بالعالم الذي نغرق فيه بكل كياننا العضوي ، والذي منه يُنتزع المبدأ الابوليني ، اي وعينا الشخصي ، والسفينة المقذوفة لصرختنا الفردية . ان الكائن ممزق في هذا النزاع الذي لا يُحلّ ، ولكنه ينبغي ان يُفلت من صليبه ، والضيق في صدره ، ليغني ديناً جديداً فرحاً ، دين الانسان الاعلى المتوحد .

ولئن كانت الوحدة تسحر نيتشه ، فان جيد عمل كل شيء حتى لا يعيش فيها. ان العبث عنده رهن فرضته الوراثة، التي هي كارثة بيولوجية ، على طبيعته . وان شكل حساسيته الخاص ، ومأساته الزوجية المؤلمة ، وعلاقاته بأصدقائه ، ودفاعه الاخرق عن الجنسية المثلية هي كلها تعليقات على هذه الوحدة التي لا تحتمل والتي ينبغي الخروج منها بأي ثمن للانضمام الى الآخرين. ان نيتشه مسيح يقفز من فوق صليبه من اجل إنسان اعلى متوحد ومتطهّر ، في حين ان جيد ، وقد وُلد هو ايضاً في اقليم مسيحي ، يود ان يجعل من المسيح شريكاً له ليمتزج بجميع الناس اخوته. ومن هنا ما اشتهر به جيد من حس حب الحياة واللحظة التي تنهض بها حساسية فنان ، وحسّ نقديّ متحضر تحضراً لا شبيه له .

وبعد ان حددنا درامة كل من نيتشه وجيد ، نستطيع ان نماشي موقفيهما المتوازيين المتقابلين ازاء هذا العبث الذي تعمر فكرته حياتهما .

فان نيتشه يصوّت للانسان الأعلى احتقاراً للانسان ولأساس طبيعته « الديونيسياك » كما يقول . واما جيد فيصوّت للانسان ولأساس طبيعته ضد التجاوز الانساني ، الانساني جداً ، المبالغ في انسانيته . الأول يستشرف مستقبل الانسان ، من غير نموّ يقوده اليه طبيعياً ، ما دام لا يريد حتى ان يشرع في طيرانه ابتداء من الانسان . والآخر يتسمّر في ماضي الانسان ولا يوافق على الانسلاخ من طبيعته البشرية .

يقول جيد في مذكراته « لقد انفقت شبابي كله وانا أوقع المعارضة بين جزئين من نفسي ربما لم يكونا يطلبان إلا ان يتفاهما. لقد كنت، بدافع من حبّ النزاع، اتصوّر خصومات واقسّم طبيعتي . » . اما نيتشه فيرفض من غير هوادة كل مجال للندم والأسف ويقول وكأنه يجيب جيد : « إن الانسان شيء ينبغي ان يُتجاوز » .

ويحدد جيد موقفه إذ يقول « إن خاصّة الروح المسيحية ان تتخيّل في اعماقها حروباً ومعارك ، ولن يمرّ طويل وقت حتى ندرك ادراكاً أعمق لماذا ... لأنه اياً كان المهزوم ، فهو جزء من النفس ، وهذا إفناء لا فائدة منه » . اما نيتشه فيردّ على هذا الصلح الستراتيجي بقفزة في العنف والحماسة : « لئن تعب الانسان من عظمته ، فإذ ذاك يبدأ جماله... وهو حين ينصرف عن نفسه ، يقفز من فوق ظلّه .. يقفز الى شمسه » .

لقد رأى كلاهما انهما مشدودان بين قطبيْ وعيهما للعبث ، وكان نيتشه بطولياً ، وكان جيد في حُمّيّة راعشة. كانا مشدودين بين طبيعتها الحالية الناقصة وطبيعتها المكتملة التي كانا ينشدانها ، بين وجودهما الناقص وماهيتها الكاملة .

ولكن لكل منهما طريقته الخاصة في ازالة هذا التوتر . وطريقة جيد هي ان يسكب طبيعته المكتسَبة في طبيعته الناقصة ، هي ان يضع كل عبقريته ومواهبه البشرية وتأثراته المسيحية في خدمة هذه الطبيعة الناقصة ، راغباً في ان يُكسبها وجوداً شرعياً معترفاً به من الجميع . ومنذا الذي يجرؤ بعد ذلك على اتهامه بانه يقنّع البشرية ، هو الذي وعى نقصه، فلم يُرد ان يفوّت جمالاً ما من غير ان يستصفي منه غبطة خفية، كبد رطبة على جبين محموم ؟ اما نيتشه فإنه يُلاشي هذا التوتر في نفسه بان يزدري طبيعته الناقصة وخلقه الرّقيّ ليُسبغ على نفسه سِمَةً من طبيعته الرائعة ، طبيعة الانسان الأعلى .. ولكنه لم يستطع ان يملأ هذا الاطار إذ خلق لنفسه بذلك فراغاً داخلياً اختنق فيه عقله .

ثم انهما كلاهما يشتركان في شيء آخر غير هذا التوتر بين قطبي وعيهما الذي لأشياء باتجاه معكوس ؛ وهذا الشيء الآخر هو كبرياء جيد في ان ينشد تحقيق نفسه من غير ان يجعل حياته الناقصة مثاليةً ، وذلك لعدم حاجته الى ان يتجاوز نفسه إلا بالتغيّيرات المتموّجة ، وبتتابع اشكالٍ من الحب مفعمة بالحماسات العميقة ، ولكن المؤقتة ، التي يمكن التحلّل منها بسهولة للاستسلام الى حماسة جديدة بذاكرةٍ بكْر . إنه يريد

ان ينسى ان الجهد المبذول لبلوغ طبيعتنا المكتسبة من ماهيتنا الكاملة لا يُثمر بالاستسلام لطبيعتنا المعطاة ولغرائزها ، وإنما باللجوء الى الحرية . واما كبرياء نيتشه المعاكسة فتنهض على إنكار الطبيعة الناقصة والقفز قفزة مجنونة في الطبيعة المكتسبة وإرادة الاحتفاظ بهذا الحصن من غير ان يتيح لنفسه النموّ الداخلي الذي يكفل للحصن حمايةً ودعماً من الداخل . إنها حاجته في ان يخلق نفسه ابتداء من الفكر المتحرر من كل دَيْن تجاه الطبيعة . ومن اجل الثبات في هذه الوحدة المدوّخة عمد نيتشه الى التغذي بازدراء الآخرين ، والى ممارسة دين الانسان الأعلى ممارسةً بطولية شاقة . إن احدهما يرفض الحرية ؛ اما الآخر فينتظر كل شيء من الحرية .

إن نيتشه يكبح طبيعته الناقصة ، وينزوي في طبيعته المكتسبة وهمياً ، وينفجر . اما جيد فيدير ظهره للمقاومة والفتح ، ويرخي العنان لطبيعته الناقصة ، ويتمدّد . كبح وإرخاء : طريقتان لتجاوز العبث ، ولكن بتجنُّبه .

إن صدق جيد ، مع هذه الرعشة التي تنم عن انتصار شاق (لأنه ليس من اليسير اطلاقاً التراجع عن الاستجابة لصوت نزعة فريدة) إن هذا الصدق يكمن ، بالرغم من كل شيء ، في الاعتراف بطبيعته ليثبّت نفسه فيها ويجعلها مشروعة . واما نقاوة نيتشه ، مع وحشيته اللاذعة ، فهي مردودةٌ الى رفضه طبيعته رفضاً واعياً ، ولا شك في ان صعوبة شديدة ترافقها .

سهولةٌ بأي ثمن ، حتى بثمن العدول والحرمان ، وصعوبة تحتقر كل شيء . تأييد للانسان الادنى او للانسان الأعلى : اختياران متنوعان لم يكن لهما ، بالرغم من كل شيء ، ان يواجها العبث الى نهايته . لقد اقتلع نيتشه جذور العبث بان نسي ارضه ، بينما قطع جيد صلته به بان انطوي على جذوره .

وقد راينا ان كل حياة في الحق تقوم على هذا التوتر بين قطبيْ الوعي ، بين الوجود الناقص والماهية الكاملة التي يكشفها لنا العبث . وحالما يختفي العبث من حياة ما ، فمعنى ذلك انها قتلت ماهيتها او وجودها ، بدافع من خوف او من احتقار . فلا مجال للدهشة إذن في ان يكون نيتشه قد انتهى الى هاوية اليأس والجنون ، كما انه لم يكن مُخطئ الا يتسمّر جيد في ابتسامة الرضى .

كامو : الاخفاق امام العبث

يقول كامو في « خرافة سيزيف » ، وكأنه يوجه كلامه الى نيتشه وجيد : « إن العبث لا يموت إلا حين ينصرف الانسان عنه » . ولكن كامو يريد ، بعد ان اعترف بالعبث ، ان يقابله وجهاً لوجه : « إن العبث ، حالما يعترف به ، يصبح اشد النزعات ايلاماً ... وليس للعبث معنى إلا بمقدار ما نرفضه . » من أجل هذا يرفض كامو الخضوع ، كما يرفض الانتحار الذي هو شكل سلبي من اشكال الخضوع . ولذلك نراه يعتقد ان «الشرف هو في ان يعرف المرء كيف يقف ويتماسك على هذه القنطرة المدوّخة . اما ما سوى ذلك فكله مهرب ومفر . » ولكن ، من جهة اخرى ، ما دام معنى حياة الانسان هو ان يُحيي العبث ، على اعتبار ان العبث يُولد من لقائنا بالعالم ، فليس هناك الا موقفٌ واحد يفرض نفسه ؛ هو موقف فلسفي من المواقف القليلة المنسجمة ، هو الثورة والتمرد .

وهذا التمرد الذي اعلنه كامو في « خرافة سيزيف » قد عالجه معالجة مطولة في كتابه « الانسان المتمرد » . ولكن لا يبدو ان المشكلة وجدت مخرجاً لها . إن جيد يتخذ من طبيعته قيمة ؛ اما نيتشه فقد شاء ان يخلق قيماً جديدة من لا شيء . واما كامو فيعتقد ان التمرد هو وحده خالق القيم . ولكن هل يكفي لولادة القيمة ان يُقابل العبث وجهاً لوجه ؟ إن التمرد

يغذي العبث بمقدار ما يتغذى منه . وهـذا ما يجعلنا محاصَرين امام العبث دون رغبةٍ منا في الافلات منه ، ولكن من غير ان نتجاوزه كذلك .

والحق ان مسرحية كامو « العادلون » تعبّر خيراً من اي كتاب له عن ان التمرد لا يخلق شيئاً . انهـا تدافع عن قضية التمرد ، ولكنها ، باستثناء صفحة غريبة ، لا تُظهر الا شيئاً واحداً : ان التمردالصادر عن العبث يفضي الى العبث ،وهكذا لا نرانا تقدمنا اية خطوة !

لقد بنى كامو مسرحيته على اساس الاحداث التي ادّت الى مقتل الدوق الكبير سرج في روسيا عام ١٩٠٤ . والعبث هنا هو الظلم الاجتماعي الذي يتمرد عليه عصبة من الثوار نستطيع ان نميز منهـم نموذجين مختلفين : نموذج « الفوضوي » ونموذج « الحزبي » . اما الفوضوي فهو « ستيبان » ، واما الحزبي فهو « يانك كالياييف » . الاول يريدقبل كل شيء هدم النظام القائم، فهو معتصم بالرفض المطلق ؛ والثاني يريد تحقيق عـالم افضل ، فهو يتجاوز الرفض . ويبدو لي ان هذا التمييز موحىً به من قبل كامو نفسه فيفصل من كتابه « الانسان المتمرد » يميز فيه « لا » و « نعم » في كل تمرد . « لا » اي انني لا استطيع ان اقبل اكثرمما قبلت ، فقـــد تُجووزتْ كل الحدود الممكنة ضدي . و « نعم» اي انني اعتصم بالرفض لأنقذ قيمة هي عندي اغلى من كل شيء ، قيمة يطالب بها تمردي بالذات . والحق ان التمرد هو ، من هذه الزاوية ، خالق قيم . وهـذا التمييز بين « لا » و « نعم » نجده مرة اخرى في مسرحية « العادلون » . اللا، هو ستيبان الفوضوي الذي يعارض،والنعم هو يانك الحزبي الذي ينتصب لينقذ قيمة .

ويهمنا الآن ان نعرف اذا كان تمرد العادلين يفتح مخرجـاً للعبث ، او انه يدور في حلقة مفرغة يَلِدُ فيها العبث انواعـاً اخرى من العبث اذ يُعْدِم معنى التمرد بالذات .

انني اعتقد ان ستيبان الفوضوي قد انتهك حرمـة العدالة التي ينشدها ، ومن ثم تجنب العبث الذي يريد كامو ان يثبته . ولنذكر انه بعد ان اذلته تجربة السوط ، افرغ نفسه من كل روح ومن كل حساسية دامجاً الآخرين بفكرة الظلم ، ودامجاً ذاته بفكرة العدل ، فغدا بعد ذلك وقد احال الحقد صراعـه مع الكائنين الى صراع افكار . لقد فقد ستيبان كل وجود شخصي ، وجعل من ذاته نفساً مجردة كجميع الطغاة . فهـو يدبر ببرودة موت الآخرين ، وينظم الالم تنظيماً واعيـــاً . وليست ارقام الموت في نظر الفوضوي الا حساباً بسيطاً .

واذا فكرنا في مسرحية اخرى لكامو « كاليغولا » رأينا ان نزعة التجريد – اذا صح التعبير – هي السمة الطاغيـــة للمتمرد . فهي تتجمد وتتسمر في لامبالاة مطلقة حـين يبلغ الحقد مداه الابعد : لقد اصبح المتمرد مهندساً للابادة. ولكنه في الوقت نفسه فقدَ كل وجود : انها ماهيـــة جففت وجوده مزيلة هكذا العبث الذي وُلد من تقابلهما .

ويانك هو ايضاً يفر من العبث ويتجنبه . فهو يتردد امام قتل الدوق الكبير سرج لان اطفالاً كانوا برفقته ، اطفـالاً هم شكل من اشكال الحياة ، حياة يريد الحزبي ان ينقذها ، هـو الذي يتجاوز اللا ليبلغ النعم. ولما لم يكن في استطاعته الموافقة على التضحية بالحياة ، فهو يلجأ الى « الحزب » ، الى «المنظمة». وما تأمر به المنظمة ، ينفذه تنفيذاً اعمى . وهكذا ينتصر هذه المرة على تردده .

ولكن من الذي لا يرى انه لا يقتل آنذاك الا لانه رجع الى الحزب بالتخلي عن نفسه ؟ لقد اصبح كائناً غير شخصي ،آلة في خدمة منظمة . « لقد حوّل هو ايضاً الآخرين الى فكرة الظلم محولاً نفسه الى فكرة العدالة . » وهكذا نرانا من جديد امام نزاع لاشباح تراجع وجودهم بحيث لم تبق هنـــاك الا « ماهيات » منتقمة وباردة ضحّت بالحياة والحنان والشرف . وهذا ما جعل يانك يصرح بقوله : « لقـــد جعلوا منا قَتَلَة » ودورا هي ايضاً : « احس بأني قد مُتّ وانتهى الامر . لقـد قمنا بدورة الانسان »

وهكذا يسجل الانسان اخفاق التمرد ، هذا التمرد الذي كان المفروض فيه ان يخلق قيمة . ان كامو يعتقد ان التمرد قد نفخ على ضوء العبث وأطفأه ، وهو الذي يقول : « انه ايسر للانسان ان يموت من متناقضاته من ان يحياها . » وهذا يعني ان التمرد لا جدوى منه إزاء العبث وان الحل ينبغي ان يُلتمس في اتجاه آخر .

وعلى ذلك نرى ان كامو لم يملك الشجاعة لمجابهـة العبث ، شأنه في ذلك شأن نيتشه وجيد ، وان الدروب الثلاثـــة التي اجتزناها قد جانبت هذا العبث بطرق مختلفة .

تعريب « الآداب »

المرأة والسياسة

بقلم عبد الحق فاضل

حين تلقيت ذلك الكتاب الكريم الذي أتاني من الاتحاد النسائي العراقي جال في خاطري ان ادبج مقالة أذود فيها عن حياض المرأة ، وأشيد بفضائلها و وأدّعي ضرورة مشاطرتها الرجلَ أتراحَ حياته العامة وافراحها ، كشأنها في حياته الخاصة ، ثم أسرد ما أثبته الباحثون من كفاياتها العقلية والخلقية مما يجعلها صنو الرجل حقاً وندّه عن جدارة ، ذلك بأني من انصار المرأة ، ولا سيما انني ما زلت عزباً .

ولكني رأيت اخيراً ان هذا كله لا يعدو تحصيل الحاصل واجترار آراء لم يعد يجهلها احد ، وانه اولى بي ان اعالج الموضوع من ناحية اخرى .

لقد طالما تجادل الكتاب واختصموا في امر الحجاب والسفور ، فانتصر قوم لهذا وقوم لذاك . ومرت ايام وتلتها ليال واذا بالموجة العالمية تجرفنا كما جرفت سوانا ، واذا بالسفور ينتشر في العراق شيئاً فشيئاً ، دون ان تبشر به جمعية اوتعمل له هيأة او تفرضه حكومة ، واذا بالحجاب يحتجب من تلقاء نفسه على مشهد من انصاره وخصومه . فالمسألة إذن مسألة زمن ، وقصارى انصار السفور ان استعجلوه قليلا او كثيراً ليواكبوا ركب الحضارة العالمية كما فعلوا في تركيا وإيران ، وقصارى خصومه ان أخروه قليلا او كثيراً ليختلفوا عن ذلك الركب كما فعلوا عندنا في العراق وفي غيره من الأقطار .

والأمر اشبه بهذا فيما يخص حقوق المرأة الأخرى ومنها مزاولة حقوقها السياسية مع الرجل على حد سواء . فذلك شيء سوف يتحقق يوماً ما ، لأن العالم كله سائر في هذا السبيل ، وما في وسع العراق او سواه ان يصد تياراً عالمياً يأتيه من كل جانب ، مهما حاول . ومعنى هذا ان الرجل ان لم يهب المرأة حقوقها اليوم عن طواعية فسوف يهبها غداً على كراهة . فليستبشر إذن انصار المرأة وليبتئس خصومها . فلسوف تنزل المرأة الى حومة البرلمان ، وتتسنم مناصب الدولة . ولسوف تهجر البيت ، وهو عشها الجميل او غير الجميل ، هجراً جميلا او غير جميل ، لتعمل في المكتب او المصنع . ولسوف تترك اولادها بأيدي الخدم والمحاضن والمدارس الليلية فتحرم نفسها لذة الحدب عليهم وهناءة العناء في سبيل توفير الراحة لهم ، وتحرمهم هم ايضاً المقدار اللازم لهم من حنانها المغذي وقبلاتها المقوّية .

هل هذا خير ؟ هل هذا شر ؟ ما هنا وقت الافاضة في بحث ذلك ، ولكن الأمر الذي لا ريب فيه هو ان هذا الأمر سيتحقق من غير بد ، سواء أكان خيراً ام شراً ، وسواء أرضينا ام أبينا — كما تحقق السفور او كاد على رضا من بعضنا وإباء من بعضنا . فالخير إذن ان نتقبله من الآن ونتهيأ له ، ونوجهه الوجهة الصالحة ، بدلاً من ان نظل قاعدين حتى يجرفنا التيار فيوجهنا وجهة قد لا نرضاها .

ان مساواة المرأة بالرجل امر سيتحقق لا محالة .. ولكن متى ؟

ذلك هو الأمر الذي يستطيع الخصوم ان يؤخروه فحسب ، والأنصار ان يقدموه فحسب . فيا خصوم المرأة .. لا بد مما ليس منه بد ، فلا تتعبوا انفسكم . ويا انصارها ، جدّوا قليلا ، فانكم واصلون . المسألة كلها مسألة وقت ، والوقت يتوقف على العمل .

سيدتي ، ان الحق الصراح بجانبك ، مع الاسف . واقول مع الاسف ، لان المحق يتوهم أن كونه محقاً يكفي وحده لنيل حقه ، وقد رأينا ان اخيب الناس واشقاهم هم اولئك الذين يملكون الحق الصراح بجانبهم ، اذا كان ذلك كل سلاحهم . اياك ايتها الاخت المطالبة بحقوقها ان تظني ان كتابة مقال ، اوالقاء خطبة ، او استفتاء كاتب مثلي يناصر المرأة ، يجديك في نيل حقوقك فتيلا . ان كثرة الكلام والخطب والمقالات تضر قضيتك ولا تنفعها ، اذا لم يدعم ذلك كله عمل ونضال .. وقد رأينا بعض قضايانا الكبرى كيف قتلها الكلام . إن المغبون المطالب بحقه اذا اكثر القول خفّت سورته وفترت همته . واذا احس التعب من كثرة ما تكلم ظن انه ادى واجبه نحو نفسه فقعد يستريح من عناء الجهاد .

ما عساك تريدين ان تقولي ، يا اختاه ؟

قد تقولين انه ليس من المعقول ان يعطى حق انتخاب النواب فلاح قروي او راع بدوي لم ير في حياته المدينة ولم يسمع بالبرلمان ولم يدر ما هو النائب ، وتحرمين منه انت بنت الحضارة ، المقيمة في حواضر القطر والمتتبعة لشؤون العالم . ولكن من ينكر هذا ؟

قد تقولين انه ليس من الحق ان يباح للرجل الأُميّ ان

يكون نائباً يشرع القوانين، وتمنعين انت الطبيبة او المحامية او الاديبة ـ المتخرجة في كبريات الجامعات. ولكن من يجهل هذا؟

قد تقولين انه من المضحك ان يكون لخادمك الحق في ان يكون نائباً او ناخباً ، ولا يكون لك الحق ان تكوني هذا ولا ذاك ، انت التي ربما كنت تتحكمين في زوجك السياسي الخطير وتشيرين عليه في شؤون السياسة وغيرها . ولكن ، يا سيدتي ، منذا الذي لا يشاطرك الضحك من هذا ؟

سيدتي ، لا تضيعي حقك بمحاولة اثبات حقك . ان محاولة الاثبات تفتح باب الجدل لخصومك ، والجدل لا ينتهي . وما من قضية ، مهما كانت عادلة منطقية واضحة ، الا ولها خصوم يستطيعون ان يثيروا في امرها جدلاً لا ينتهي . ان حقك ثابت ، وما عليك الا ان تأخذيه ، ولا يمكن ان تأخذيه الا بالعمل .

ولكن كيف تعملين ؟ ذلك يا اختاه امر اتركه لفطنتك . وما دامت المرأة تطالب بالمساواة بالرجل في حقوقها السياسية والعمل الى جانبه في مضمار الحياة العامة ، فلتبرهن على مقدرتها على ذلك . ما من رجل عظيم الا كانت من ورائه امرأة ، وما من رجل سعيد الا وقد اسعدته امرأة . وما طالما اشقت المرأة كذلك من رجال ونغصت عيشهم . فنغصي يا سيدتي العيش على الرجل في حرب تحريرية اشبه بحرب العصابات البيتية ، واجعلي اوقات راحته عذاباً ، وفراشه قتاداً ، وبيته جحيماً .. حتى يذعن للحق ويسلم لك من فرط شقائه بمقدرتك على اسعاده واسعاد المجتمع . خاصمي من الرجال كل من لا يعترف بحقك ، قاطعي زميلك في العمل والمدرسة وكل مكان تجدين فيه زميلاً ذكراً . جادلي اباك ، ناوئي اخاك ، تجني على خطيبك ، ناقري زوجك على الاخص وشاحنيه حتى يصل صوت استغاثته من بلواك الى عنان السماء ، وحتى يهرب منك ليلقي بنفسه في النهر او يقذف بك في باحة البرلمان . قيل لي ـ والعهدة على الرواة من اصدقائي المتزوجين ـ ان المرأة هكذا تفعل اذا اشتهت ثوباً او حلية او نبتت في رأسها نزوة لا يريد زوجها، او لا يستطيع ، ان يحققها لها .

اصنعي ياسيدتي ما تفتقه لك حيلتك الواسعة وذكاؤك العتيد (الذي يضاهي ذكاء الرجل) واساليبك البارعة (التي تفوق اساليب الرجل) لارغام الرجل على الاقتناع بحقك . ذلك بانه ـ ككل مسلط قوي ـ لا يقتنع بحق ضحاياه في التساوي به ومزاحمته ، الا مرغماً .

ولكن لا تنسي قبل هذا كله ان تؤمني انت بحقك وتقتنعي بصدق عزيمتك ، فتبذلي في المطالبة بحقوقك السياسية من الجهد والاستماتة ما تبذلينه في المطالبة بالثوب الجديد والحلية المشتهاة .. على الاقل .

طالبي ياسيدتي وألحّي إلحاح الرجل الذي يطلب ما لا حق له فيه ، فلا يبرح يطالب ويطالب ويطالب بكل وسيلة فعالة حتى يجعل باطله حقاً ويفوز به . إن ذوي الحقوق يتوهمون ان حقهم سيصلهم من تلقاء نفسه ، فإذا كانوا أكثر فطنة حسبوا انهم سينالون حقهم من غير بد إذا استطاعوا اقناع غاصبيه بصحة دعواهم . ولكن المبطلين أشدّ فطنة من هؤلاء وهؤلاء جميعاً ، لأنهم يعلمون انهم لا يمكن ان يظفروا بمطاليبهم الباطلة إلا بالعمل .. ويدركون ان باطلاً وراءه مطالب دؤوب ملحاح أضمن من حق وراءه مطالب عاجز . فيا ليت المحقين يتعلمون من المبطلين !

سيقول لك خصومك ان أكثر النساء لا يصلحن للسياسة ، فقولي لهم ان اكثر الرجال كذلك لا يصلحون لها ، ولكن هذا لم يمنع الصالحين منهم من مزاولتها ، فلماذا يمنع الصالحات ، وقد أثبت التاريخ ان في النساء الحاكمات القادرات ؟

سيقولون ان المرأة تقودها العاطفة وتغلبها على عقلها .. فقولي لهم ان الرجل يقوده الجشع ويغلبه على ضميره . فهل هذا خير من ذاك ؟

سيقولون ان المرأة انانية متحيزة .. فقولي لهم : سوف نقتنع بذلك عندما يرينا الرجال إيثارهم ونزاهتهم .

سيقولون ان اكثر النساء لا يؤمنّ بهذا الحق السياسي لأنفسهن ويؤثرن البيت على المكتب .. فقولي لهم ان أكثر الرجال ايضاً لا يؤمنون بحق انفسهم في حكم البلاد ويؤثرون المقهى على البرلمان ، وخوض معركة في النرد أو الشطرنج على خوض معركة للانتخابات .

سيقولون ان المرأة ضعيفة عقل ودين .. فبلغيهم سلامي ، وقولي لهم ان الذين يقودون الأمم من الرجال ويهوون بها في جحيم من المجازر والتدمير يسمونها الحروب في سبيل اغراض سخيفة وأهواء ضالة ـ قد برهنوا على انهم اسخف من كل السخفاء عقلاً واضعف من كل الكفرة ديناً .

سيقولون لك ويقولون .. فقولي لهم وقولي . وصدقيني انه ليس في وسعهم ان يرموا المرأة بنقيصة إلا وكان في الرجل نقيصة توازيها او تربو عليها .

وثقي ان المستقبل معك .. يا اختاه .

عبد الحق فاضل

طُوِيَ الدَّرب

« في رثاء الشاعر عبدالسلام عيون السود »
(مات ١٥/١/٩٥٤)
قصيدة لم تكتمل ، وشعراً لا يموت

يا أخا الذكريات ، كالوردِ نُضراً ،
طُويَ الدرب ، وانتهى ، فهو ذكرى
طويت (أنت) واستحلت إلى (كنتَ) ؛
كذاك العطورُ ، قد كنّ زهرا
أجفلَ الشعرُ ، في فمي ، يومَ قالوا :
ماتَ عبد السلامِ ، والجرحُ أوْرى
وتلفتُّ ، اسألُ الصحبَ تكذيباً ؛
فأغضوا ؛ ولفّنا الصمتُ ، مُرّا
رُبَّ صمتٍ ، أقوى من القول تعبيراً ،
وآهٍ تحدت النار جمرا
والقوافي ، في مأتم الشعر ،
إطراقٌ حزين ، او متعبٌ ، طاحَ بهراً

★

يا أخا الذكرياتِ ، يلمحن ، كالصبح ،
كدربِ الربيع ، بيضاً ، وخُضرا
أين أيّامُنا ؟ — ودارت بنا (أين) ،
شريطاً ، عبرَ الليالي ، وعبرَ ...
من هنا (أين) تملأ الكأسَ شعراً ؛
وهنا (اين) تفرغُ الليل ، فجرا
تَثِبُ الذكرياتُ ، خطفاً ، وتجري
فكأنّ الساعات ، قد حلن نهرا
وكأنا ، على الضِفافِ ، خشوعاً ،
حلمٌ تائِهٌ ، مع الليلِ ، أسرى
نسألُ (اليوم) ان يردّ لنا (أمسِ) ؛
وهيهات ! أصبح الكرمُ خمرا

★

يا شِفاهاً ، على السرابِ ، أكبَّت ،
أنتِ والوهمُ ، فاشربي الوهمَ ، قطرا
تعِبَ الظنُّ ، كلما رامَ ظِلاً ،
قهقهَ الظِلُّ — لا يبوحُ — وفرّا
طأطأ الموجُ ، في الضبابِ ، وأغفى ؛
لا شراعاً ألفَى ، ولا شامَ برّا

★

أجهش الكأسُ في يدي ، غيرُ صاحٍ ؛
يا لكأسٍ ، يبكي ضياعاً ، وسكراً
نثرتنا الأيامُ ، — حتى كأنا ،
لم نكن مقطعاً ، من الشعر — نثرا
نحنُ سطران ؛ اطفأ الريحُ سطراً ،
وتبعثرتُ — أمضغُ الريحَ — سطراً

★

يا أخا الشعرِ ؛ كيف تسكتُ والليل نداءٌ ،
والكأسُ لم يروَ شِعراً ،
اقسمَ الكأسُ ، ما ترنحّ إلا
انت خمرٌ ، في الكأس ، او انتَ ذِكرى
ما مررنا بالشعر إلا ذكرناك ،
وطيفٌ ، — كالشعرِ — في الكأس مرّا
وكأني بالذكريات ، إذا ما
قيلَ : عبدُ السلامِ ، ينبضن ، عِطراً

★

الفراغُ الحزين ، يسألُ ، والصمتُ
ظلالٌ ، — تخبو ، مع الهدبِ — حيرى
ويقولون : من تُغنّي ، وتبكي ؟
— انا أدرى ، والشعرُ ، بالشعر ، أدرى

حمص **وصفي قرنفلي**

لِقَاء

قصيدة لم تنشر للشاعر المرحوم عبدالسلام عيون السود

●

أنا يا صديقة مرهق حتى العياء ، فكيف انت ؟
وحدي أمام الموت، لا أحد ، سوى قلقي وصمتي

والليل ، اعمق ما يكون..سرى، وأسفار بعيدة
وهناك في الاعماق ، آهات ؛ واشواق جديدة :

أهفو ؛ فتلتفت الطريق ؛ وتسأل النسمات عني
ويرودُ وجهك في الذهول ؛ فيطمئن اليه ظني .

غمر اللقاء جوارحي ؛ بالورد ابيض ؛ والعبير
وكأن انفاس الصباح ؛ تخط كالرؤيا مصيري .

أسعى اليك مرنحاً ؛ متقطع الخطوات ، مثقل
وبجبهتي ، مثل الرفيف..وفي شفاهي الشعر يسأل.

مات الشاعر المرهق

« أنا يا صديقة، مرهق حتى العياء ، فكيف انت؟
وحدي أمام الموت، لا احد سوى قلقي، وصمتي. »
[عبد السلام عيون السود]

لا الدمعُ ما أحكي ، ولا شعر الرثاء
الدمعُ مهزلةٌ تدور على قبور الأصدقاء .
غمرَ التراب صديقنا عبد السلام ؛
دفنوه في رأد النهار
تحت الضحى ، والشمسُ ذوبٌ من نُضار ،
ومشت على أعراقه قَدَمُ البلى ، قدمُ العفاء .

★

الموتُ يقبضُ قلبَ شاعرنا الصديق ،
وقصيدَه الفذَّ العميق ؛
وتلاوةً للشعر ، أيَّ تلاوةٍ ، كفم الربيع ،
كَبَدِ الصباح،
تندَى ، وتورق بالعطاء ...
يمتصُّها عرقاً فعرقاً ، في الثرى ، دود الفناء ...
لا شعرَ بعد اليوم يُنظم ، يا رفيق .

★

لا الدمع ما أحكي ، ولا شعر الرثاء ،
الدمع مهزلة تدور على قبور الاصدقاء :
خانتك أنفاسُ الحياة
وكنتَ تطرب للحياة ...
وحُرِمتَ ، حتى الخبزَ ، والبيتَ المظلل في الليالي الحالكات .
ــ الخبز ــ مطلبنا الحقير ــ كما تقول ،
عن مطمحي أضحى بعيداً ، ليس تدركه العقول !
وغَذَتك آلامُ الحياة
وغَذَاك هذا العيشُ خُبزَ النائبات !
يا بؤسه ــ كالموت أسود ــ لا تسوّغه البطون .
وهَزُلتَ ــ عمرَكَ ــ ، واغتديتَ إزاءنا الشبحَ الكئيب
في ليله يتلامع الموتُ القريب ...
فحياته ليلٌ طويل
وبجفنه حلمٌ ثقيل
كالشوك شُدَّ عليه ، حتى ما يُضيء له النهار !
فالموت فكرته الفريدةُ ، لا الحياة ؛
ويخال أن الموتَ ، موتُ الكائنات ...

★

يا شاعري ! كم كنت تخشى الموتَ ــ وهو صنيع أعداء الحياة !
الموتُ عدلٌ ، لو مضَت عدلاً بنا ، هذي الحياة .
ولكم أرى هذا الرَّدى ، درباً نجوزُ ، بلا عذاب ،
إلا الحياة ،
بناؤها : همٌّ ، وشغلٌ ، واضطراب ...

★

يا شاعري ، والراحة الكبرى وسادُك في التراب :
خلِّفت إنساناً يناضل للحياة ...
ويكافحُ الموتَ الذي تخشاه ، صُلباً لا يهاب .
يا شاعر الموت الغَريد :
الشعر بعدك للمُنَى ، للعيش ، للأمل الوليد
للطفل ــ طفلِك ــ للسلام ،
للأمهات ، وللشعوب ، وللصداقة في الأنام...

★

يا شاعر الموت الحزين
لو كان ــ يا عبد السلام ــ لعيشنا هذا الأنين !
ولكم هجوتَ الموتَ في ظل الحياة ؟
لم تَهجُ أعداءَ الحياة ،
من جرّعوك الموتَ ، والداء الدّفين
ولأخوةٍ لك ، عاملين مُعذّبين
وممزّقين بجزمة المستعمرين !
الموتُ للطُّغيان ، للمستعمرين .
والعيش للانسان ، كان
عملاً ، وحباً للحياة ؛
حباً لعبد الله [1] ، والأطفال ، والغد ، والسلام
حقداً على الموت العدوّ ، على الطُّغاة ...

★

يا شاعراً ، غنّى ظلامَ الموت ، والشعر الكئيب :
الشعبُ يُنشد شعرنا ، للعيش ، للفجر القريب .

حمص — **نصوح فاخوري**

(١) عبد الله : ولد الشاعر الفقيد .

الموسيقى العربية المعاصرة
هل تعبّر عن روحنا المتوثبة ؟

الآداب تستفتي

أتعتقدون ان الموسيقى العربية المعاصرة تعبّر تعبيرا صحيحاً عن الروح العربية المتوثبة ؟ وما هي اقتراحاتكم في هذا الموضوع ؟

جواب الاستاذ نسيب الاختيار (سوريا) *

لو سئلت في موضوع الاستفتاء الذي وجهته مجلة «الآداب» الغراء ، لقلت: اتعتقدون ان الموسيقى العربية المعاصرة ، تعبر تعبيراً صحيحاً عن الروح العربية الحاضرة ، بدلاً عن الروح العربية المتوثبة ، ذلك لأنني اعتقد ان الوثبة التي اشارت اليها مجلة الآداب الغراء ، ليست من القوة بمكان يؤهلها لبعث في جديد ، يتجاوب مع المدى المبدع لكل وثبة خلاقة ، فاذا كان عالمنا الذاتي صورة مشاعر وافكار عالمنا الخارجي ، فان موسيقانا المعاصرة،تعبر تعبيراً صحيحاً عن الروح العربية الحاضرة . ان شأن الموسيقى شأن سائر الفنون الجميلة ، تتمشى مع الحياة الشعورية والفكرية للمجتمع الانساني. فحينما يكون المجتمع في مستوى رفيع، تأخذ الموسيقى لنفسها طابع هذا المستوى ، فتتحف (بيتهوفن وشوبان وموزار وفردي) ما كان في مقدورها ان تحتل المكانة السامية التي احتلتها في دنيا الفن ، لو ان ثقافة المجتمع الذي عاش فيه هؤلاء العباقرة كانت دون ثقافتهم ، فهذا التجاوب الذي قام بين الفنانين والمجتمع الذي وجدوا فيه ، هو الذي الف بين فنهم وعواطف الملايين من عالم الاحياء . فاذا كانت في العالم العربي ثمة وثبة ، كان من الطبيعي ان يكون في العالم الموسيقي وثبة مماثلة، ولكن الغلالة الحريرية الناعمة الملساء التي نخلعها على دنيا وجودنا ، لا تخفي الواقع الاليم الذي نتمرغ فيه،ولا الحقيقة المرة الجارحة التي نحياها ، فالوثبة التي نطالع مظاهرها البراقة في العالم العربي ، لا تنبثق من جذوره ولا تنبع من اعماقه ، انها وثبة سطحية لا تتصل مباشرة بحياة المجتمع العربي ، ومن هنا كانت الموسيقى العربية المعاصرة ، لا تتجاوب مع التطور التاريخي ، لما يجب ان تكون عليه الموسيقى ، في عصر تطورت فيه القيم والمثل والمفاهيم .

فالقضية إذاً قضية اجتماعية قبل كل شيء ، قضية لا تتوقف على مدى التجاوب او عدمه ، بين فئة معينة من الناس ، وبين موسيقى معاصرة تفيء الى ظل القرن العشرين ، وما في هذا القرن من امكانيات تحقق (معجزات النبوة) كما يقول فاليري ، كما انها لا تتوقف على الطريقة او الشكل او النوع الفني للألحان والانغام ، وانما تتوقف على المجتمع نفسه ، فالمجتمع الحي له موسيقاه الحية والميت له موسيقاه الميتة ، والفنان المبدع ، هو الفنان الذي يصور حياة مجتمعه الدافقة ، ويدفع هذه الحياة الى الامام ، فيما اذا كانت راكدة ، انه لا يعود بنفسه الى نفسه ، ليستمد منها ابداعه ، ولا يشرئب بعنقه الى العلاء ليستوحي الهامه ، وانما يرتد بذاته الى المجتمع ، ومن المجتمع يتحرى عن الينابيع الاولية للفن .

ففي المجتمع العربي مادة غنائية موفورة ، وهذه المادة هي (الاغاني الشعبية) انها بسيطة ساذجة ، وجمالها في هذه البساطة والسذاجة ، وهي الى هذا امينة صادقة ، تعبر عن مشاعر الشعب احسن تعبير ، فنحن نجد فيها العاطفة الصافية ، ونلمس في اطوائها الفكرة الواضحة ، فهذه الاغاني الشعبية هي التي تتألف منها ثروتنا الغنائية الوطنية ، فاذا اخرجت على احسن وجه وأعدت على افضل صورة، كان في الامكان ان تتطور وتحتل المكانة اللائقة بها في عالم الموسيقى ، كفن غنائي مصور ومعبر عن المادة الاولية لمجتمعنا العربي .

ونحن اذا القينا نظرة عامة على تاريخ تكون الموسيقى في الغرب ، نلاحظ ان هذه الموسيقى لم تتحدر من مشاعر وافكار الذين يمثلون (الروح المتوثبة) في فئة معينة من الناس ، وانما نبعت من الشعب ، فالشعب الذي برم بالالحان المقررة التي فرضتها عليه كنيسة القرون الوسطى ، وبدأ الشعور ألوطني ينمو فيه ، القى بتلك الإلحان خلف اذنه ، فرفع عقيرته باغانيه المحلية ومع الايام تطورت هذه الاغاني ، الى اغان وطنية اكسبها سير الحضارة العالمي ، صفة العالمية .

فالشعب هو الذي يصنع الحانه ، يستمدها من آماله وآلامه ، واشجانه واحلامه ، وليس في الامكان ان يمكّن لموسيقى في وطن ما ، فيما اذا لم تنبثق من دنيا شعب هذا الوطن ، اما اولئك الذين لا يرون في موسيقاهم ظاهرة تتجاوب مع توثبهم ، لأن اوضاعهم الاجتماعية مكنتهم من التزود بما لم يتزود به غيرهم من الناس ، فهم غرباء عن الوطن الذي يعيشون فيه ، ذلك لان التوثب الفردي ، اشبه ما يكون بـ (نيزك) يلمع ويخبو ، دون ان يخلف اثره غير الفراغ .

جواب الاستاذ عاصي رحباني (لبنان)

الموسيقى العربية لا تعبر عن اماني الجيل الجديد . فنحن اذ نرى الفنون العربية الاخرى تجاري الروح الوثابة وتحاول ان تسير في طليعة الموكب الفكري العالمي ، نرى الموسيقى العربية ما تزال بدائية لا تختط لنفسها الطريق الى الصيرورة الفنية، بل هي لا تحاول ان تكون موسيقى لانها تتبع الشعر في تموجاته واوزانه. وهنا نقول انه مع الاسف لا موسيقى لدينا ولكن عندنا كلام ملحن ، وهذا التلحين نفسه لا يساير الجمال الموسيقي بقدر ما يساير الانسياق الشعري ، في حين ان الموسيقى عالم قائم بذاته له جمالاته ومقاييسه المستقلة، فانت لو جردت اي لحن من الحاننا العربية عن كلماته وعزفته لوجدت انك تعزف جملاً تائهة لا معنى لها .

وفي اعتقادي ان الطريق للارتفاع بالموسيقى العربية هو ان يكب الفنانون على العلم الموسيقي الصحيح وعلى احراز ثقافات عامة ، فما من فنان يستطيع ان يرضيك، الا اذا كانت له مثل ثقافتك،وما من فنان يستطيع ان يقودك الا اذا كان يملك ما تملك من ثقافة واكثر مما تملك من موهبه .

جواب الاستاذ منصور رحباني (لبنان)

هنالك نوعان من الموسيقى : الموسيقى الآلية والموسيقى الصوتية ، فاذا

(*) الاسماء مرتبة حسب الاحرف الهجائية .

كان السؤال يريد بالموسيقى المفهوم العالمي للكلمة ، وجب علينا ان ننفي وجود الموسيقى العربية ... ان كل ما عندنا الحان مصاحبة للشعر . ثم انه ليس لدينا حتى الآن موسيقى آلية علمية ذات قيمة جمالية .

واما في الموسيقى الصوتية فان الكلمة من حيث هي كامة في العمل الموسيقي لا قيمة مستقلة لها ، إن هي إلا محور تدور عليه الحركة الموسيقية المقصودة ، وقد تلبس هذه الكلمة في الوقت نفسه عدة اشكال لفظية حسب الانسياق النغمي ، وقد يصعب على المستمع فهم بيت من الشعر بأكمله وهذا لا يهم هنا لأن المقصود هو كما قلت تطوير النغمة الى اجل ، ورفع الخيال الى ذروة تعبيرية مطلقة كما ان المقطوعة الموسيقية ليستخطاباً وجب ألا يغيب عنا حرف منه ... هذا النوع من الموسيقى لا وجود له عندنا .. لعجزنا !.

اما في الموسيقى الألقائية فالكامة اولاً، غير ان للنغم حصة في مساندة المعنى ، وهذا النوع اقل اهمية من الاول وهو الشائع عندنا .

والحق ان غناءنا لا يعبر مطلقاً عن الروح العربية الحديثة .. بما فيها من الادب والشعر والرسم وكافة العلوم والاعمال التي تخلق النهضة والآخذة بالصعود الى الخط العالمي ، مع ما يواكبها من ارتفاع في المشاعر وانبثاق آفاق عاطفية جديدة ... الغناء العربي يقتصر حتى الآن على موضوع واحد وهو الحب الباكي ...

اما اقتراحاتي فتتلخص في تثقيف الملحنين ، ادبياً وفنياً واشعارهم ان عملهم ناحية من نواحي النهضة الفكرية في البلاد وليس مجرد لهو او طرب ...

على دور النشر الموسيقية كالاذاعات وشركات الاسطوانات ، والمسارح ان تقرر فيا بينها مستوى من الموسيقى لا تنزل عنه ، مما يدفع الملحنين الى الاجتهاد لبلوغ هذا المستوى ، وحين تتوفر لدينا مؤلفات راقية وان جاءت في البداية غريبة الوقع على اذواق الناس ، فأنهم يتعودون سماعها بالتكرار ، والتذوق الموسيقي حالة من حالات الثقافة لا تدرك بالفطرة ...

جواب الاستاذ حليم الرومي (لبنان)

ان كل ما في الانتاج الموسيقي – الغنائي العربي يدل دلالة اكيدة على ان هدف اكثر الملحنين هو ارضاء ميول الجماهير من حيث ترفيهم فقط وليس من حيث توجيه اذواقهم نحو الاغاني القوية المعاني ذات الالحان المتينة المعبرة تعبيراً صادقاً عن حقيقة الروح العربية المتوثبة والوعي القومي المتوقد والطفرة الوطنية الجامحة . والواقع ان سبب اعراض الملحنين عن ولوج باب (محاكاة الوعي) يعود اما لعجز الملحنين الفني واما لقلة ما يدرّه هذا الباب عليهم من كسب مادي جعلهم يتغاضون عن اهمية واجباتهم امام الله والوطن والتاريخ. ولذلك ولكي يلوّن الانتاج بالوان القومية التوجيهية الى جانب مراعاة عنصر الترفيه ، ولكن الى الحد المعقول ، فاني اقترح :

اثارة حملة صحفية بمطالبة الحكومات العربية فرض رقابة على الانتاج الادبي والموسيقي والغنائي فلا تستغل شركات الاسطوانات بما تقدمه من سخافات هدامة لنشاط الشباب وعنفوانه وطموحه في الحياة ، والدعوة الى تأليف لجان من المفكرين والادباء وكبار الفنانين للأشراف على برامج الاذاعات واحداث اركان يومية او اسبوعية يذاع فيها من الاغاني الجديدة ما هو كفيل باذكاء الشعور الوطني وبتذكير كل فرد بواجباته تجاه وطنه وامته. على ان تتنوع الاغاني في هذه الاركان فلا تكون كلها من الشعر الخالص اذ لا بأس من نظم بعضها من الزجل الاقليمي الراقي ، مراعاة لنسبة التعليم والأمية العامة . واما مراقبة برامج صالات الليل فأمر ضروري جداً لما تقدمه هذه الصالات من اغان لا تتفق والعزة القومية الوطنية التي نسعى الى تحقيقها عن طريق الفن، فاذا تحققت لنا هذه الاحلام يصبح كل فنان عندها مجبراً على تثقيف نفسه أدبياً وعلمياً وفنياً ليضمن وجوده وبقاءه في دنيا جديدة، البقاءفيها دائماًللاصلح.

جواب الاستاذ يحيى السعودي

رئيس قسم الموسيقى بالاذاعة السورية

اذا كان القصد من التعبير هو تصوير المعاني والخلجات النفسية فجوابي نفي تام .

فالموسيقى العربية مفتقرة الى هذا النوع من التأليف . ولقد حاول بعض المؤلفين العرب تصوير المعاني والافكار فنجحوا الى حد ما، ولكن هؤلاء – لا يزالون قلة في بلادنا مع الاسف .

ولمرونة التطور الذي عانته موسيقانا لا بد من التفرقة بين شيئين : الغناء والموسيقى الصامتة . اما الغناء فلم يطرأ عليه إلا بعض التجديد ، واكثر المجددين يأخذون من الموسيقى الغربية بعض الجمل الموسيقية ويحشرونها في الموسيقى العربية . مما جعل الغناء العربي مشوهاً . اما فيا يتعلق بالموسيقى الصامتة فكان العازف العربي في الماضي لا يحسن إلا اداء التقاسيم ولكنه ادرك الآن ان العازف يجب ان يحسن العزف على آلته بشكل يمكنه من مرافقة المطرب – والعزف مع المجموعة ، وان دوره في مجموعة الفرقة الموسيقية من الاهمية بمكان في تكوين المعزوفة الموسيقية ولهذا فقد تقدمت الموسيقى المرافقة للغناء من حيث التأدية والتأليف تقدماً ملموساً .

اما اقتراحاتي فتتلخص في كامة واحدة : العلم ... العلم الصحيح ، لان الموهبة وحدها غير كافية لتجعل من الانسان موسيقياً وملحناً وعازفاً في وقت واحد .

ولا بد ان اذكر شيئاً اهمل في البلاد العربية ، وهو ان الدول العربية لم تحاول بعد ان تقرر تدريس الموسيقى في مدارسها – ان تضع(ميتودات) للآلات الشرقية ، بينا نجد في مدارس الغرب المئات منها لكل آلة موسيقية . ومتى تم وضع هذه (الميتودات) ونسق تعليم الموسيقى، فان ذلك يساهم مساهمة فعالة في السمو بموسيقانا الى المكانة المرجوة .

جواب الاستاذ محمد حسن الشجاعي (مصر)

اعتقد ان العرب بصورة اجمالية لم يعرفوا الموسيقى الخالصة ، وانما عرفوا الغناء في الوانه المعروفه في البلاد العربية ، ولهذا ، فان الموسيقى العربية لم توجد بمعناها الصحيح ، وكل ما هو موجود منها الآن يتلخص في بعض محاولات بدائية لم تأخذ الطابع الصحيح للموسيقى الآلية . ففي مصر ، تحاول قلة من الموسيقيين وضع الاسس للمؤلفات الموسيقية في شتى صورها . ولست على يقين من ان هناك في البلاد العربية الاخرى من يحاول مثل هذه المحاولات وإن كنت قد لاحظت في استماعي للاذاعات العربية المختلفة بعض الالوان الشرقية الخالصة ، التي لا تدخل في عداد المؤلفات الآلية بمعناها الحقيقي . ولنرجع اذن الى صميم السؤال،وهو : « هل تعبر الموسيقى العربية المعاصرة تعبيراً صحيحاً عن الروح العربية المتوثبة ؟ » . وكما قلت ان الموسيقى العربية لم توجد بعد حتى تعبر التعبير الصحيح عن الروح العربية ، وكل ما هناك هو ما اشرت اليه من محاولات نرجو لها التوفيق .

اما اقتراحاتي في الموضوع ، فهي ان تهتم البلاد العربية قبل كل شيء بايجاد المعاهد الموسيقية المنظمة التي تتبع في برامجها دراسة الموسيقى الغربية من ناحية القواعد العامة والأساليب،وما الى ذلك من التوزيع الموسيقي والقالب الموسيقي . وعند ذلك يمكن ان يكون عندنا موسيقى عربية آلية على اسس صحيحة تحمل في ثناياها الطابع الشرقي المميز كما تؤدي رسالتها في الحضارة الانسانية . اما بغير التعليم ، فكل ما نفعله في نظري يعد ارتجالاً لا معنى له ولا تعبير فيه . وفي محاولاتي الخاصة التي مارستها في سبيل ايجاد موسيقى مصرية

معبرة ، انتهيت الى وضع كثير من المقطوعات الموسيقية المصرية الموزعة آلياً واعتقد اني قد خطوت بعض الخطوات الصغيرة في هذا السبيل ، ففيما كتبته للافلام السينمائية كثير من الالوان الشرقية المعبرة التي ترتبط بالصور الخاصة في كل فيلم، وفي المعزوفات الاخرى التي قمت بتأليفها كمعزوفة : (كليوبطرة) و (وتانيس) و (والمولوية) و (الراعي الصغير) وافتتاحية (التائه) و (متتاليات وادي الملوك) وغيرها ما يؤكد هذه النظرية التي اعمل لهـا وارجو لها النجاح .

جواب الاستاذ صبري الشريف (لبنان)

اذا ما قررنا ان مفهوم (الموسيقى العربية المعاصرة) يعني انها موسيقية غنائية اي انها لا تستطيع التعبير عن نفسها الا بمصاحبة الشعر او الزجل المغنى امكننا ان نجيب على الشطر الاول من السؤال بالنفي . ان الموسيقى العربية المعاصرة لا تعبر عن روح العصر المتوثبة ومعنى هذا ان الاشعار اوالازجال التي تختار للغناء لا تملك على العموم، وكذلك الموسيقى التي تصحبها، اية قيمة جمالية ذاتية يمكننا ان نقارنها بالقيمة الجمالية التي يملكها الشعر المطلق او الرسوم او التماثيل او المؤلفات الادبية الاخرى التي ظهرت في نفس هذه الفترة من التاريخ ، وإن كانت هذه الاغاني تملك قيمة نفعية افاد منها منتجو مثل هذه الالوان افادة تجارية مادية تفوق في حالات كثيرة الافادة النفعية التي يجنيها الشعراء والرسامون والنحاتون والادباء .

ولسنا نقرر في نفس الوقت ان وضعنا الموسيقي وضع شاذ يستعصي علينا معالجته ... فالفن الموسيقي في تاريخه الطويل تأخر بعض الشيء في نضجه عن سائر الفنون ولكنه ما لبث ان انطلق في درب تطوره واستوى مع قيمة الفنون الاخرى ...

والاقتراحات العملية البعيدة عن الاماني المجردة للانتقال من هذه المرحلة الى المراحل المتقدمة كثيرة متشابكة متشعبة ولعل اقربها الى التحقيق السريع اتفاق المؤسسات الثقافية ، واهمها دور الاذاعة على مستوى راق لما يعرض من انتاج على المستمعين وحجب ما دون هذا المستوى من انتاج . فان تحقيق هذا التقرير الحيوي يفيد منه الجيل الطالع الذي يجب علينا ان نحدد له نقطة الانطلاق فنساعد على اختصار طريق التطور امامه. ويفيد منه الجمهور الذي سيجد لذة عندما تستقر في نفسه اصداء اعمال راقية نتيجة تكرارها وتأكيد مزاياها له .

ويفيد منها الفنان نفسه الذي سيؤثر هذا القرار على اعتباراته النفعية فلا يجد سبيلاً للصعود الى المستوى المقرر الا بصقل مواهبه بالعـلم والتخصص والاطلاع الواسع .

ولا شك ان بيئة تحرص على تنمية مثل هذا المستوى الفني الراقي فترة من الزمن توازي الفترة التي اتيحت لنشر الانتاج الغنائي المعاصر ، لا بد ان تنشأ فيها موسيقى عالمية بما يعني مفهوم الكلمة العالمي، تعبر تعبيراً صحيحاً صادقاً عن روح العصر المتوثبة

جواب الاستاذ محمود الشريف (مصر)

ليس في رأيي موسيقى تعجز عن التعبير ، فان اي موسيقى تستطيع ان تعبر عن الخلجات الإنسانية، وان تحمل الانفعالات النفسية المختلفة ، ولا عبرة بعد ذلك بانتسابها إلى الشرق أو الغرب ، فأنا لا أرى أن أستجيب لفكرة التمشي مع العصر لمجرد أن أكون « عصرياً » فان موسيقانا غنية بالنغمات ، والعيب عندنا ليس عيب الموسيقى بل عدم وجود الاصوات التي تستطيـع أداء الموسيقى على الوجه الأكمل . ان الاصوات عندنا ضيقة وليست قادرة على التعبير، وصوت نادر كصوت ام كلثوم مثلاً يستطيع ان يؤدي الموسيقى بل يخلقها ، فحين وجد الملحن عندها « الصوت » القدير على الأداء استطاع أن يخلق لحن « مصر تتحدث عن نفسها » وهو لحن ممتاز نجد أم كلثوم فيه وكأنها لا تغني بل تخطب ، وقد استطاع صوتها ان يؤدي الموسيقى أداء صالحاً مشحوناً بالإنفعالات العميقة القوية ، وأم كلثوم نفسها هي التي تستطيع أن تقف في وصلة غنائية لمدة ساعة ونصف. وهذا الزمن هو مدة «اوبريت» غنائية ، ومع ذلك فأم كلثوم تتمكن في اثنائها من الاحتفاظ بوعي المستمعين وإعجابهم الشديد ، ولكن صوتهـا كما قلت ذو مستوى نادر ، والمستوى الشائع عندنا هو مستوى (شادية) و (شكوكو) ، وهو مستوى صوتي ضيق غـير قادر على التعبير او اداء الموسيقى الرفيعة المشحونة بالانفعالات العميقة ، ومن الظواهر البارزة ان الالحان انحدرت مع المستويات الصوتية الموجودة ، الى طريقة المنولوج السريع .

والمعاهد عندنا موجودة، والاصوات موجودة ولكننا نفتقر الى الخبراء في الاصوات ، فنحن في الواقع لا نجد هذه الاصوات في المعاهد، بل نختطفها من الشارع ، وإذا كان الصوت اولاً موهبة ، فمن الضروري أن يحتضنه الخبراء للقيام بعملية صقله وتربيته ، فالصوت ما دامت قد توفرت فيه الموهبة كالآلة الموسيقيـة ، ينبغي العناية به وإخضاعه للاسس والقواعد التي يحددها الخبراء ، اما المعاهد الموجودة فلا فائدة منها ، والدليل الواضح انها لم تخرج صوتاً واحداً حتى الآن .

وبجانب ايجاد الخبراء في الاصوات ، فأنا ارى ان تفد كل الاصوات الموجودة بالشرق الى مصر ، حتى تتم عملية المزج والتعاون ، في اخراج فن عربي صحيح ، إذ أن مصر غنية بالعازفين الآليين، وكذلك بالملحنين الممتازين، والاتجاهات الفنية الواعية ، ولكن النقص راجع في الحقيقـة كما قلت الى الاصوات ، وقد استمعت الى اصوات عربية في مصر فملأت نفسي بالأمل ، والاعجاب ، واذكر من اصحاب هذه الاصوات (سعاد محمد) و (فيروز) و (صابر الصفح) ، وما دام عندنا موسيقيون وملحنون ممتازون وفي البلاد العربية اصوات غنية ، فلماذا لا نمزج بين موسيقانا واصواتهم ، وسيخرج من هذا المزج ولا شك فن رفيع . امـا اذا وقفنا على حدود وضعنا الراهن فستظل الموسيقى تنحدر وتنحدر حتى تصبح منولوجـات (لشادية) و (شكوكو) .

اما العلاقة بين الموسيقى والاتجاهات الأجتماعية المتوثبة ، ففي رأيي ان الموسيقى دائماً على استعداد للتجاوب مع المعاني الانسانية ، وفي حالة الموسيقى المصاحبة للأغاني نجد مهمة الملحن هي اخضاع موسيقاه للمعاني التي ستتضمنهـا تلك الاغاني ، وهنا ، تنتقل المشكلة الى مجال آخر هو مجال التأليف الأدبي للأغاني ، فيجب اولاً ان يفهم المؤلف الاتجاهات السائدة وينفعل بها ويتمثلها وسيقوم الموسيقيون ، وفي امكانهم هذا ، بدورهم في فهم معانيها وتأديتها وخلق الألحان المناسبة لما في تلك المعاني من إنفعالات وخلجات .

أما عن الموسيقى الخالصة ، ففي رأيي انها موجودة ، وهذه الموسيقى تترجم ترجمة صادقة عن موضوعها ، وتؤدي رسالتها تأدية صحيحة في حياتنا . ونستطيع ان نذكر هنا كنموذج مقطوعة (بنت البلد) لعبد الوهاب ، والتي تنقل صورة صادقة معبرة عن هذا النموذج الانساني المألوف في الشرق عامة ، وفي مصر خاصة ، ومقطوعة (ست الحسن) حيث كنت ارمز فيها لمصر، واعبر عن تجربة احساس بالاستعمار، وتمثلي لشخصيتي كشرقي. ومقطوعة (يابا لا لا ولا) للأخوين رحباني ، وهما من اللبنانيين ، وهذه المقطوعة مشحونة بانفعال عميق لتجربة انسانية صادقة .

جواب الاستاذ سلمان شكر (العراق)

ان الموسيقى الشائعة الآن في الوطن العربي لا تمت الى الروح العربية الأصيلة بأية صلة . فالموسيقى المصرية المعاصرة مثلاً أخذت اكثر الحانهـــا من الموسيقى الغربية ومزجت بشكل شائه ومستقبح بالموسيقى المصرية للجيل الفائت.

أما في العراق فالذي يفخرون به هو غناء (المقامات) التي يسمونهـــا عراقية مع انها ليست كذلك . ويمكن الاستدلال على هذا باسماء المقامات نفسها، هذه الاسماء التي نجد اصولها في اللغة الفارسية او التركية او الكردية . ومهما يكن فاني ارى ان الاستعمار العثماني واحتكاك الفرس بالعراقيين هما اللذان أشاعا هذا الغناء الدخيل في العراق دون بقية الأقطار العربية ، ومن حيث روحية هذا الغناء نجده يعبر عن الكسل والاستسلام والتخاذل والابتذال باعتماده بعض الكلمات الحسية العامية. ان حسية موسيقى هذا الغناء كانت تصور الحالة الاجتماعية اثنـــاء حكم (السلاطين) في الزمن العثماني حيث احتكر (نظام الحريم) وتبنى هذا النوع من الموسيقى .

لقد انصب اتجاه الموسيقيين في الوطن العربي على تلحين الاغـــاني لان كلماتها هي الوسيط بين الموسيقي والمستمع ولأنها هي التي تدل على الاغنية وفكرتها . أما الموسيقى وأما اللحن فهما ابعد ما يكونان عن الغاية ، ولهذا فقدت الموسيقى المصرية المعاصرة (المترجمة) أي عنصر فني للموسيقى (التعبيرية) وهي ان وجدت فتافهة ومسروقة .

ولقد سارت النهضة الموسيقية في سوريا -- بعد جلاء قوات الاستعمار -- في درب صاعد يبشر بالخير . ان نقاوتها وسموها وجمالها ، المبنية على اسس قوية وعلى دراسات مستفيضة ، تستحق الفخر والتقدير . وبصورة عـــامة لم تولد حتى الآن تلك الموسيقى العربيـــة التي يمكن ان توازي موسيقى العالم الغربي .

نحن نريد موسيقى تعطي العـــالم فكرة عن التاريخ العربي بجوانبه الانسانية ، ونريد موسيقى تتنسم منها عبير الصحاري النقية الممتدة ، نريدها صوراً وأفكاراً وتطلعاً يعبر عن الحركة الجياشة التي يتمثل عبرهـــا الشعب العربي في انتفاضاته وثوراته في سبيل الوحدة والحرية ، ونريدها موسيقى حرة ، أبية ، ساحرة تعبر عن معارك الحرية التي خضناها ضد قوى الظلام والطغيان والتعفن ، ولا نريدها موسيقى ذليلة ، نائحة ، خائرة تبكي وتندب الحظ العاثر ، والحواء ، ولا نريدها -إضافة- مجرد تمثيل للشهوات الجنسية الرخيصة واستثاراتها .

ومن حيث الاقتراحات اعتقد ان وضع الاسس للموسيقى العربية العامة والعمل على إيجاد (هارموني) لهـــا وعقد المؤتمرات لذلك بين الموسيقيين انفسهم ، وتربية اذواق الجماهير ، ... سيكون لها الاثر الحاسم في ميـــلاد نهضة فنية موسيقية تعبر عن روح العصر وعن تطلع الشعب العربي وتوقه الى عالم انساني أفضل ..

جواب الاستاذ هشام الشمعة (سوريا)

لا نكران ان الموسيقى مرآة أمينة تتجلى فيها مدنيات الشعوب وحضاراتها . فالشعوب الفطرية كل حظها من الموسيقى آلات اولية ونغمات بسيطة ضيقة ، وكلما تدرجت الشعوب في معارج الحضارة سمت الموسيقى عندها تبعاً لدرجـــة تلك الحضارة ; وهذه لا شك حقيقة واقعة نأبى إلا ان نتجاهلها .

وغير خاف كذلك ان الموسيقى تولد في النفس رقة الشعور وجمال العواطف وسلامة الذوق ودقة الاحساس ، فالامم الغربية التي بلغت شأواً بعيـــداً في مضمار العلوم والفنون ، لم تكن عنايتها بالموسيقى عبثاً فهي اشد ما تكون حاجة الى توفير ما تصرفـــه في شؤون الموسيقى لصرفه في الشؤون الحيوية الاخرى، فلولا يقينها اذن بما للموسيقى من مقام رفيع لما اولتها اهتمامها الملحوظ.

موسيقانا الآن في مفترق الطريق فاما ان نتركها تتخبط في اصول عقيمة واساليب سقيمة يرعاها نفر ممن يجهل كل شيء عن الموسيقى ، فيقودها برعونته وجهله الى شفا الهاوية ، او نأخذ بأسباب جديدة وهو ما انادي به لنسير في ركاب الامم الراقية .

والنهضة الموسيقية في بلاد الغرب مدينة لموسيقييها العباقرة المبدعين ، فقد دأبوا على الانتاج الخصب ولم يتكلوا على تلك الكنوز الفنية التي خلفها لهم من سبقهم من رجالات الموسيقى . وقد قال الموسيقي فاغنر :

« ليس فن المستقبل إلا يقظة من حلم الحاضر ، فمن يخشَ هذا الحلم ولا يؤمن بأن قوته كفيلة باحالته الى حقيقة راهنة ، يظل دائماً في حلم . »

ان موسيقى كل بلد مقياس صادق يدل على ما بلغه ذلك البلد من المدنية والحضارة . فالدول ذات الزعامة في الفنون وخاصة الموسيقى ، هي الدول ذات الزعامة في سائر اسباب الحياة ، وسبق ان قال شكسبير كلمته الخالدة :

« الموسيقى مقياس رقي الامم . »

والآن لنلق نظرة على واقعنا ، فبلادنا اولاً بليت بالاستعمار وما يصحبه من الظلم والاستبداد والحد من حريات الافراد ، مما كان له كبير اثر في موسيقانا وغنائنا اللذين شاعت فيها معاني الذل والضعف والانحطاط الخلقي ، فنرى اليوم مغنياً يغني والمستمعين يتأوهون ويصرخون ، ثم سرعان ما يستخف بهم الطرب ، في معناه الضيق ، فيأخذون بتحريـــك الاطراف الاربعة في حركات إيقاعية ، فيضربون على الارض ويصفقون ، وهذه حركات تعرفها الأقوام البدائية ، ونعرفها نحن بكل اسف .

ومن هنا نرى سبب ولعنا الشديد بالألحان التافهة التي لا تحمل فكرة ولا تعبر عن معنى ، بل نصل الى درجة فهم الموسيقى على انها احد عناصر الطرب، لا الطرب كله ، ذلك الطرب الذي نعرفه في « رهجة » لحن ، و « هزة » بطن ، و « شفة » كاس .

واخلص من هذا كله الى القول بأن موسيقانا المعاصرة لا شك تعبر تعبيراً صادقاً عن الروح العربية ، المتوثبة اذا شئتم ، إذ اني اعتبر سكوت الناس عنها دليلا اكيداً على انها تصادف عندهم رضى وقبولاً ، فلأقل إذن ان هذا التوثب في الروح العربية، إذا كان هناك توثب حقاً، يقابله توثب في الموسيقى العربية ، اذا كان هناك توثب حقاً .

ولا بد لى من الإشارة الى اننا نتكلم عن موسيقانا ونصفها بالعربيـــة تجاوزاً ، اما الواقع فان موسيقانا مجرد خليط عجيب من الموسيقى العربية والفارسية والتركية البيزنطية واخيراً الغربية ، فسنوات الاستعمار الطويلة التي عانتها بلادنا كفيلة باضاعة كل صلة لنا بموسيقانا الاصيلة ، الى جانب انقطاع الصلة بين الموسيقى والدين ، تلك الصلة الوثيقة التي كان لها كل الفضل فيما بلغته الموسيقى الغربية من الرقي والازدهار .

ومع يقيني بأن الفنون لا تكتسبها الشعوب بالتلقين وانما تخلقها خلقاً ، إلا اني لا استطيع، في وضعنا الحاضر، ان اقلل من شأن الحكومات وامكانياتها فيما اذا صحت عندها العزيمة ، فبالإمكان اولاً ان تولي الموسيقى عناية كبيرة في المدارس وخاصة الاولية ، فيشب جيل جديد يتذوق الموسيقى الصحيحة ، ويعي رسالة الموسيقى الخطيرة في الأمة .

والاذاعات كذلك تستطيع ان تؤدي بعض واجبها في هـــذا السبيل فتحاول رفع الشعب الى مستوى ذوقي ارفع لا ان تقصر مهمتها على إرضائه وتملق غرائزه ، وبتشجيـــع الحكومات ورعايتها تنشأ معاهد ونواد موسيقية يقوم عليها مختصون ، لا ان تكون وسيلة اخرى في سبيل إشاعة الفوضى .

وعندها فقط استطيع ان اقول بأننا قد بدأنا .

جواب الاستاذ كمال الطويل (مصر)

تسأل مجلة « الآداب » عما اذا كانت الموسيقى العربيـــة المعاصرة تعبر تعبيراً صحيحاً عن الروح العربية المتوثبة . وليس من شك في ان الموسيقى العربية المعاصرة لا تعبر إلا عن روح الكسالى ولا تهدف الى اية قيمة من القيم التي تحرص الامم الناهضة عليها : فالموسيقى العربية المعاصرة اشبه مـــا تكون بالرقص الشرقي ، كلاهما تفرع عن الرغبات الشاذة التي سادت نهـــاية العصر الاموي وما بعده ، هذا العصر الذي اتسم بالانحلال والتفرغ للملذات واتخاذ الموسيقى والغناء وسيلة لاثارة الغرائز وايقـــاظ الشهوات . وبمرور السنين عرف العالم العربي الواناً من العلوم والفنون تقف على قدم المساواة مع مثيلاتها في الامم الناهضة ، وبقيت الموسيقى والرقص على عهدهما القديم : عهد الجواري والاماء .

ولما كان الرأي قد استقر على ان الموسيقى والغناء هما مرآة الشعوب وعنوان تقدمها ، كان من الواجب بل من المحتم على الشعوب العربية ، ولا اقول الحكومات، ان تدفع هذه السبة التي الصقها بها انسياق مؤلفي الموسيقى وراء رغبات رخيصة وشهرة زائفة . ان الشعب وحده هو الذي يستطيع ان يفرض ارادته ما دام قد وطد العزم على ان يرقى .

وفي رأيي ، ان الاعتماد على المؤلفين المعاصرين في النهضـــة المرجوة لن يؤدي الى نتيجة حاسمة إذ ان غالبيتهم لم يدرسوا الفن دراسة صحيحة طبقاً للقواعد المعمول بها في كافة انحاء العالم الناهض . إذن فيجب تربية جيل جديد يتعلم الموسيقى في معاهد تقوم على نظم صحيحة . وقد يرد قائل بان المعاهد موجودة مثل المعهد العـــالي للموسيقى ومعهد فؤاد بمصر . ولكني اقرر ان هذين المعهدين لم يقدما لفن الموسيقى اية خدمة ، بل الحقيقة انه قد تخرج منهما انصاف متعلمين ، هم اخطر على العلم من الجهلة .

والخطوة الثانية بعد انشاء المعاهد الموسيقية هي الخروج عن نطاق التخت الشرقي الى الأوركسترا . وقد يزعم زاعم ان في ذلك القضاء على التراث القديم ، وكلمة « التراث القديم » اكذوبة ضخمة ابتدعها عجزة الفن حتى لا نتقدم ويندثروا هم ، فالفن في رأيي قبل ان يكون تراثاً نحرص عـــلى وجوده هو ضرورة اجتماعية نعبر بها عن الامل في مستقبل احسن ونصور واقعاً نحبه او نكرهه ، فالفن قد خرج عن فكرة تجميل الحياة الى الشعور بالحياة والمساهمة فيها .

ولنعود الى فكرة استبدال الاوركسترا بالتخت فنقول ان التخت بآلاته المحدودة وامكانياته لا يمكن ابداً ان يعطينا الانفعالات الصادقة التي يريد ان يعبر بها المؤلف عن احاسيسه وهو امر مسلم به لا يحتاج الى بيان .

وحتى يحين الحين ، فاننا لنرى بيننا مؤلفين على فهم ووعي وعلم يستطيعون ان يحدثوا انقلاباً وثورة نرى ان نمهد لهم الطريق بان تأخذ دور الاذاعة على عاتقها — بوصفها اوسع وسائل النشر — تعويد المستمع على الفن الرفيع باذاعة الاعمال العالمية عليه ، وقد يغضب المستمع ويجد صعوبة في تذوق هذه الاعمال الخالدة ، ولكن بالصبر والايمان والاصرار سوف نعوده عليها حتى يبرأ من الاندفاع وراء اغان وموسيقى مسمومة تفعل بالشعوب ما لا يستطيع ان يفعله أشد اعدائها .

جواب الاستاذ احمد عسه

المدير العام للاذاعة السورية

ان موسيقانا العربية المعاصرة لا تعبر مـــع الاسف تعبيراً صحيحاً عن الروح العربية القوية ، ذلك لأنها وريثة حياة صحراوية بدائية في الاصل ، ومزيج من موسيقى شعوب مجاورة اثرت في روحنا الموسيقية الاصلية تأثيراً قوياً زمن الانحطاط . واذا كانت الموسيقى ضرباً من التعبير عن المشاعر فان المشاعر العربيـــة المتوثبة اليوم ولا شك تختلف اختلافاً بيناً عن مشاعر وانطباعات بدوي في الصحراء تثير في نفسه دمنة من الدمن الاحساس بالجمال.

وفي رأيي ان موسيقانا العربيـة الغنية اصلاً بالنغمات والضروب لا بد ان تحذو حذو الموسيقى الغربية في التوزيع لتكون اقرب للتعبير عن خوالج وثبتنا ، كما انه لا بد من ان ينظر المؤلفون الموسيقيون الى الموسيقى نظرة جدية تختلف عن نظرتهم الحالية وان يدركوا ان الموسيقى علم الى جانب الذوق الفطري السليم ، وان الذوق الفطري السليم لا يصلح الا لأن يكون نواة طيبة لمؤلفات موسيقية تستند الى العلم .

انا اعرف ان لهذه النظرية خصوماً كثيرين، ولا عجب في ذلك اذ ان الشعراء المحدثين الذين تأثروا بمحيطهم وواقعهم الانساني وبآداب الامم الحية الاخرى واجهوا مثل هـــذه المعارضة قبل اليوم ، عندما كان يقـــال لهم ان الشعر الصـــافي هو شعر السليقة وان الشـــاعر الاكبر هو المرتجل الاكبر ، ومن حسن الحظ ان القائلين بهذه النظرية لم يعد يسمع لهم صوت مدو . وآمل ان يلحق بهم قريباً هؤلاء القائلون بان اي تجديد في موسيقانا وجعلها معبرة عن احاسيسنا وشعورنا يذهب بطابعها الاصلي .

واعتقد ان من واجبي هنا ان الفت النظر الى ان توثب الموسيقى العربية الجديدة اخذ يشغل بال الاستعماريين الذين يدركون ان تطور الموسيقى في شعب من الشعوب لا بد ان يؤثر تأثيراً اصيلا في نفسية الشعب من ناحية ، ويكون صدى تعبير صادق عما يحس به من توثب من ناحية ثانية . ولذلك فقد اخذنا نسمع دعـــاة الاستعمار يقولون اليوم ان موسيقانا يجب الا تتأثر بموسيقى الغرب بحجة الاحتفاظ بصفائها . وبالامس كان بعض هؤلاء الاستعماريين ينادون بابعاد حتى آلة الكمان عن الدخول في مجموعة الآلات الموسيقية الشرقية محل آلة الرباب الابتدائيـــة بحجة ان الكمان آلة غربية لا تصلح لأداء النغمات الشرقية .

واعتقد ان الكثيرين ما زالوا يذكرون نظرية القائلين ان الموسيقى الشرقية موسيقى سماعية يجب الا تدون والا فقدت كثيراً من خصائصها ، وقد اثبتت التجربة ان تدوين موسيقانا قدستمت بها كما سمت الابجدية بمعرفة الانسان ولم تنحط بها .

وختاماً لا بد من ان اقول صراحة ان الطريق للنهوض بموسيقانا هي نفس الطريق للنهوض بالآداب والعلوم والفنون عندنا . واعني بذلك تدارس ما انتجته الحضارة الانسانية عند مختلف الشعوب في الحقل الموسيقي والاقتباس منه والتأثر به وبالتالي الابداع على غراره .

جواب الاستاذ محمد القبانجي (العراق)

من المعلوم ان الامة العربية اليوم تجتاز أشق مرحلة لتكوين شخصيتها كأمة لها ما للامم من حق في الحياة ، وهي بذلك لا تعدم الوعي الذي يهيء لها فكرة التضحية في سبيل تلك الغاية الخطيرة ، وقد دفعها ذلك الوعي الى المغامرة لتجربة الوسائل الناجعة لتحقيق ما تنشده وتتوثب اليه كيا تجتـــاز تلك المرحلة الشاقة ، متطلعة الى من سيأخذ بيدها في هذا الدور الامتحاني من زعماء السياسة والاخلاق والاقتصاد والصناعة والعلم والادب والفن ، وما احوجها الى زعامة حكيمة حازمة توجه قوتها الى خير الطرق .

هذا امر مسلم به ، وأمر آخر لا تقل الجهود في تكوين شخصيته عنها في ذلك الامر ، هو الموسيقى العربية التي تعبر عن آلام الامة وآمالها كسائر ما للفنون والعلوم من اثر في ذلك، فما هي درجة ملاءمتها لهذا الوعي الوثاب ؟

— التتمة على الصفحة ٧٨ —

الفِكرُ واللغة

بقلم الدكتور نقولا زياده

•

عندما اقرأ كاتباً او اتحدث اليه ، اجد نفسي ، في النهاية اصدر حكماً او عليه . وحكمي يرجع الى ما زودني به من آراء حرية بالعناية . فبقدر ما تكون هذه الاراء قيمة اراني معجباً به . وبقدر ما تسف اراؤه اجد نفسي ناقماً عليه . والاعجاب والنقمة لا يكونان دائماً على اساس ما اتفق معه او ما اخالفه في الرأي ، ولكن بقدر ما في ارائه من عمق .

ولكن ما الذي يجعل الاراء عميقة قيمة ؟ لا شك ان ذلك يتوقف على تجارب الكاتب الروحية واختباراته الثقافية الفكرية . هذا صحيح . ولكن ثمة كثر من الناس منهم تجارب روحية واختبارات عقلية ، ثم تراهم يحتفظون بهذه الامور لأنفسهم . فهل سبب ذلك حرصهم على ذلك ؟ قد يمكن ان يكونوا ضنينين . ولكن يغلب على ظني انه حتى يتمكن المرء من نقل تجاربه واختباراته الى شخص آخر يجب ان يملك وسيلة لذلك . والوسيلة هي اللغة اي المقدرة على التعبير عما يخالج النفس والفكر . وبقدر ما نملك من هذه الوسيلة يمكننا ان ننقل آراءنا الى الآخرين .

على ان الذي يثب الى الذهن حالاً في هذه المناسبة هو ما هي هذه اللغة ؟ ويتلو ذلك سؤال آخر لماذا يختلف الناس الى هذا الحد في فهم الامور ، في النثر والشعر على السواء ؟

ولعل الاجابة على هذين السؤالين ، تقتضي معرفة في علم اللغة والاجتماع والنفس لا املكها . ولكن الذي احاوله الساعة عرض القضية من ناحية الاختبار الشخصي مع نفسي ومع جماعات صغيرة احتككت بها في حياتي الطويلة.

وأول ما يبدو لنا حرياً بالعناية هو ان نتفق فيما بيننا على ما يسمى اللغة . فقد علمنا مدرسونا ونحن اطفال ان اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن انفسهم . ولكن بعد ان احتجنا اللغة عملياً لنقرأ ونكتب ، وبعد ان اتيح لنا ان نتعرف الى غير ناحية من نواحيها ، عرفنا ان اللغة ليست الفاظاً فحسب ولكنها آداب وتقاليد وعادات وطرق تفكير ووسائل تعبير ولون من الوان الشعور وفلسفة في الحياة . فهي اذن الحياة الفكرية النامية المنبثقة من اعماق النفوس والخارجة من القلوب .

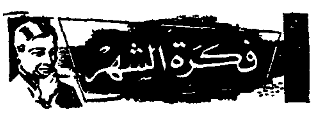
فاذا اخذت الكلمة الواحدة في لغة من اللغات وجدت انها تحوي ما مرت به الجماعة من اختبارات تاريخية وتجارب ، تجمعت كلها في تلك اللفظة . وإذن فالجماعة التي تعرف من هذه التجارب قلة تكون الفاظها محدودة . والتي تمر بها اختبارات عقلية فكرية روحية وثابة خلاقة تنمو الفاظ لغتها . وهذا هو مصدر الثراء العقلي ، والشعور الفياض . وبقدر ما تكون اللفظة وحدها لبنة خاصة ، فانها عندما توضع في جملة معينة تصبح جزءا من البناء . واذن فهذا البناء هو الذي يجب اعتباره نقطة انطلاق في فهم القارىء للكاتب والمستمع للمحدث .

على ان هذا ينقلنا الى امر اخر . ذلك هو ان الكاتب والقارىء والمتحدث والسامع يختلفون في مدى استعدادهم ومعرفتهم لهذه « اللبنات اللغوية » ، ومن ثم يكون مدى تفاهمهم وتبادلهم الرأي متوقفاً على هذه المفارقات الفردية . فالشاعر او الكاتب الذي اغترف من مناهل الفكر ، واتصل بالحياة اتصالاً وثيقاً ، تبقى في نفسه من هذه الامور كلها اشياء تتفاعل وتتصادم فيخرج منها شعره او نثره شاملاً لها جميعها او معبراً عما يحترب في ضميره من متناقضات او يجيش في وجدانه من ثورة .

ويترتب على ذلك ، فيما نرى ، انه عندما يكون هذا الوجدان هو موضع القصيدة او المقال تتأثر محتوياته بظروف الشاعر او الكاتب واحواله ، كما يتأثر حديثه وقوله بذلك . فكلمة « تضحية » تعني في وجدان الحب غير ما تعنيه في وجدان الوطنية او الاحسان . ومثل ذلك يقال في القارىء والسامع . فاذا كان في وضع نفساني يتفق مع روح المقروء او المسموع كانت لهذا في نفسه رنة اقوى وصدى اعمق وتأثير اكبر . اما اذا كان اختباره الشخصي يتناقض تماماً مع روح المكتوب او المقول ، كان تأثره ضحلاً ضئيلا .

ويخيل الينا ان الذي يمكن ان يستخلص من هذا ومن غيره هو ان الثروة الفكرية للفرد او الجماعة هي هذه الالفاظ والتراكيب التي يملكها الفرد او الجماعة . ولا يمكن للناس ان يفكروا خارج نطاق هذه اللغة التي يملكون ناصيتها . وبقدر ما تتسع هذه يتسع تفكيرهم وينضج .

والأمة التي تستمر لغتها نامية قوية نابضة بالحياة غنية بالفكر مليئة بزيادة من التجارب ، هذه الامة تسير قدماً نحو مشاركة العالم في نتاجه الفكري وتعمل جاهدة في سبيل الخلق الفكري ايضاً ؛ اي انها تحصل على حقوقها وتقوم بواجباتها . اما الامة التي تتجمد لغتها ، فهي التي يقف نموها ويتحجر تفكيرها ، فتفقد المقدرة على المشاركة ، كما تفقد ، بطبيعة الحال ، المقدرة على الخلق والابداع .



الندوات الأدبية والنزعات التحررية العربية في القرن التاسع عشر

بقلم الدكتور جبور عبد النور

جهل الشرق في القرن التاسع عشر الندوات الأدبية ، وقد اقتصرت الجمعيات فيه على زوايا المتصوفين والرهبان المتعبدين وحلقات تعليمية تعقد في أروقة المساجد. اما التآلف الفكري، والتباسط الأدبي ، والمذاكرة العقائدية ، فلم تكن شائعة او مألوفة آنذاك ، وإن توصل العباسيون في بغداد والفاطميون في القاهرة الى شيء منها ، بل شاع آنذاك ما اطلقوا عليه اسم المناظرة ، وهي نوع من العراك الدامي شبيه بما نعرفه عن عراك الديوك ، ينتهي بمنتصر منتفخ الأوداج ، ومندحر مدمى الخاطر .

اول من ولج الباب في لبنان رجال الارساليات البروتستنتية. وجدوا في الاجتماعات التي تضمهم الى اهل البلاد ، ولا سيما الفئة المختارة منهم ، فرصة سانحة لبث فكرتهم والتأثير بواسطتها في مختلف طبقات الشعب . فانتظموا ابتداء من عام ١٨٤٧ في ندوة عرفت باسم « الجمعية السورية » مع جماعة من الفتيان الوطنيين الذين تفتحت عيونهم على انوار الحضارة الحديثة ، وأدركوا مدى تأخر بلادهم عن موكب التمدن . واشار المستشرق رينو الى هذه الندوة في إحدى جلسات الجمعية الآسيوية على انها حادث عظيم يسترعي انتباه الاوربيين ويستوقف الباحث [١] . قال :

« ما عتمت ان غدت مركزاً تتآلف فيه شخصيات مثقفة مختلفة من اللبنانيين ومن الاوربيين والاميركيين. ومن هؤلاء المرسلون الاميركيون البروتستنت وعلى رأسهم عالي سمث الذي قام برفقة ادوار روبنسن برحلة استكشافية الى مواطن التوراة ، ووضعا في وصف ما شاهداه مصنفاً طبع في نيويورك ولندن ولاقى رواجاً كبيراً . وهذه الجمعية هي ثمرة من نتاج فانديك ، وكان آنذاك ، اي عام ١٨٤٧ معنياً بالاشراف على مدرسة عبيه العالية وتأمين الكتب الضرورية لها . ودرج على النزول مع صديقه ورفيقه المعلم بطرس البستاني الى بيروت على ظهور البغال لحضور الاجتماعات والاسهام في نواحي نشاطها . وأول ما عني به عناية خاصة انشاء مكتبة منظمة حسب الترتيب الغربي جمع فيها ما يقارب خمسمائة مجلد ، بعضها بالانكليزية والفرنسية. وعين يوم الجمعة لتوزيع الكتب على المشتركين . ووضع فانديك بنفسه قانوناً عاماً في خمس عشرة مادة اصبح من بعد نموذجاً يحتذى في تنظيم الندوات الادبية . »

اما الجلسات فهي كناية عن محاضرات يعدها اختصاصيون ويلقونها على الاعضاء ، وتتناول بالمعالجة الدقيقة الموضوعات المتفرقة . ويدعى اليها بعض الزائرين احياناً .

وقد نزلت الجمعية السورية منذ نشأتها اوضاً اغرتني الى مثل هذه الموائد الفكرية وأخذ كل مثقف في سورية ولبنان يحلم بالانضواء تحت لوائها . واثارت في اربع سنوات ، من ١٨٤٧ الى ١٨٥١ ، في البيئة الراقية رغبة في المطالعة والتنقيب وتحري الحقيقة . وعقدت اثناء ذلك ثلاثاً وخمسين جلسة ما خلت واحدة عن دراسة قيمة او مناقشة حول موضوع علمي او ادبي او تاريخي . وجمع المعلم بطرس سنة ١٨٥٢ اهم هذه الدراسات وطبعها بعنوان : « اعمال الجمعية السورية » .

غير ان الاعمال الكثيرة التي قام بها عالي سمث، من ترجمة للتوراة وإدارة للمطبعة الاميركية ، حالت دون متابعة نشاطه ، واصيب فانديك بالتيفوئيد فلازم الفراش مدة من الزمن فتفرق الاعضاء ، وتعطلت الجلسات ، وزالت الجمعية السورية من الوجود .

وسارع الاباء اليسوعيون الى اتباع خطى زملائهم البروتستنت . فأسسوا عام ١٨٥٠ ندوة ثانية بدأت جلساتها في السابع عشر من شهر كانون الثاني، واطلقوا عليها اسم « الجمعية المشرقية » . ضمت ادباء كثراً ، منهم لبنانيون ، ومنهم اجانب ، تحفزهم جميعاً عاطفة المودة ، ويوحد بين اهدافهم حبهم العلم والتعاون في تحصيله . ومن اعضائها الغرباء الأب هنري برونيير (١) رئيسها، والدكتور سوكه ، وهو طبيب شهير احب لبنان حباً صادقاً واخلص في خدمته . واعتمدت العربية لغة رسمية في المباحث والمناقشات وكتابة المحاضر ، واستخدم الغرباء الفرنسية التي عقد بها الدكتور سوكه دراسات نفيسة في الطب وعربها العضوان نعمة الله قيقانو وداود برتران .

سهل الآباء للجمعية سبل العمل ، فأنزلوها مكاناً لائقاً ، وزودوها بمكتبة للمطالعة ، وساعدوا الاعضاء في توسيع مراجعاتهم واذنوا للجمهور بالاستماع الى المحاضرات بعد ان احتفظوا للعضو وحده بحق الاشتراك في المناقشة. اما المباحث العامة التي دارت حولها الاحاديث والمناظرات ففي الشؤون الجغرافية والتاريخية والاقتصادية المتعلقة بالديار الشامية . غير ان نشاطها لم يستمر وقتاً طويلاً ، بل كان متقطعاً، وخف في العام الثاني بعد انشائها ، الى ان اندثرت في سنة ١٨٥٢. ومن الاعضاء الذين انضموا اليها واشتهروا من بعد نذكر: حبيب اليازجي ، ابراهيم مشاقه ، طنوس الشدياق ، ابراهيم النجار .

اذا انعمنا النظر في هاتين الجمعيتين اللتين لم تعمرا الا قليلاً من الزمن اتضح لنا الامران التاليان :

---

(١) Reinaud, De l'Etat de la littérature chez les populations Chrétiennes Arabes de la syrie.Paris 1856 p.8

(٢) عنوان هذا الكتاب : Biolical researches in Palestine, Hount sinaï And Arabia Petroca, plnsieurs volumes in 80 نقل قسم منه الى العربية في جزئين ؛ وصدر في مطبوعات وزارة التربية الوطنية

الاول : انها من صنع المرسلين وتهدفان الى غاية واحـدة هي التي نلمسها في المؤسسات الثقافية الاخرى كالمدرسة والمطبعة والجريدة ، اي بث الدعوة الدينية عن طريق تنوير الاذهان .

الثاني : ان صبغتها الدينية المسيحية حصرت نشاطها في بيئة محدودة وقصرته على فئة معينة من الناس .

غير ان هذا الاسلوب من التفاعل الفكري والمذاكرة العلمية ما عتم ان راج في لبنان وتعدد مؤيدوه ولا سيما بعد حوادث ١٨٦٠. فقد تبين للطبقة المتنورة من الوطنيين ان المآسي التي تعاقبت عـلى بلادهم منشؤها التنافر والتباعد بين مختلف الطوائف، وان التآخي والتصافي لا يتمان الا بالتفاهم، ولا يتيسر التفاهم الا بالاجتماع والمناقشة الحرة وتبـادل الاراء ودراسة الاسرار الـكامنة وراء النهضة الغربية والانحطاط الشرقي . وتبلورت هذه الفكرة بعد مرور ست عشرة سنة على تعطيل الندوتين السابقتين. ففي عام ١٨٦٨ ظهرت الجمعية الادبية المختلطة الاولى ، تضم في صفوفها نخبة من الادباء والمفكرين المسلمين والمسيحيين ، وعرفت باسم « الجمعية العلمية السورية » .

ومن الواضح انهـا انتظمت عدداً كبيراً من فلول الجمعيتين السابقتين ، وانها اثارت في البيئة السورية اهتماماً بالغـاً فتتبع الناس اعمالهـا ، وترقبوا اخبارها ، وعنيت السلطة التركية بشؤونها . وقد حضر متصرف بيروت كامل باشا جلستها الثانية إظهاراً لعطفه عليها وتأييداً لفكرتها . وازداد عدد المنضمين اليها مع الايام ، واتسع ميدان عملها ، وانضوى تحت لوائها اعضاء مـن مختلف الولايات العثمانية ، واذاعت نشرة ضمنتهـا الاحاديث والمحـاضرات التي تلقى في الجلسات ، وجعلت اشتراكها مائة وخمسين قرشاً لغير الاعضاء ، وخولت المشترك الحق في ان ينشر ما يكتبه فيها ، ويتابع الجلسات ، ويحضر مرة واحدة التمثيليات التي تقدمها الجمعية ، ويفيد من المؤلفات التي تضمها المكتبة . وفي النشرة هذه اشارات كثيرة الى الاعمال التي حققتها وانواع الدروس والمباحث التي استرعت اهـتمام افرادها . ونلاحظ ان الموضوعات العلمية قد راجت في مجالسها، امثال : الطب القديم [1] ، المجتمع والعادات [2] ، الآلة البخارية والكهرباء ، وعولجت باسلوب سهل طلي .

وقد استخدمت الجمعيه المسرح وسيلة في الاتصال بعامة الشعب لتعليمه وتهذيبه، ونفذت هذه الفكرة الجريئة، فعهدت الى بعض اعضائها في وضع روايات تمثيلية تتضمن مغازي خلقية او دروساً اجتماعية ، واقامت مسرحاً خاصاً عرضت عليه عدداً لا بأس به من التمثيليات ، منها للامير ارسلان رواية «الابن الشاطر» التي تحدث بها البيروتيون مدة طويلة من الزمن ، وعلقوا عليها ، وتناقلوا فحوى حوادثها في مسامراتهم اليومية . وفي العشرين من كانون الثاني سنة ١٨٦٩ مثلت رواية بفصلين لسليم شحاده بعنوان « الاخلاف بالوعد » ، ثم رواية ثالثة بفصل واحد للمؤلف نفسه بعنوان « المدنية الحديثة (٢١ نيسان سنة ١٨٦٩) . اما اشهر الروايات التي اظهرتها الجمعية وبذلت في اخراجها غاية الجهــد فهي « مجنون ليلى » لسليم البستاني في ستة فصول (١١ ايار ١٨٦٩) ؛ امتازت باسلوبها الفصيح بالنسبة الى ذلك العهد ؛ وبتجاوز النثر والشعر في مقاطعها . وقد حضر تمثيلها متصرف بيروت .

اما كيف انتهى أمر هذه الندوة النشيطة ؛ وما البواعث الـتي دعت الى انطفائها فليس في وثائق ذلك العهد توضيح للامر . كل ما نعرفه انها توقفت فجأة عن طبع نشرتها وعقد جلساتها. ومن الجائز ان السلطة التركية غضبت على بعض أفرادها او شكت في أخلاصهم فقضت على الجمعية بكاملها .

وقد توقف العمل في هذا الميدان الى عام ١٨٨٢ ؛ وهو عام عرفت فيه البلاد شيئاً من الحرية ؛ فانتظمت فئة من الفتيان المثقفين في جمعية جديـدة عرفت باسم « المجمع العلمي الشرقي » من مؤسسيها : صروف ونمر وولـيم فانديك ومكاريوس وورتبات . ثم انضم اليهم بعد قليل شبان زاخرة صدورهم بحب الاطلاع ؛ منهم : سليمان البستاني ؛ ابراهيم اليازجي ؛ جرجي زيدان ؛ المعلم ابراهيم الحوراني وإسبر شقير . ولم تعمر هذه الندوة الا ثلاث سنوات فقط ؛ وانتهت الى التوقف والتلاشي بعد ان رحل معظم اعضائها الى مصر في عام ١٨٨٥ هاربين من الطغيان التركي .

وليس في قصدنا استعراض جميع الندوات التي ظهرت في لبنان ، صغيراتها وكبيراتها ، فإن عددها قد بلـغ اثنتي عشرة جمعية . ولكننا نود هنا ايجاز الخصائص العامـة التي تميزت بها والصفات المشتركة التي توحد بينها . فمن سماتها :

اولاً – انها قصيرة العمر ، تنشط زمناً محدوداً، ثم تقوم في وجهها العراقيل فتحول دون تطورها واتساع آفاقها .

ثانياً : ان رضى السلطة التركية عنها شرط اساسي لا تتوافر لها الحياة بدونه . ويتأدى عن تغيير الوالي أو المتصرف تبدل في عملها وفي مصيرها . ويتعلق بقاؤها أو زوالها برغبة الحاكم، فإذا سر منها نشطها ، ودعا الناس الى الدخول فيها ، وإذا ساءه منها امر عابر أو كلمة بدرت من عضو فيها ضيق عليها الخناق . وقد جاء في كتاب « عبرة وذكرى » لسليمان البستاني اشارة الى والٍ نزل دمشق عام ١٨٧٥ فأخذ بيد جمعيـة « زهرة الآداب » التي ألفها البستاني وضمت اعضاء من مختلف الطوائف، وسعى لدى الباب العالي في الحصول لها على الترخيص الضروري .

ثالثاً : ان نشاط هذه الندوات لم يقتصر عـلى ما ذكرناه آنفاً من عمل ظاهر ، بل كان الاعضاء في مجالسهم الخاصـة

---

(١) القاها الشيخ ناصيف اليازجي في جلسة ١٥ حزيران سنة ١٨٦٨ (اعمال الجمعية السورية ، ج ١ ، ص ٢٣٥ – ٢٤٨) .

(٢) القاها المعلم بطرس البستاني في ٤ ايار سنة ١٨٦٩ .

يتداولون البحث في القضايا الاجتماعية والسياسية ويقارنون بين حالة بلادهم والبلدان الراقية، ويوازنون بين النظم المتبعة في الخلافة العثمانية والدساتير التي تنظم الحكومات الاوروبية والاميركية. وينتهون من كل هذا الى محصّل خطر على الأتراك.

رابعاً: في هذه الندوات اختمرت الأفكار التحررية والثورية، ومنها انبعثت الدعوات الى الحكم الدستوري وإلى المطالبة بالاصلاح في إدارات الدولة. وقد بدأ كثير من المصلحين الأحرار حياتهم الفكرية في هذه الجمعيات، ثم انتقلوا من بعد الى ميادين فسيحة من النضال السافر.

★

والواقع ان موقف السلطة العثمانية من هذه الندوات املاه الخطر الناتج عن احتكاك الافكار وخوف الحكام مما يتأتى عن ذلك من اضعاف الرابط الذي يشد بالولايات الى الباب العالي. فما كان بعض هذه الجمعيات، ولا سيما التي ظهرت حوالي ١٨٨٠ الا ستاراً يحجب وراءه عملاً منتظماً لمحاربة الاتراك واضعاف نفوذهم. ففي عام ١٨٧٥، اي قبل تولي السلطان عبدالحميد بسنتين اجتمع خمسة فتيان من خريجي الكلية الانجيلية السورية واسّسوا جمعية سرية، وسعوا للاتصال بشبان آخرين من مختلف الاديان واقناعهم بالعمل الخفي لتحقيق الاصلاح في البلاد بحيث بلغ عددهم بعد قليل اثنين وعشرين يؤلفون الزهرة المثقفة النشيطة واحدثوا لجمعيتهم فروعاً في دمشق وطرابلس وصيدا. اما العمل الذي لجأوا اليه فقد اقتصر على عقد اجتماعات سرية لتبادل الرأي ومناقشة الخطط وحاولوا باتصالاتهم الخاصة بالناس والمقربين منهم اذاعة افكارهم الجديدة وتوضيح المصائب التي توالت على البلاد وما ينتظرها من خير عميم اذا تحققت بعض الاصلاحات الضرورية. وما كانوا يجرؤون آنذاك على التلفظ بكلمة انفصال او استقلال تام عن الاستانة، وانما اقصى ما يرجون له لامركزية تسمح لسكان البلاد بمبادىء الحرية. وبعد مضي ثلاث سنوات على النشاط المستور في بيئة محدودة قرروا توسيع ميدانهم والانتقال الى مرحلة جديدة. فاخذوا يكتبون المناشير المغفلة يلصقونها على جدران الشوارع. وذلك انهم يبدأون بصوغ النص، ثم يخرجون منه نسخاً عديدة بخط معمّى ويسيرون في ظلمة الليل وآنية الصمغ في جيوبهم فيعلقون اوراقهم في المدينة. وعند الصباح يقبل الناس عليها ويقرأونها او يستمعون الى تلاوتها، إلى ان يأتي رجال الشرطة فيمزقوها ويوقفوا بعض المتجمهرين. وتتوارد الاخبار على بيروت بان امثال هذه المناشير قد وزعت في مدن اخرى كدمشق وطرابلس وصيدا. وتثير المناشير تعليقات مختلفة في البيئات الوطنية، ويتنقل اعضاء المنظمة من مكان الى آخر مسترقين السمع الى احاديث الناس واقوالهم، ثم يعيدون الكرة فيدبجون البيانات الجديدة ويضمنونها توضيحاً لما اشكل في الاولى، او يردون على الخصوم والمجادلين، ويتفننون في تنويع الصياغة وتبديل الخط ويقعون في اخطاء مقصودة في الاملاء والانشاء بحيث يخفون حقيقة امرهم فلا تظهر من خلال الاسلوب شخصية المنشيء.

وقد تضمنت المناشير حملة عنيفة على الحكومة التركية وتحريضاً للسكان العرب على الثورة للتخلص منها مما أثار السلطة في الاستانة ودمشق، فأرسل السلطان رجال خاصته الى بيروت للقيام بالتحريات اللازمة. ففاجأوا الناس في منازلهم، وفتشوا الخزائن والأدراج، وأوقفوا المشتبه بهم. وشاع آنذاك نبأ يقول ان والي الشام مدحت باشا وواضع الدستور ١٨٧٦ هو الذي أسس هذه الجمعية السرية او على الأقل شجعها وسهل لها العمل. وقيل انه سعى لفصل الولاية الشامية عن السلطنة ليعلن نفسه ملكاً عليها كما فعل محمد علي باشا في مصر. غير ان هذه الاشاعة لم تثبت، وبعد ان استدعاه السلطان الى الاستانة ظلت الحركة ناشطة مدة ثلاث سنوات. غير ان الأعضاء، بعد ان تبينوا التدابير الزجرية التي اتخذها الأتراك والخطر الذي يتهددهم مع أسرهم، والموت الذي ينتظرهم على المشانق، قرروا إيقاف نشاطهم. فتعطل عملهم، وهاجر رجال الجمعية الرئيسيون الى مصر. وبقي أمرها وأمر هؤلاء المتآمرين سراً خفياً، فلم يتصل بالحكومة وبأفراد الشعب شيء عن خفايا هذه الحركة. وحاول جورج انطونيوس مؤلف كتاب: «يقظة العرب [١]» كشف

(١) George Antonius, The Arab Awakening

بعض الحجب عنها لمعرفة أسماء الأعضاء ، وأنتهى به التحقيق الى ان منهم بدون شك الدكتور فارس نمر ، ومن المعتقد ان رفاقه هم يعقوب صروف وجرجي زيدان وإبراهيم اليازجي . ولم يحتفظ بنص المناشير إلا في مكتب الوثائق العامة اللندنية في مراسلات القنصل الانكليزي في بيروت . منها نص برقية من قنصلية بيروت بتاريخ ٢٨ حزيران يقول : « ظهرت في بيروت مناشير ثورية . يتهم مدحت باشا بوضعها . الهدوء سائــد . التفاصيل في طريقها اليكم » .

وقد تحرينا هذه المشكلة في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريس فعثرنا فيها على بعض الرسائل والنصوص التي توضــح ناحية من هذه المؤامرة الخفية التي تعد اولى المؤامرات من نوعها في البلاد الخاضعة للدولة العثمانية . غير ان هذه الوثائق لاتتوصل الى إماطة اللثام عن أسماء الشخصيات العاملة ، وإن وضحت الأغراض ، وتضمنت نصاً كاملاً من هذه المناشير منقولاً الى اللغة الفرنسية . فقد كتب القنصل الفرنسي بتاريخ الثلاثين من شهر كانون الأول سنة ١٨٨٠ الى وزير الخارجية يقول : « ان المشكلة التي تثار الآن وتستأثر بنوع خاص باهتمام الحكومة التركية هي معرفة واضعي المناشير الثورية . فان جميع التحقيقات لم تثمر . وتروج على الالسنة الافتراضات الغريبة ؛ من ذلك ان جريدة « الديبا » الفرنسية قد نشرت ترجمة لأحد المناشير فاعتقد المسؤولون هنا اننا معنيون بهذه الأمور . لذلك يحاولون تأويل القضية كما يلي : يزعمون ان هذه المناشير صادرة من فتيان مسيحيين متخرجين من المعاهــد السورية مشبعين بمبادىء روسو وجماعــة الموسوعيين ؛ ويودون القيام بثورة اجتماعية مدعين ان في وسعهم في مــدى سنتين رفع مواطنيهم الى درجة رقينا . وهذه الروايات تكاد تجعــل منا المسؤولين عن الاضطراب الذي يثار في البلاد » ١ .

ويضيف المصدر نفسه في مكان آخر : « في الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٨٨٠ ظهرت في بيروت مناشير اعنف من السابقــة . تطالب باستقلال سورية الداخلي وبادارة شبيهة بالتي تطبق في لبنان الخ . . وهدد الوالي بانه قد يطلب من الباب العالي اعلان الاحكام العرفية في سورية ويقوم وجهاء الطوائف ، ومنهم زعماء اسرة بيهم ، بتوقيع عريضة لــلوالي احتجاجاً على الافكار الخطرة التي تتضمنها البيانات طالبين الاقتصاص بشدة من المسؤولين عن هذه الأعمال الاجرامية » .

وفيما يلي نص منشور علـّق في مدينة طرابلس في التاريخ نفسه ولعله نسخة طبق الأصل عما قرأه البيروتيون على جدران مدينتهم ، وهذا النص منقول عن ترجمة فرنسية للأصل العربي :

رسم سيف

ايها المواطنون . .

تعرفون وقاحة الاتراك وطغيانهم وخلقهم الوحشي . وتعرفون ان القبضة

(١) Archives des Affaires Etrangères de France : Turquie - Beyrouth, le 30 Décembre 1880; N° 48.

٢١٣

من هؤلاء تسيطر عليكم وتستعبدكم وتتجر بحياتكم وأرزاقكم . فقد احتجز الاتراك جميع حقوقكم ؛ وثلموا شرفكم ؛ واحتقروا كتبكم المنزلة ، ووضعوا انظمة تقضي على لغتكم الشريفة بالفناء . وهم يعمدون الى جميع الوسائــل لتفريقكم وإضعاف قواكم . اختلسوا ثمرة اتعابكم ، ومنعوا عنكم حرية التنقل في بلادكم وحرية استعمال أملاككم . وأخيراً سدوا في وجوهكم منافذ التقدم ، واهانوكم واستعبدوكم وعاملوكم معاملة العبدان كأنكم لستم من البشر .

ولكن ، انتم بدوركم ، تذكروا انكم كنتم اسياداً ، فنبغ منكم رجال اشتهروا في جميع فنون المعــارف والنشاط البشري . وتذكروا انكم أنشأتم المدارس ، وعمرتم المدن ، وافتتحتم البلدان ، وقامت على لسانكم الخلافة التي اغتصبها الاتراك منكم .

انظروا حولكم ؛ وشاهدوا كيف يتعرض مواطنوكم للموت واية معاملة يسامون . انظروا كيف تُدار اوقافكم ؛ وتأملوا في هــذه الحقول التي اصبحت يباباً . عليكم ان تفكروا بالوسائل التي ترفع شأن بلادكم . الى الامام لتحطيم النير والتحرر . واعلموا ان الوقت قد حان لنستعيد حقوقنا . لنستيقظ من سباتنا ؛ لنتحد ولنمش على ضوء الحقيقة والعــدالة . تشجعوا واقتدوا باخوان لكم اقسموا بالا يتراجعوا قبل بلوغ الهدف الذي يرمون اليه من انقاذ الوطن من يد الغاصبين او يضحوا بحياتهم الثمينة على مذبح الحرية .

والآن بعد التشاور والاتفاق قررت اللجنة التنفيذية ان تطلب ما يلي قبل ان تعمد الى تحكيم السيف . اذا توصلتم الى اقناعهم برغباتكم فاننا نتمرس بتنظيمكم ؛ والا فاننا ندع جانباً الكلام والاحتجاج الفاشل ونحقق اهدافنا بحد السيف .. واليكم المطالب التي تقدمت بها اللجنة التنفيذية :

اولا : الاستقلال مع اخواننا اللبنانيين بحيث تؤمن مصلحــة الوطن وسعادة الشعب .

ثانياً : استعمال العربية لغة رسمية ؛ حرية مطلقة للفكر والصحافة : الكتب والمجلات والنشرات المختلفة . حرية العمل بحسب ما تقتضيه حاجات الرقي والمدنية

ثالثاً : استخدام جنودنا في خدمة وطننا فحسب لانقاذهم من استعبــاد الاتراك . ويتبع ذلك ابيات وحكم تؤيد المعاني الواردة في النص ١ .

في هذه الندوات الادبية والسياسية تفتحت عيون الراقدين ، واختمرت ثورة المتحررين ، ونضجت افكار المصلحين ، فكان من اثرهــا المباشر انبجاس ادب الثورة من اقلام الصحافيين والكتاب ، من امثال اديب اسحق والياس صالح وسليم سركيس ، واصطباغ النتاج الفني بصبغة الكفاح المرير ، وتبلور مثل عليا وطنية وانسانية في عالم الادب مما افاض على مصنفات ذلك العهد حرارة الحياة وقدسية الرسالات ، وكان من اثرها البعيد انبعاث عــالم جديد من الايثار والتضحية في سبيل الكرامة القومية تركزت في اعمال الجمعيات الظاهرة والخفية ، امثال : الاخاء العربي ، والمنتدى الادبي ، والجمعية العربية الفتاة ، والجمعيــة القحطانية ؛ والعلم الاخضر . ولكل منها تاريخ حافل بالوقائع الحاسمة .

جبور عبد النور

(١) Archives des Affaires Etrangères de la République Française ; Turquie - Beyrouth, Annexe à la lettre N° 51 du 15 Janvier 1881.

الظلام المخمور

القصة الفائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة «الآداب»

بقلم : غانم الدباغ

— أهه ! نفدت العلبة . ! سيكاير يا ولد ! هات علبة سيكاير (لوكس) .

— حاضر !

(.. الكأس الثانية والخدر اللذيذ بدأ يسري . اصابعي ، راحتاي ، قدماي . احس بها احياناً . او كأنها عتلتان احملها كالحمال الذي كان يرفع قضبان البناء هذا الصباح . صباح اليوم ، والربع الدينار ، إقترضته من بقال الحي . ربع دينار . فكرت في اقتراضه منذ الامس . ما أبشع وجهه . تجهم واربد ولكنه استل الدفتر المتهريء من درج تحت الميزان . دفتر الديون . قلّب صفحات عديدة . اسماء عديدة . ابراهيم افندي زميلي بالمدرسة معلم الرياضة . جارنا الحاج عبدالمجيد . سكر ، شاي ، علب دخان ، صابون ، كبريت ، كلهم يقترضون ، والدفع في نهاية الشهر . الراتب ضئيل . الحكومة وعدت بتعديل القانون . تكلم النواب في المجلس . خطبوا بالعامية ، ونشرت اقوالهم بالفصحى . حذفت من المحضر فقرات جريئــة . ارادوها حصيلة للانتخابات القابلة . ثرثرة . لا يؤمنون هم بها . !)

— تعال . ! بوي . مزة . !

— نعم ! لوبيا ام طماطة ؟

— طماطة !

(.. الطماطة . فيتامينات . ايّ فيتامــين تحويه الطماطة ، درستها بالفسلجة . العلم يتبخر ، الفلاسفة قالوا : آفة العلم النسيان ! قرأت امس عن الفلسفة اليونانية ، بحثوا عن الحقيقة . ما وراء الطبيعة ميتافيزيك لم يصلوا بعد الى حقيقة الطبيعة . هرعوا الى ما وراءها . اتصلوا مــع القمر بالرادار . الانسان . مسكين . بعوضة تبحث عن اكوان اخرى . تعيش في هذا الكون .)

— علبة كبريت . يا ولد !

(.. نفدت . كانت هناك واحدة على الرف في المطبــخ تستعملها امي . امي ثرثارة . حديثها عن الحنطة لا ينقطع . الحنطة بنصف دينار . نحتاج الى برغل هذه السنة . لا تفكر الا بالحنطة . غريزة البحث عن الطعام !. البصل . العدس . ماذا نأكل اليوم ؟ (دولمة) كل جمعة ، تقليد سخيف . غداء فقط . وجبة العشاء خبز وبطيخ . اللحم ثقيل . الدنيا صيف يا ولدي ! مسكينة طلقها زوجها قبل ربيعها الثلاثين . ابي لم اعرفه الا زمن الطفولة . ذكريات سحيقة له لحية كثة ، ورأيت مثله في الافلام المصرية . لا تذهب كل يوم الى السينما يا عزيزي كي ارضى عنك . حنانها ونصائحها . إني امقتها احياناً . متهالكة تحب نفسها في شخصي . عشها الزوجي الموءود تبنيه على اشلائي . علم النفس قال هذا . اقرأه بشغف . جيلنا مغرم بترديد (مركب النقص) . احدهم كان يلفظه مرْكَب . لا يا سيد سفينة ! حنق وهاج المركب في نفسه واوشك ان يغرق . ضحكنا . لم يتشدق بعدها !!)

— اربعة فلوس . يا عم . لله !

— هل تعملين خادمة عندنا !؟

— لا ! اربعة فلوس لله ! اشتري رغيف خبز . ابي اعمى !

(.. صغيرة وحلوة . ما اروعها بعد سنوات ، هذا الشعر إذا رجّله حلاق ! ساقاها الآن رفيعتان . بعد سنوات ستمتلئان . اردافها ستكتنز . فمها ملموم . اشتهيه كثيراً . ضمات ، قبل ، نشوة ..)

— ظلموني العواذل بحبك يا ولد !

(الموسيقى الشرقية . اكرهها . أمقتها . نغمات كئيبة . نقرات على (الدنبك) نواح . لا أعماق هناك . دائماً حشرجات وأنات . فرقعات صوتيــة ، قرود مقلدون ، يتملقون الشعب . وطنية ، قومية ! خداع . الشعب لا يريد ان يرتفع . هم سفوا بذوقه . « شوبان » حرر شعباً بموسيقاه !)

— سيداتي ! سادتي ! والآن تسمعون : وانا مالي ، وانا مالي ! للمطرب عبد الـ ..

— آه ايها الملعون . يا ولد اقفل الراديو !

— سيد . ! لا يوجد غير محطة !

(. قروي من تلكيف . يعيش في قوقعة . الحلزون لا يعرف

عالماً غير قوقعته . لا أجادله . آه الكتب . الموسيقى . في هذا الواقع العفن . الحياة بامية . أزقة آسنة . طفل يتغوط في الطريق . سطحنا محاط بجدران من الصفيح . أمي ترتدي عباءة وبرقعاً ، تخاطب بائع النفط من وراء الباب . خطبت لي مرة . اهـــل الخطيبة يرفضون ان اراها . الشرف يا بني ، بنت الناس . عاقلة مهـذبة ، درست للصف الســـادس . نعم تترك المدرسة بعد عقد القران . تطرز وتطهو جيداً . جميلة كصور الممثلات في المجلات . حلمت بها ليالي طوالاً . فتاة لحمها له طعم شهي . ولكن مئة وخمسون ديناراً ، متى اجمعها ؟ « فتحي » صديقي مأمور الاستهلاك دفع ثلاثمائة دينار . هل سرقها ؟ إذن لـماذا اخرجوه ، كلهم يسرقون، يرتشون ، انا ماذا اسرق ؟ طباشير ؟ كراسات ؟ الحكومة تكافح الرشوة ، من اين لك هـذا ؟ كل سنة يقع واحد في الفخ ، متى ينتهون ؟ كل ساعة تنهب آلاف الدنانير .)

— جريدة اليوم ، آخر الاخبار ، الساعة ، الوقت ، الايام .

(هـذا البائع الأعور ، يتجول بـين موائد المخمورين ، فلس واحد عن كل جريدة ، يستطيع ان يأكل ، كم طفل ؟ شقاء ! لا ، سعيد ، متزوج لا ! لا ! البغايا خير ، ها ! الزواج فضيلة ، نصف الايمان هه ! اطفال يعني المرض دائماً ، اطباء ! فساتين نايلون ، حنطة ، رهن ، ايجار ، كل شيء بالاقتراض ، أمك لا اسا كنها ، احذية ، كعك للعيد ، جاء الشتاء ، فحم ، معاطف ، برغل ،)

— تعال ! هات نسخة ، اعتداء اليهود على الحدود الاردنية مفاوضات الهدنة في كوريا ، إجتماع الاربعة الكبار ، سافر وزير الـ . ظهر اليوم ، معالي وزير الـ . يعتذر عن قبول تهانيء العيد ، سيقضيه خارج العاصمة ، انتقلت المرحومة الى ، قضت حياتها بالـ .

(أف ، شريط مسجل ، امزقها ، لا ! تفيد ، اغاف بهـــا كتاباً ، اتمنى احياناً ان اكون صحفياً ، صحافتنا هزيلة ، نفاق ، كذب ، مقالات مسروقة ، افتراءات ، مخصصات سرية ، منشورات للدعاية من السفارات الاجنبية ، نسخ متشابهة لاسماء مختلفة ، ذلك القذر ، كان يهدد بالتلفون احد شيوخ العشائر ، سيفضحه اذا لم يرسل له المبلغ المتفق عليـــه ، تتبعت اعداد الجريدة ، لم يظهر اسم الشيخ ، دفع المبلغ إذن ! رئيس قبيلة على الحدود يتعامل مع مهربي الماشيـــة عبر الحدود ، ثم الى اليهود ، العرب ، أهـه ! يريدون القضاء عـــلى اسرائيل ! مسخرة ! التاريخ يسير ، نحن نجترّ ، داروين قال بالتطور . كفر ، زندقة ، نظرية تحت التجربة ، إينشتاين والنسبية . الذرة تنفجر في صحراء نيفادا . الهايدروجينية أفظـــع . الكرة الأرضية ستفنى . الأشعة الكونية . قال معمم في المقهى ، الذرة جاء ذكرها في القرآن . هذه علامات الساعة .)

— السلام عليكم !

— أهلاً علي . تفضل !

— شكراً . معي اصحاب . سنجلس هناك .

(علي رجل طيب ، عرّفني به احمد . درست وأحمد معاً . كانت ايام المدرسة مبهجة . سرعان ما ذهبت . كان احمد شاباً قوي الجسم يلذ له مشاكسة مدرسيه . شباب . شباب اقوياء سيأ كلنا المدفع يوماً . ستطحننا القنابل . الحرب قريبة . هكذا تقـول الصحف بأحرف حمراء . لا ! السلام خـير . الساسة لم يجنّوا بعد ، نحن على الحدود . الدفاع المشترك . جـــدل في المقاهي . المقاهي مليئة بنا . فراغ . فراغ . فراغ . كلنا ساسة حتى ساقي القهوة . اضغاث احلام . شعور لامعة (بريل كريم) احذية عالية . سراويل (سرج) . قمصان بيضاء . جولات في الشوارع عند الأصيل . البيوت كئيبة ، لا نعرف النساء ، امي وخالتي ، أو عجوز تبيع الحناء ، تريد ان اقرأ لها الجريدة . لماذا تطالع لنفسك فقط ؟ ستفتح المدارس بعـد شهر ، ابواب الكليات تزدحم ، القبول إنتهى ، صبيح يتوسط بقريبه النائب . (علي) سيعمل في البلدية ، مراقب عمال ، تسعون بالمائة سيعملون في الأرياف أو يكافحون الجراد ، ثمانية دنانير وعـلاوة غلاء ، صحارى ، قفار ، مزابل ، اعراب ، اكراد ، سرقات ، فراغ . هذا الزحلاوي ، طعمه لاذع ، من زحلة يقطـّره معمل أميح في بغداد ، لست الوحيد ، نحن ألوف ألوف ألوف ، عزاء مخدر . (طه) يصـلي الأوقـات الخمسة ، ينظر إليّ شزراً لأني سكير ، هو لا يشرب ، لا يرتاد الماخور (ولد طيب) يحدق في المرأة بنهم ، أعزب ، تحت عينيه هالتان سوداوان ! أوه ! الساعة الواحدة صباحاً ، النُدل يوءّمون ، ذلك الطويل أغفى عـلى البار ، كبيرهم غاب ، الى داره ، إمرأة ، اطفـال ، فراش دافيء . أمي يعلو شخيرها الآن !)

— تعـــال يا ولد ! حسابك ؟ . اربعمائة ؟ هاك .. عشرة فلوس لك !

— أشكرك عمي !

(.. آخر سيكارة في العلبة ، إيه ! ستنتهي عند باب الدار الشارع مقفر ، الهواء منعش ، سيارة فخمة ، عُتل كان في ناديه قمار ، قهقهات ، الرصيف متعب ، أحجار ناتئة . توازني جيد ، شرطيان ، سبعـــة دنانير في الشهر من الصباح الى الصباح ، زوجاتهم يغسلن الصوف ، سيئات السمعة ، يقذعن في شتائمهن . هناك احجار بيضاء ، لا اكوام من الملابس الرثة ، لها رؤوس اجسامها مستلقية . ها ! حاصدون من الجبال ، اكراد ، إمرأة تضطجع بين الرجال ، لباسها طويل كجواري التاريخ ! ناموا يحتضنون المناجل ، غداً سيحصدون مئة فلس ، خبز جـاف وماء آسن ، من الجبال جاءوا ، عنب تفاح شلالات ، الحنطـة يريدون ، تصدر كل عام الى الخارج ، الحاصل وفير ، في الشتاء يستعر الغلاء ، السراديب مملوءة ، ليس ثمة حنطة في الأسواق ، النساء يبعن اصواف فرشهن والقدور النحاسية . ذكريات الزواج إمرأة أضاعت قبل عام دينـاراً ، باعت لحافها مع الصوف ، تبكي امام البائع ، طفلها يصرخ ، جمعوا لها دراهم ، لم تكف ثمناً لوزنة واحدة . ذهبتُ بعيداً .)

— هاو ! هاو ! هاو !

(كلب اسود ، إقشعر جسمي ، توازني سيختـل ، إنشل النخاع المستطيل ، لا ! اصابه الخدر ، ذلك الزقاق عن يمـين الشارع سأعرج الى اليسار ، ثالث دار باتجـاه يدي اليسرى ، فوقه مصباح كهربائي ، التيار مقطوع ، جميع الازقة مظلمة ، مكائن كهرباء جديدة ستشحن الى البلد ، اوصت بها الحكومة قبل عامين ، مهندس الكهرباء إنكليزي ، لا تبعث الحكومة طلاباً للهندسة الكهربائية . الدول الصغيرة لا تستطيع ان تقف وحدها ، الحياد مستحيل العـالم يضطرب ، وزير صرح بهذا ، ! الوزير واقعي ، مذكرات ، ازمة وزارية ، لتسقط الوزارة ، امتلأت الشوارع ، شباب ، فتيات نريد الجلاء ، يسقط الوزير ، فلسطين ، فلسطين ، فلسطين الموت للانكليز ، للصهايـــنة ، خوذ فولاذية ، هراوات ، رشاشات ، دماء ، جرحى ، قتلى ، مواضيع دسمة للجرائد . محاكمـة ذوي الافكار الهدّامة ، المدعي العام يتهم ، أقسى العقوبات ، الفقرة كذا صريحة ، الجلسة الثالثة ، معتقلات بعيداً ، بعيداً في صحراء الجنوب ، قلاع من القرون الوسطى ، عشر سنوات ، عشرون ، مراقبة ، سل ، موت ، احتجـــاج عرائض ، نساء يتضرعن ، اولادنا ! ! ، انصرفوا الى دروسكم الحكومة أدرى بواجبها ، إضراب ، تأجيل الدراسة ، احكام عسكرية ، سجون ، سجون ، سجون ، ألم نقل لكم ان إعطاء الحريات لهذا الشعب ليست من صالحه ، صرح وزير ، أيده المجلس اكثرية ، تصفيق .)

— هم م م م ، هاو ! هاو ! هاو !

— أشتت ! أشتت !

(الكلاب السائبة كثيرة ، جسمي يرتعش ، شعري يقف ! هذا لا يعقر ، نباحه مصطنع ، الخوف غريزة منذ عصر الكهوف ، عقلي في كهف معتم ، رعب ، رعب ، رعب ، في المقاهي شرطة من الشعبة الخاصة ، هذه الجريدة تكرهها الحكومة ، معارضتها عنيفة . ذهني مصفّد ، لا اعي شيئاً ، النوم ، آه . يجب ان انام ، الخدر اللذيذ ، الفراش ، بعد خطوات عشر ، لا ! عشرون ، غرفتي معتمة ، امي تنام على السطح . زر الكهرباء فوق الراديو ، أستطيع ان اضغط عليه ، قواي لم تتلاش بعد ، اني اندفع الى الوراء ، الى الوراء ، الى الوراء ، الباب ها هو ، رتاجه مفتوح قليلاً ، الزقاق امين ، لم اسمع بسرقة في هذا الحي ، شعب بسيط يؤمن بالقدر . لا يسرقون . لا يسرقون إمرأة تنام لوحدها . الدخينة ، آهه ، بصيصها يضيء ، لذعتني ، شفتاي تصلبتا ، علبتان من المساء حتى الآن ، الآن طبول في حمام ، الى الوراء ، الى الوراء ، الى الوراء ، ابتعد عني البـــاب ، آخ ! إلتوت قدمي سأمتنع عن الشراب بعد اليوم ، رأسي ليس معي ، احدهم أخذه بعيداً ، كيف سأدخل الدار !؟ احـدهم يدفع بي الى الوراء ، يدفع ، يدفع ، يدفع ، وشيش ، ش ، ش ش ش ش ، طنين ن ، ن ، ن ن ن ن و ش ، طبول في حمام احدهم يأخذني الى دهليز معتم ، حلم ، لا ! ظلام ، لا حلم ، ظلام ، لا احس ، لا انا احس ، لا احس ، لا اصابعي ليست اصابعي ، السيكارة ما خبا بصيصها ، الى فمي الى فمي ، وصلت ، كاوية !! الباب ، الباب ، رأيته ، بابنا بابنا اعرفه ، مساميره كما في ابواب السجون ، الباستيل سجن رهيب ، حلم ، ظلمة ، عتمة ، احدهم يدفعني الى الوراء ، هههه ، وش ، وش وش نننن وش ، ش ششششش ش ... ش)

الموصل — العراق



غانم الدباغ

رأي ... في القصص الفائزة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

لم تكن لي رغبة بان اشترك في اللجنة التي ألفتها « الآداب » للحكم في مسابقة القصة . ولكني اضطررت الى ذلك بسبب هذه الاقاصيص المتوالية التي شاركت في المسابقة ، والتي لم يكن معقولاً ان تُحال كلها على اعضاء اللجنة ؛ فكان لزاماً عليّ ان اقرأها كلها لأستبعد منها ما كان خارجاً على شروط المسابقة اولاً ، وما كان يكشف عن ضعف قصصي ظاهر ثانياً .

ولا اكتم القارىء الكريم أني أصبتُ اول الأمر بخيبة من هبوط مستوى الأقاصيص المشتركة . ولكني حين تأملت المسألة ، فطنتُ الى انه لا محلّ للشعور بالخيبة هنا . فنحن ينبغي لنا الا ننتظر من كتاب القصة القدامى والمارسين ان يتقدموا الى هذه المسابقة التي لم تدعُ الى اقامتها إلا الرغبة في تشجيع الأدباء الناشئين والمبتدئين .

ولكن ما لبثت المجلة ان تلقت في آخر مدة القبول بضع اقاصيص جيدة ذهبت بالخيبة وانعشت الأمل ، وكان خير هذه الاقاصيص في رأي اثنين من اعضاء اللجنة على الاقل ، اقصوصة « صفعة سوط » بقلم مطاع صفدي . وقد يكون غريباً الا يقوم الاجماع على اختيار هذه القصة للجائزة الاولى ؛ فهي تسجل ، في رأيي على الأقل ، امتيازات كثيرة تجعل الهوة بينها وبين سائر الاقاصيص الفائزة ، سحيقة جداً . وقد وقع اختياري للجائزة الثانية على اقصوصة « لاجئة » للدكتور بديع حقي ، وهي التي رشحها الاستاذ مارون عبود للجائزة الاولى ، ولكنها سقطت في نتيجة التصويت . وانا شخصياً اعتقد انها خير من الاقصوصتين الفائزتين بالجائزتين الثانية والثالثة ، موضوعاً واسلوباً فنياً . [1]

وايّاً ما كان ، فقد انتهت المسابقة الآن ، ونُشرت الاقاصيص الثلاث الفائزة ، وآخرها في هذا العدد . وقد رأيت ان ادلي برأيي فيها ، وهذا من حق القراء عليّ ؛ ثم ان من واجبي ان ابرر اختياري ، وفي هذا توضيح لموقفي الذي أملاه عليّ اجتهاد خاص يظل ، آخر الأمر ، قابلاً للنقاش .

★

انني لا اقرّ الاستاذ شاكر مصطفى [2] على ان قصة « صفعة سوط » « تدلّ على قلم لم يمارس القصة طويلاً بعد » . ربما كان صحيحاً ان هذا القلم ، قلم الاستاذ مطاع صفدي ، لم يمارس القصة ، وانا لم اقرأ له شيئاً قبل الآن ، على شدّة تتبّعي للأدب القصصي المعاصر في اللغة العربية ؛ ولكنّ هذه القصة بالذات لا تدلّ على قلمٍ مبتدىء في معالجة هذا اللون من الأدب ، بل هي تكشف ، بالعكس ، عن ان صاحبها ذو فن خاص ورؤية واعية . وأحسب ان في « صفعة سوط » من المزايا الفنية ما يسمو بها الى مرتبة رفيعة في القصة العربية الحديثة . ومن يدري ، فلعلّ الكاتب يمارس القصة منذ وقت بعيد ، ولكنه لا ينشر ، ولعلّه رأى ان ينتهز فرصة هذه المسابقة ليُخرج نتاجه من الظل ، وهذا اول الغيث ، فلننتظر الوابل !

إن اول ما يثير الاهتمام في تقنية في هذه القصة جانب التأليف والبناء فيها . فهي قائمة على ركائز متينة من الحبكة الفنية . واول هذه الركائز السرد الذي ينهض على تمثّل ناجز لموضوع القصة ، اتاح للكاتب ان يخرجه بصورةٍ توفرت لها اسباب النجاح . فقد كان يُلقي هذه العناصر المتمثّلة عنصراً عنصراً ما مضى في السرد . وانا احسب انه وفّق اجمل توفيق الى استغلال هذه العناصر في توضيح هذا الغموض المقصود الذي يطبع اول القصة . ولا ريب في ان القارىء يجد بعض المشقة في تخيّل الجو والموضوع من بداءة القصة ؛ ولكن هذه المشقة تقترن لديه بالفضول ، وإثارة الفضول مطلب رئيسي للقصة الناجحة . فاذا ما تابع القارىء المجتهد التلاوة ، رأى المؤلف يُلقي له بين حين وحين حطبة جديدة تضيف بعض النور الى ما غمض واظلم ، فينجلي رويداً رويداً .

وفي هذه الأثناء ، لا يوفر الكاتب على قارئه المفاجآت التي تلهب فضوله ، وهذه ركيزة ثانية للحبكة الواعية . ولكن هذه المفاجآت ليست هي في الحقيقة إلا نتائج يفضي اليها سير الأحداث طبيعياً . وهنا يبرز مظهر آخر من مظاهر الصناعة التركيبية لدى المؤلف . إنه يستبق هذه النتائج الطبيعية . فيكشف عنها في وقت لا ينتظرها القارىء فيه ، ثم يأخذ على عاتقه أن « يرتد » الى خلف ليسرد تلك الأحداث التي أفضت الى هذه النتائج . وأعتقد ان تلك « الاستباقات » وهذه « الارتدادات » تُكسب القصة قيمةً فنية رفيعة وتجنّبها الاملال والاضجار اللذين يرافقان عادةً السرد العاديّ المتطوّر . ولعلّ القارىء ، حين يتعمّق القصة ، يلاحظ انها تبدأ من نهايتها ، أي حين يكون البطل الرئيسي « أمجد » واقفاً يحملق في ماءٍ يلوح امامه من مسافة قصيرة تفصله عن هذه التي « وجد المكان لكي يجعلها نائية ابداً عنه » . وفي نهاية القصة ترديد لهذه العبارة ؛ ولكن الكاتب تمكن من ان « يضغط » الزمن الذي جرت فيه الأحداث بين هذه النهاية وتلك البداية ، حتى خيّل الى القارىء ان القصة لم تدم زمنياً إلا يوماً أو يومين . وهذا مردودٌ الى تلك القفزات والطفرات التي تثير الفضول ولكنها

(١) ستنشر هذه الاقصوصة في العدد القادم من « الآداب »

(٢) راجع باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » في العدد السابق ، شباط ١٩٥٤ .

لا تثير الدهشة أو الاستنكار . إن زمن القصة هنا هو زمن نفسي لا زمنٌ تاريخي . وما دام الكاتب قد استطاع ان يعبّر تعبيراً ناجحاً عن هذا الزمن النفسي ويَصِل فواصله فيما بينها وصلا منطقياً سليماً ، ويتابع تطوّر النفسية الرئيسية متابعة ليست فيها أوقات جوفاء ، فلا مجال بعدُ للقول إن القصة « طويلة الأحداث جداً طولاً لا تحتمله اقصوصة » كما هو رأي الاستاذ شاكر مصطفى . فليس مفروضاً للاقصوصة ان تكون قصيرة الاحداث ، وإنما المعوّل ان تنجح في تصوير جوّ ونفسية ، سواء تناول الموضوع احداثاً طويلة أم تناول فترة ازمة صغيرة. المهمّ ان يبلغ الكاتب الاستقطاب المركّز ، وأحسب ان مطاع صفدي قد بلغ ذلك في وصف هذا الصراع الذي كان يعصف بنفس أمجد المتوزّعة الممزّقة بين رواسب طبع السادة الذي اكتسبه من تربيته ، وإحساسه بالظلم الاجتماعي الذي ترزح تحته عشيرته وقومه الفلاحون . صحيح ان زمن القصة يتطاول الى أكثر من اربع سنوات ، ولكن ازمة الصراع تنتهي في شهر واحد . وما دام الكاتب قد بدأ قصته عقب هذه السنوات الأربع ، فإن بوسعه ان يستعيد احداثها بواسطة الهامّ العميق من ذكريات هذه الفترة . ولو أنه قد عني بسرد تفاصيل هذه الاحداث سرداً تطوّرياً سريعاً ، لكانت قصته حقاً رواية ملخّصة أو اقصوصة مكثّفة ، ولهبطت الى مستوى «السيناريو» الذي يهبط اليه كثير من اقاصيصنا العربية .

والواقع ان المؤلف يعمد الى بعض معطيات علم النفس في تحليله الذي يحلّق به في كثير من مواقف القصة . فهو يبدأ بالتداعي ، تداعي الافكار وتداعي الكلمات لينسج الخيوط الاولى للحبكة : الماضي «الشامخ» يتمثل في سامية تقف امامه بعد هذه السنوات الأربع ، فتذكّره بالحاضر الذي يشبه الوهم ، وتذكّره كلمة «الشامخ» بكلمة «الانوف» و «العنجهية» و « العزّ » . ولكنه مع ذلك كان يُعدّ نفسه لمثل هذه اللحظة ليبادرها خصباً عنيفاً « أنوفاً » . وفكرة المبادرة هذه تستدعي الى ذهنه مبادرةً اخرى واجه بها ابن عم سامية الذي كان يوماً واقفاً تجاه باب كوخ حقير ، لم يكن غير كوخ والد أمجد ، وكان يأمره بوجوب جني المحصول . وكان مفروضاً في الأب ألاّ يتقبّل يومذاك أي أمر ، فهو « لم يعد مجرد فلاح .. إنه ابو رجل مثقف » وهكذا يتحدث الكاتب عن هذا المثقف وعن نشأته ودراسته والمال الذي كان يُرسل اليه من اسرة «سامية»

ثم عن عودته الى القرية ليشعر والده بان بوسعه ان يرفع الآن رأسه . وفي ذلك اللقاء بالذات ، تلعلع فرقعة السوط على عنق أمجد .

في هذا القسم من القصة جمع الكاتب جميع خطوط الأحداث ، فكان عليه بعد ذلك ان ينجز رسم هذه الخطوط ويكسبها معانيها واتجاهاتها . وهو في ذلك لم يكن أقل براعة من فنان يضرب لوحته اول الأمر بلمسات سريعة من فرشاته ، حتى إذا تمّ له هيكل رمزي ، عمد الى الألوان والظلال يكسو بها ذلك العظم . وقد كان في كل قسم من القصة يلقي اولاً بالحدث الرئيسي او بالشعور الاعمق الذي هو نتيجة مرحلة اخرى من تطور هذا الصراع ، ثم يرتدّ اليه يُسلسله ويوضحه في لمسات حية من قلم صناع .

والحق ان هذه اللمسات السريعة من الحيوية والعصبية بحيث تكفي ، على ايجازها ، لنصب شخصيات متميزة في القصة . فحسبك ان تعلم ان نظرات سامية الى امجد – في البدء – كانت تحمل تأييداً غامضاً حتى تدرك ان في نفسها حباً مكنوناً لهذا الشاب الذي كان يأتمر باهوائها في حداثته . ويكفيك ان تراها بعد ذلك تمدّ اليه يدها بالسوط لنفهم انها تريده على الا يقاوم سلطانها الماضي عليه ؛ واذا الفيتها بعد هذا تغتبط لظهور ابن عمها في حياتها ، بالرغم من انها تكرهه ، ادركت ان امامك فتاة قلقة مترددة متوزعة بين حبها ورفعة محتدها ، وصمتها وتصريحها .

اما شخص البطل نفسه فمرسوم على غاية من الدقة . إنه نموذج الانسان الذي يصارع نفسه واعداءه ، ويظل يعاني هذا

النضال حتى ينتصر ويخطّ دربه في الحياة .

على ان شخصية « خديجة » تظل مبهمة نسبياً ، وهي الى ذلك تثير بعض الشك في صدق كينونتها ، بسبب هذه الرسالة القصيرة التي تبعث بها الى المجد والتي يصعب جداً ، اذا لم نقل يستحيل ، ان تصدر عن قروية فلاحة ، هذا اذا كانت قروية . ففي الرسالة وعي وادراك عميق لا تستجيب لهما اوضاع الفلاحين في بلادنا ، ولا سيما النساء فيهم . ولا شك في ان الكاتب شاء ان يخلق من « خديجة » رمزاً يدعو به الى مشاركة المرأة العربية الرجلَ في صراعه ، وهذه نزعة محمودة من غير شك ، ولكننا نحسب ان الكاتب لم يوفّق في تجسيمها والتمثيل لها بالنموذج الملائم .

ولا بد من الاشارة ايضاً الى ان طريقة «المونولوغ الداخلي» التي استعملها الكاتب قد لوّنت القصة وبثّت فيها تنويعاً غنياً زاد في حيويتها .

ومما لا ريب فيه ان فكرة القصة ، فكرة رائعة بمغزاها . انها دعوة الى مكافحة الاقطاع والاستغلال والظلم الاجتماعي في تجربة الارض بين المالك والعبد . وتلك آفة نشكو منها مرّ الشكوى . وامتزاج الموضوع بالتقنية الجمالية هذا الامتزاج الموفق الذي لا يُغلّب احدهما على الآخر ، وجمال اسلوبه ، على تفاوته ، وسلامة لغته ، كل ذلك قد دعاني الى ترشيح هذه القصة للجائزة الاولى . ولئن كنت شخصياً قد احببت فيها هذا الرمز الذي تنطوي عليه صفعة السوط في انطباع اثرها اول الامر ثم في امحائه ، فقد استثقلت فيها العبارة الاخيرة «ولكن متى ستمحي (صفعة السوط) عن عنق الملايين ؟ » وكم تمنيت لو اسقطها الكاتب ، إذن لأنجى الخاتمة من هذه اللهجة المنبرية الوعظية التي لا تنسجم مع فنية هذه القصة إجمالاً . وأحسب ان « صفعة سوط» كانت بغنى عن هذه العبارة التي لا تضيف شيئاً الى النزعة التي يقصد اليها الكاتب ؛ ولعله كان بوسعه ان يأتي بهذا المعنى ، إن اصرّ على ايراده ، عن طريق الايحاء بصورة او بلفتة قصصية .

على ان هذه الملاحظة لا تنتقص من قدر « صفعة سوط » ، فان فيها إرهاصاً بموهبة قصصية شديدة الغنى ، وافرة الامكانيات .

★

واما الاقصوصة التي فازت بالجائزة الثانية «سأربح الجائزة»، والتي رشحتُها للثالثة ، ولعلّ كاتبها كان يقصد بعنوانها الجائزة الاولى ... فانها من طينة اخرى ، لا نسب بينها وبين طينة القصة الاولى . إن الفكرة التي اوحتها فكرة طريفةٌ دون ريب ؛ بل هي من الطرافة بحيث تجذب القاريء وتستأثر باهتمامه ، وانه ليقرأها في كثير من الاقبال .

وواضح ان القصة تقوم على « لحظة نفسية » يعيشها الكاتب بسبب من هذا الاعلان عن مسابقة القصة .. ولكنّ هذه اللحظة تجمع اشتاتاً من المآسي والذكريات والمحاكات الفكرية ، ولا تتركز حول قطب بعينه . إن الاشخاص فيها اشباح لا تعيش حياتها قصصياً ، وانما هي تعيش انخطافاً في ضمير الراوي ، فهي بالنتيجة على الهامش . والحق انه كان باستطاعة الاستاذ انعام الجندي ان يطيل القصة بعدُ الى ماشاء الله ، ما دام همّه الاول ان يتحدث عن فلسفته في الحياة عَبْر احداث ضئيلة ، كما انه كان بوسعه ان يقصّرها الى نصفها . فان « الضرورة » القصصية مفقودة إذن في هذه الافصوصة التي تمتُّ بالاحرى الى المقالة . صحيح ان الافكار التي تنطوي عليها والنظرات التي تنبعث منها ساميةٌ ومؤثرة وموحية وواعية ، ونحن بحاجة اليها من غير شك ، ولكن العنصر القصصي فيها ضعيف جداً ، والنسيج الفني مهلهل الحبك . انها حديث نفسي ينقصه الاطار القصصي . وانا احسب ان الكاتب كان يستطيع ان يتناول طرفاً واحداً من هذه المآسي التي حشدها ، قصة لمياء التي اعتدى عليها الصهيونيون مثلاً — فان فكرتها تعدُ بغنىً قصصي — ويعالجها المعالجة الفنية المركزة ؛ وهو لن يعجزه ، إن كان مرهف الذوق الفني ، ان يحمّلها ماشاء من نزعاته ، بواسطة رؤية قصصية خاصة.

انها « موضوعٌ » موحٍ وطريف وواعد ، ولكنها « قصة» ضعيفة بالاجمال . وانما اخترتُها للجائزة لأنها ، على ما هي عليه ، خيرٌ من الباقيات .

★

والواقع اني ترددت طويلاً بينها وبين « الظلام المخمور » للاستاذ غانم الدباغ ثم آثرتها بسبب أنّ هذه الاخيرة أقل « جهداً » ، في رأيي ، منها . فهي تنهض فحسب على تداعي المعاني والكلمات ، يعبر عنه شاب مخمور جالسٌ في مقهى . انه في الحق موضوع طريف جداً ، وفيه نظرات قومية نافذة ، ولفتات فكاهية بارعة ؛ ولكنه لا يخرج ، آخر الامر ، عن ان يكون بحثاً متقطّع الحلقات ، لا قصة فنية محبوكة .

سهيل ادريس

الخسارة الجو

بقلم الدكتور جورج طعمه

بين المسرحيات التي وضعها الكاتب الاميركي « يوجين اونيل » مسرحية عنوانها « رجل الثلج يأتي » وهي رواية رمزية لها تفسيرات وتأويلات شتى لغموضها وصعوبة فهمها . ولقد شهدتها مرة تمثل على مسرح في مدينة اميركية . أذكر انني تعبت من مشاهدتها ، وضقت ذرعاً بها ، ووجدتها طويلة بطيئة مملة تحيط الذهن بقيد لا يستطيع الافلات منه . وتمنيت لو استطعت أن لا أتابع المشاهدة لولا لياقة اجتماعية ارغمتني على البقاء .

كانت هذه الرواية تمثل جماعة من عمال المناجم يعيشون في قرية من تلك القرى التي تتشابك سحب دخان المعامل فوقها باستمرار ، فتخلق جواً من الكراهية والكآبة . وتدور حوادث الرواية كلها في حانة من تلك القرية يتردد اليها نفر من هؤلاء العمال التعساء ، معظمهم جاوز العقد الخامس من عمره ، جمعتهم مشاكل الحياة ومصاعبها ، فكنت تراهم منتشرين في نواحي تلك الحانة المظلمة ، التي قضوا شطراً طويلاً من حياتهم فيها ، قدر ما قضوا منها في مناجم الفحم ، يتحدثون ويتحدثون . . وكان حديثهم غالباً ما يدور حول بؤس حياتهم وضيق أفقها وتبرمهم بعيشهم وضياع الآمال والزمن — . . هذا الزمن الذي يذهب ولا يعود . . وتمر سنة بعد سنة وافراد هذه الجماعة يعودون للحانة ذاتها . ويظلم الليل وكأنهم سجناء حلكته وادلهامه ، يحدقون في الافق البعيد . . وينتظرون حدثاً غريباً او اعجوبة خارقة تفك قيودهم وتطلقهم من المنجم والحانة التي يذهبون اليها وكأنهم مخدرون . . والتي التبس فيها ظلام الليل بعتمة الايام الفاحمة ، فلا يدرون كيف تتداول ايام حياتهم . . ولكنهم يحدقون ويطيلون التحديق . . في الافق البعيد الضائع ويغذون حياتهم بأمل قد يتحقق يوماً .

واخيراً تقع الاعجوبة الخارقة فتطل الشمس بنورها الساطع وينفتح باب الحانة على الذين ارغموا انفسهم على السجن فيها ، وتتاح لهم فرصة الخروج واحداً بعد واحد . فلا يكاد احدهم يخرج حتى يعود مسرعاً للمقهى الذي خرج منه وكأنه مصعوق ، لان عينيه لا تستطيعان ان تتحملا نور الشمس بعد ان اعتادت الظلمة ، وقدميه لا تقدران على المسير بعد ان تعودتا الجلوس الدائم او الوقوف في تلك الحانة . وتتكرر التجربة بالنسبة لكل واحد منهم ويحاول الخروج ثم يعود الجميع مرتدين خائبين .

وهكذا جاءهم الزمن بالفرصة التي ترقبوها سنين طويلة ، يحلمون بها ليلة بعد ليلة . . وها اليوم يأتي فإذا اول خطوة تكذب جميع ما حلموا به وتشوقوا لادراكه . وكانت المأساة في حياة هؤلاء التي يترك لخيال المشاهد وفكره ان يصل الى نتيجتها المنطقية هي فقدان الارادة في هذه الجماعة ، إرادة الحياة والكفاح والنضال بعد ان تعودوا سنين طويلة من حياة جامدة لا فعل فيها ولا عمل مثمراً يربطهم ارتباطاً عضوياً بالحياة الطبيعية التي يحياها جميع الناس ، بعد ان طابت لهم حياة مهلهلة على غير شعور وإرادة منهم — فاذا هي حركات جلوس ووقوف وثرثرة لا طائل تحتها . حتى الامل الغالي الذي تنسجه النفس بخيوط من نور يصبح هباء منثوراً أمام حياة خاملة جامدة . واذا كانت ثمة حقيقة نفسية تستنتج من هذا الوضع فهو ان المرء لا يستطيع ان يتلاعب بحياته . والمجتمع لا يستطيع ان يتصرف بحياة الفرد فيه فيصبغها تارة على شكل وتارة على شكل آخر . بل ان نوع الحياة التي يحياها المرء تفرض عليه نوعاً معيناً من الخلق والسلوك والتصرف يجد ذاته سجيناً فيه ، حتى حين لا يظن ان الامر كذلك . وإلا فما معنى ان تحقق الحياة أمنية غالية لانسان تمنى تحقيقها طيلة حياته حتى إذا بلغ قطافها بيديه وجد نفسه مشلولاً وإرادته مبتورة ويديه لا تستطيعان قطف الثمار ؟

وينسدل الستار على جماعة الحانة المظلمة وكأنما باب القبر قد أقفل على جماعة احياء ينتظرون الموت . .

*

تذكرت هذه المسرحية وتذكرتها بمرارة قبل ايام وانا استعرض ناحية محزنة مؤلمة من واقع حياتنا العربية . فلم تعد تلك المسرحية رمزية كما شهدتها اول مرة . . بل اصبحت قصة واقعية تنبض بالحياة : الحياة التي نحياها نحن ، ويحياها عدد غير قليل من أفراد المجتمع العربي .

لقد أتيح لي ان أطلع على نواح من حياة اللاجئين العرب لم يتح لي ان أعرفها او ان أطلع عليها من قبل . . فقد روى لي صديق يعنى مباشرة بشؤون اللاجئين ان نفراً منهم عرضت عليهم اراض لحرثها وزراعتها والاستفادة منها وبناء بيوت يسكنونها ويستعيضون عن سكنى الخيام الرثة وشقاء الحياة فيها وبكلمة

موجزة ان يعيش اللاجئون الحياة الطبيعية المعقولة التي يعيشها جميع الناس بما فيها من جهد وعناء وفرح و كفاح .

ولم يكن القصد من العرض الذي أشرت اليه ان ينسى اللاجئون بلادهم وقراهم وضياعهم وفلسطين ، ولكن أن يتأهبوا ويستعدوا وان يكونوا على الحدود كما توصل اليهود ان يكونوا على الحدود ، ان تكون قراهم قلاعاً ، وسهولهم مراكز للتدرب على القتال ، وفلاحوهم محاربين ونساؤهم وبناتهم محاربات مع الجيش . وأن يكون اللاجئون رجالاً اقوياء ، يبنون جيلاً قوياً شديداً يهيء نفسه للعودة والرجوع والثأر . وعوضاً عن ان يكونوا عالة على جسم المجتمع العربي أو نقاطه الضعيفة أو الحلقات المهلهلة فيه ، ان يصبحوا على العكس رماحه البارزة والدافع للعمل ، والذكرى القوية الحافزة للبقاء والتي تنشد بقاء حياً . ولكنهم ابوا ورفضوا وآثروا ان يستمروا على عيش الكفاف يتناولون القليل مما تجود به وكالة الاغاثة وهم مقتنعون ...

تساءلت عند هذا الحد من حديث صديقي : ترى هل قتلت ست سنين من حياة البؤس والتشرد والاكتفاء بالقليل والجمود عن العمل ارادة الكفاح والنضال في اللاجيء العربي كما حدث لسكان الحانة في مسرحية «رجل الثلج» ؟ قد لا يمثل هذا الوضع جميع اللاجئين العرب ولكنني اخشى ان يمثل قسماً كبيراً منهم . وهنا تنطبق الحقيقة النفسية التي اشرت اليها قبل قليل وهي ان نوع الحياة التي يحياها المرء تفرض عليه نوعاً من الخلق والسلوك والتصرف يجد نفسه سجيناً فيه حين لا يظن الأمر كذلك . فليس بوسعك ان تقتل ارادة الانسان اليوم لتحييها غداً . وان تشل إرادة الكفاح والنضال خلال خمس أو ست سنين لتبعثها حية في نهار أو ليلة . وقد يتلاعب المرء بأمور كثيرة ولكنه لا يستطيع ان يتلاعب بحياته كأنها طينة تتلوى بين اصابعه ليخرج منها الشكل الذي يريد حين يريد . وفداحة الخطب ان يتوقع شكلاً جميلاً فتخرج يداه ما انعكس في نفسه شكلاً قذراً بشعاً ممسوخاً . ويحاول حينئذ ان يخرج من البشاعة — هذه البشاعة التي فرضها على حياته وفرضتها حياته عليه — فيجد نفسه عاجزاً عن ذلك .

من نتائج المآسي في التاريخ ان تعزل الناس الى فرقتين أو تدفع بهم الى طرفين متقابلين : فإما قوم يحملون ثقل المأساة ليصبحوا ابطالاً . وإما قوم يرزحون تحت العبء ليصبحوا ركاماً . الفريق الاول يمثل إرادة الحياة والكفاح والخير ويلبي نداء الحياة فيه . والفريق الثاني يمثل إرادة الفناء والشر وتحطيم الحياة ويصم اذنيه لندائها .

واذا اردنا مجابهة الحقيقة دون خوف او تهرب او مواربة ، وتساءلنا هل كانت مأساة فلسطين في انتزاع ارض من اصحابها الشرعيين وتسليمها لشرّد الافاق بمساعدة الاستعمار ؟ وهل كانت النكبة في ضياع الاملاك والحقوق المشروعة ؟ وهل هي في الجرائم المنكرة البشعة التي ارتكبها ويرتكبها الصهيونيون على مرأى العالم المتحضر والتي ينفر منها كل ضمير حي ؟ وهل هي في تشريد مليون لاجيء عربي ؟

والجواب ان الخسارة في كل ذلك دون ريب او تردد . ولكنها ايضاً في اكثر من ذلك . الخسارة كل الخسارة انها خلقت في الجسم العربي ما يقرب من مليون لاجيء مشرد فقدوا بعد الفقر والجوع والاتكال ارادة الحياة والنضال . ان الصهيونية والدول التي تشد ازرها لتصفق لهذه النتيجة قدر ما تصفق لخسارة فلسطين ، لانها ذروة الربح لهم . وانه لمما يحز في النفس حقاً ان يساعد العرب انفسهم ، على غير معرفة وعن طيب نية ، على استمرار مثل هذا الوضع وبالتالي وبصورة غير مباشرة على تنفيذ رغبة الصهيونية المجرمة في ان يظل وضع اللاجيء على حاله وان تستمر ارادته ارادة فناء وتلاش واضمحلال .

ترى أليست هذه هي الخسارة الحق ؟

دمشق — **جورج طعمه**

حين قبّلنا الأرض..

قصة لمكسيم غوركي

نقلها الى العربية: منير البعلبكي

كانت * البحيرة الزرقاء الساكنة محاطةً بسلسلة من الجبال الشاهقة المكللة بثلوج أبدية، وكانت زخارف الحدائق الهندسية الداكنة تتماوج في ثنيّات مترفة تنحدر حتى حافة المياه. أما البيوت البيضاء البادية وكأنها مبنية من السكّر، فكانت تحدّق متأملة في صفحة الماء. وكان السكون أشبه برقاد طفل صغير.

الدنيا صباح. وعبير الأزهار يتضوّع حلواً من الكثبان. كانت الشمس قد أشرقت منذ لحظات، وكانت قطرات الندى ما تزال تلتمع على أوراق الاشجار ونصال العشب. أما الطريق فقد بدت أشبه شيء بشريط رمادي قُذِف به في قوة الى حلقوم الجبل الصامت. وكانت معبدة بالحجارة، ومع ذلك فقد تراءت ناعمة الملمس وكأنها المخمل.

والى جانب ركام من الحجارة غير المهذبة جلس عاملٌ من العمال، أسود كالخنفساء. كان وجهه ينمّ عن شجاعة ورقة شعور، وكان يحمل مدالية على صدره.

إنه يُريح يديه البرونزيتين على ركبتيه، ويرفع رأسه ليرى الى وجه عابر السبيل الواقف تحت شجرة الكستناء، ويقول:

— «هذه المدالية، سينيور، إنما مُنحتُها لقاء عملي في نَفَق سيمبلون.»

ثم يخفض طرفه ويبتسم في دعةٍ لقطعة المعدن المتلألئة على صدره.

— «أجل، كل عمل من الاعمال يكون شاقاً حتى يتغلغل الى عظامك وتتعلم كيف تحبه، وعندئذ يُثيرك، وتزايله الصعوبة. ولكنه لم يكن هيّناً، طبعاً!»

وهز رأسه في وَهَن، مبتسماً في وجه الشمس. ثم إنه استشعر النشاط فجأة، فلوّح بيده، وبرقت عيناه السوداوان:

— «كان احياناً مروّعاً الى حدّ ما. حتى الأرض لا شك تشعر بشيء، ألا تظن ذلك؟ فعندما أبعدنا في الحفر شاقّين جرحاً بليغاً في جانب الجبل تلقّتنا الأرض في باطنه بغضبة هائجة. كانت أنفاسها حارة، ففارت قلوبنا، وثقلت رؤوسنا، ودبّ الألم في عظامنا. والواقع ان كثيراً من الناس استشعروا الشيء نفسه! ثم إنها رشقتنا بالحجارة وغرّقتنا بالماء الساخن. وكان ذلك فظيعاً! وكانت المياه تحول حمراء حين يمسّها الضوء، في بعض الاحيان، فيقول والدي إننا جرحنا الارض، وإنها سوف تغرق جلودنا بدمائها! وكان ذلك مجرد خيال طبعاً، ولكن حين تسمع مثل هذا الحديث وأنت موغلٌ في باطن الارض، وسط الظلمة الخانقة، والماء الراشح على نحو فاجع، والحديد الذي يصرف صريفاً قارضاً على جنبات الحجارة — حين تسمع مثل هذا الحديث في مثل هذا الجو يخيّل اليك ان كل شيء ممكن. كان كل ما هنالك غريباً جداً، أيها السيد. لقد بدونا نحن الرجال اقزاماً صغاراً امام ذلك الجبل الذي كان ينطح السحب، الجبل الذي كنا نشق النفق في احشائه... كان ينبغي لك ان تراه لكي تفهم ما أعني

كان ينبغي ان ترى الفجوة المتثائبة التي أحدثناها، نحن الرجال الضئيلي الاجسام، في جانب الجبل، وكيف كانت الشمس تُتبعنا بصرها حزينة كئيبة ونحن ندخل الفجوة مع الضحى ونغذّ السير نحو جوف الارض. بل كان ينبغي لك ان ترى الى الآلات، والى وجه الجبل العبوس الكالح، وأن تسمع الدمدمة الهادرة بعيداً في اعماق الثرى، وأصداء الانفجارات التي كانت أشبه شيء بضحكات رجل مجنون!»

وتفحّص يديه، ومسّ الحاشية المعدنية المتصلة ببنطلونه الواسع الازرق، وتنهد في وهن.

ثم إنه أردف باعتزاز:

«الرجال يعرفون كيف يشتغلون! آه، سينيور، إن الرجل على صغره ليستطيع ان يكون قوة لا تُغلب إذا

(*) من كتاب «حكايات من ايطالية» لمكسيم غوركي، الذي يصدر قريباً في سلسلة «كنوز من القصص الانساني العالمي»

ما اراد ان يعمل . ولسوف يأتي زمان — إنتبهْ جيداً لكلامي — يصبح فيه الرجل — هذا القزم الضئيل الجسم — قادراً على ان يعمل كل ما يحلو له . إن والدي لم يكن يؤمن بذلك بادىء الامر .

« كان يقول : إن اختراق الجبل من بلد الى بلد تحدٍّ لله الذي فصل ما بين اجزاء الارض بجدران من الجبال ، ولسوف ترى ان السيدة العذراء سوف تخذلنا وتتخلى عنا ! ولكنه كان مخطئاً . فالسيدة العذراء لا يمكن ان تتخلى عن كل من يحبها من الناس . وفي ما بعد اخذ ابي يفكر بالطريقة نفسها التي افكر بها انا ، لأنه استشعر انه أكبر من الجبل وأشدّ بأساً ، ولكن كان ثمة أوقات كان يجلس خلالها الى المائدة ، ايام الأعياد ، وأمامه زجاجة من الخمر ويحاضرني انا وبعض رفاقي بمثل هذا الكلام :

« يا ابناء الآلة — وكان ذلك أحد تعابيره الاثيرة لديه ، ولا عجب فقد كان رجلاً صالحاً يخشى الله — يا ابناء الآلة ، ليس في ميسوركم ان تقاتلوا الارض بهذه الطريقة . انها سوف تثأر لجراحاتها وتمتنع عليكم ! سوف ترون : إننا سنشق طريقنا الى قلب الجبل نفسه ، حتى إذا لمسناه قذف بنا الى اللهب ، لان قلب الارض نار ، كما يعرف كل إنسان ! لقد أُمرنا بأن نحرث الارض لكي نساعد الطبيعة على مخاضها ، ولكننا لا نجرؤ على ان نشوّه وجهها او شكلها . انظروا ، كلما ابعدنا في الجبل غدا الهواء اشد حرارة ، وغدا التنفس اكثر عسراً ... »

وضحك الرجل في لين ، فاتلاً شاربيه بأصابعه :

« ولم يكن هو وحده الذي فكّر على هذا النحو . وفي الحق لقد كان ذلك صحيحاً . فكلما أوغلنا في قلب الجبل تعاظمت الحرارة ، وتضاعف عدد المرضى والموتى فينا . وتفجرت الينابيع الحامية تفجراً اشد واقوى ، وتطايرت اجزاء من الارض ضخمة ، وأصيب اثنان من رجالنا ، وهما من لوغانو بالجنون . وفي الليل كان كثير منا يهذون في الثكنات ، ويئنون ويثبون من فُرشهم في نوبة من الذعر ...

« وقال أبي ، وقد بدا الرعب في عينيه ، وازداد سعاله سوءاً : ألم اكن مصيباً ؟ ألم اكن مصيباً ؟ إنكم أعجز من ان تقهروا الطبيعة ! »

« واخيراً أقعده المرض فلم ينهض من فراشه بعدُ قط . كان رجلاً عجوزاً ذا عزم ، ولقد صارع الموت طوال ثلاثة اسابيع او يزيد ، عنيداً غيرَ متشكٍّ ، شأن الرجل العارف قيمة نفسه .

« وذات ليلة قال لي : لقد انتهت مهمتي ، يا باولو . إعتنِ بنفسك ، وامضِ الى البيت ، ولتكن السيدة العذراء معك ! ثم ران عليه الصمت فترة طويلة ، وأغمض عينيه ، وانشأ يتنفس في مشقة بالغة . »

وهنا هبّ الرجل واقفاً ، وألقى نظرة على الجبال وتمطّى حتى لقد طقطقت اوتار جسده .

« ثم انه امسك بيدي وجذبني الى قربه وقال : هل تعرف يا باولو ؟ انا احسب ان العمل سوف يُنجز ، برغم ذلك . ولسوف نلتقي نحن والذين يشقون طريقهم من الجانب الآخر في باطن الجبل . سوف نلتقي ، انت تؤمن بهذا ؟ اليس كذلك يا باولو ؟ فقلت له : اجل انا أؤمن به . فقال : حسن جداً ، يا بني ! هذا شيء صالح . يتعين على المرء ان يؤمن دائماً بما يصنع . يجب ان يكون واثقاً من النجاح ، مؤمناً بالله الذي يساعد ، بفضل صلوات السيدة العذراء ، الاعمال الصالحة على اختلاف ضروبها . إني اتوسل اليك ، يا بني ، لئن تمّ لكم ما تريدون ، لئن التقى الجمعان في باطن الجبل ان تفد على قبري وتقول : «لقد تمّ ذلك يا ابي ! » ولسوف اعرف عندئذ ! .

« وكان ذلك حسناً ، سينيور ، ولقد وعدته . وقبل يومين من وفاته سألني انا ونفراً من الرفاق ان ندفنه في البقعة التي كان يعمل فيها داخل النفق . لقد تضرع الينا ان نفعل ذلك ، ولكني أحسب انه كان يهذي .

« والتقينا نحن واولئك العمال الشاقّون طريقهم من الجانب الآخر في قلب الجبل بعد ثلاثة عشر اسبوعاً من وفاة والدي . وكان ذلك اليوم يوماً مجنوناً ، يا سيدي ! أوه ، ولا تسل عن الشعور الذي استحوذ علينا عندما سمعنا هناك ، في جوف الارض ، وسط الدجنّة ، اصداء العمل في الشقة الاخرى ، اصداء العمل الذي كان يقوم به اولئك القادمون للقائنا في احشاء

الارض ، اتفهم ما اقــول ، سينيور ، تحت ثقل الثرى الهائل الذي كان في مايسوره ان يسحقنا نحن الرجال الصغار ، ان يسحقنا كلنا بضربة واحدة ! .

« وطوال ايام عديدة سمعنا تلك الاصوات ، اصواتاً غائرة كانت تزداد علوّاً ووضوحاً يوماً بعد يوم ، فاستبدّ بنا ابتهاج المنتصرين الضاري ، واشتغلنا مثل العفاريت ، مثـل الارواح الشريرة ، فلم نشعر بالكلال ، ولم نحتج الى تحريض . آه ، لقد كان ذلك حسنـاً ، مثل الرقص في يوم مشمس ، أقسم لك ! وغدونا كلنا رقيقي الحاشية كرام النفس كالأطفال . آه ، لو انك عرفت كم تكون قوية ومتقدة تلك الرغبة التي تحـدو الانسان على ان يلتقي اقرانه في ظلمة ما تحت الارض حيث كان يحتفر كالخلد منذ اشهر متطاولات ! » .

وشاع الدم في وجهه لروعة الذكرى ، واقترب الى مخاطبه اكثر فاكثر منعماً النظر بعينيه الانسانيتين الى ابعد الحدود في عيني صاحبه ، ثم استأنف حديثه في صوت ليّن سعيد :

« وحين تفتتت، في النهاية ، آخر طبقة من طبقات الارض المعترضة ، واضاءت الشعلة الصفراء الزاهية تلك الفجوة، وبصرنا بوجه أسود تفيض من عينيه دمــوع الفرح ، وشعلات اخرى ووجوه خلفها ، قصفت صيحات النصر ، صيحات البهجة – اوه لقد كان ذلك اسعد يوم في حياتي ! وحين أسترجع ذكراه أحس ان حياتي لم تكن عبثاً ! وكان ذلك عملاً ، عملي انا ، عملاً مقدساً ، ايها السيد ، اقول لك ! وعندما خرجنا الى ضـوء الشمس خرّ كثير منا على الارض وضغطوا شفاههم عليها ، وهم يبكون . كان شيئاً رائعاً جداً كحكاية خرافية ! أجل لقد قبّلنا الجبل المهزوم ، قبّلنا الارض . وذلك اليوم استشعرت اني اشد صلة بالارض مني في أيما وقت مضى . لقـد احببتها ، سينيور ، كما يحب الانسان امرأة !

« وزرت ، طبعاً ، قبر والدي . انا أعلم ان الاموات لا يسمعون شيئاً ، ومع ذلك فقد زرته ، لانه يتعين على المرء ان يحترم رغبات اولئك الذين يعملون من اجلنـا ، والذين عانوا من المشاق مثل الذي نعاني ، أليس كذلك ؟

« أجل ، أجل ، لقـد قصدت الى القبر ، وخفقت الارض بقدمي ، وقلت كما قد امرني :

« لقد تم ذلك يا ابي . لقد انتصر الانسان . لقد تمّ ذلك ! »

نقلها الى العربية
منير البعلبكي

الخضرة الطافرة

يا نبضةً حرَّتْ خمــولَ الترابْ
فالثلج ينحــلُّ بزهو الهضــاب
وخضرةُ المرج بهــا طفــرة
تسلّقت اعتابَنــا والقبــاب ،
يا مرجُ يفديــك سريرُ الهــوى
بطيبه ، والوشوشات العِـذاب
ويا غمــامَ الزهـرِ ايُّ يــد
شدَّت الى الارض غمــام السحاب
وثقــلة العتــمة كيف هوتْ
جدرانُهــا وانشقَّ ذاك الحجــاب
عن قريتي الخضراء ، عن حفنــة
من أنجم ضاعت بخضر الشعــاب ،
عن مرح الشمس بأحواضنــا ،
وبيتنا ، عن لونهــا والخضاب ،
وعن دروب الغاب : يا حنــوة
الغاب عليها بالظــلال الرطاب ،
عن غيمة ترقــد في المنحــنى ،
وعن جبــال أبحرت في الضباب .

* * *

يا شِبَعَ العــين ويا رِيَّهــا
أنـَّى ارتمت او نهضت في الرحاب
يا قلبُ يا صفوَ غــديرٍ جرى
صحوُ السما فيــه وزهوُ الهضاب
حلمٌ ترى دنيايَ ؟ ام واقــعٌ ؟
اطيبُ من حلم برته الرغــاب !

بيروت الجامعة الاميركية
خليل حاوي

النتاج الجديد

مناهج الدراسة الادبية

تأليف الدكتور شكري فيصل

منشورات الخانجي بمصر – ٢٤٣ ص

•

كنت أود أن لا أتصدى لهذا الكتاب بالنقد والتعريف ، لولا أن فيه لوناً شاع في العهد الماضي القريب حتى أفسد الحياة والأدب ، ولم يتحرج من التسلل إلى البحث الجامعي الذي ينبغي ان يكون محرراً خالصاً لوجه العلم والحق ؛ وظهور هذا الكتاب في هذه الآونة التي يرفع فيها الستار عن ألوان الملق والمصانعة ، حجة بالغة على أن الدراسة الجامعية لم تسلم ايضاً من داء وبيل كان من أشد الادواء في حياتنا الاجتماعية والثقافية .

أما موضوع البحث فدراسة المناهج والقواعد التي غلبت على الدراسة الادبية والنظريات المتباينة ، ثم امتحان قدرتها ومعرفة حظها من الخطأ والصواب حتى إذا انتهى الباحث منها خلص إلى وضع منهاج خاص للدراسة الأدبية وفق ما وصل اليه اجتهاده ومراده .

ولقد اقتضت التقاليد أن لا تقدم الموضوعات الجامعية لأخذ الالقاب العلمية إلا اذا توافرت فيها الجدة والدقة وأدت الى رأي جديد وحقيقة ملموسة ، أو كشفت عن غامض مبهم ، على ان لا تكون دراسةً لمعاصر من الأحياء . أما الاستاذ شكري فيصل فلم يعبأ بهذه التقاليد ، وكان يهون الامر لو انه جعل مدار بحثه على طائفة من المؤلفين لم يكن فيهم استاذه المشرف على دراسته وامتحانه ، وهو الخصم والحكم بالموضوع ، سواء أكان مخالفاً لفكرته أم موافقاً لغايته . ولم يغب عن اذهاننا بعد ان طالباً مصرياً تقدم منذ عامين الى العالم الجامعي بروفنسال في جامعة باريس ببحثٍ عن توفيق الحكيم ليحوز فيه لقباً علمياً فَرُدَّ هذا البحث لأنه موضوعٌ عن معاصر من الاحياء .

قال المؤلف الفاضل في التعريف بكتابه انه لم يجعل من بحثه دراسة موصولة بمناهج الآداب الاجنبية مقيسةً عليها ، لأن المناهج تستمد خطوطها وألوانها من واقع الامور التي تعالجها . والادب العربي له واقعه وتاريخه ولا يستجيب لأنماط الدراسة في الآداب الاخرى ولا ينقاس عليها . فلا ادري كيف أجاز المؤلف لنفسه هذا المذهب وهو عزل أدبنا عن أدب الغرب وزعمه بانه لا يستجيب لغيره ، فكيف يقال هذا وأدبنا اليوم في نهجه الحديث وتطوره المعاصر إنما يتخذ من طراز الدراسة الادبية في الغرب مثالاً يحتذى ؟ وهل غاب عن علم المؤلف ان للأدب الفرنسي مثلاً ، وهو اقرب الآداب الينا ، مناهج للبحث والدراسة متعددة الفائدة منوّعة الاصول والطريقة ؟ ولقد كانت المناهج بعد عصر النهضة في اوربة مقصورة على العلوم الطبيعية والرياضيات ثم أدخلها الفلاسفة والمؤرخون بالفلسفة والتاريخ وجعلوا لها مناهج خاصة . وحذا حذوهم الباحثون المعاصرون . فمن خطأ الرأي ان نزعم ان ادبنا لا يستجيب لنمط الدراسة في الآداب الاخرى ولا يقاس عليها . فلو صح هذا لبقي ادبنا في معزل عن ادب العالم منطوياً على نفسه ، ولعاد الى الصحراء حيث كان ، ولولا انه مستجيب للتطور لما دخلت فيه المقارنة والموازنة بالتحليل والتعليل ، ولما ظهرت فيه اليقظات الحديثة وهذه النزعات التي تناولته من قريب او من بعيد .

ومن عجب ان يتناول المؤلف بالذكر من ألفوا كتباً في تاريخ الأدب العربي ، وينسى من كان أولهم وأسبقهم وليس دون أفضلهم ، وهو مصطفى صادق الرافعي ، وكتابه في تاريخ آداب العرب يعرفه الباحثون والمحصون . وقد اعترف الدكتور طه حسين بكتابه « في الأدب الجاهلي » ، وكانت بينهما خصومة مشهورة بأنه لم يعجبه أحد ممن ألفوا يومذاك في الأدب العربي إلا الرافعي « فهو قد فطن لما يمكن ان يكون من تأثير القصص في انتحال الشعر وإضافته الى القدماء كما فطن لأشياء اخرى قيّمة أحاط بها إحاطة حسنة في الجزء الأول من كتابه » .

لقد أعرض المؤلف عن هذا الكتاب القيم ، وجعل كتاب جرجي زيدان هو المثال للنظرية المدرسية . وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز طه حسين في كتابيه « ذكرى ابي العلاء » و « في الأدب الجاهلي » فعدَّه المؤلف ذا اثرٍ بعيد في تطور النظرية المدرسية . وفي العقد الثالث ظهر الاستاذ احمد امين في مؤلفاته « فجر الاسلام وضحاه » . وقد رأى المؤلف في طرز هذه الدراسة الأدبية مخالفة للنظرية المدرسية فأشار اليها وقال إن صاحبها « لم يعالج منهجاً جديداً في تاريخ الأدب العربي وإن كان منهجه في تاريخ الحياة العقلية انتهى الى فيضٍ من

الجدوى والخير على الأدب العربي » (ص ٦١) .

وإذ كان المؤلف بسبيل من نقد المناهج فقد وقف عند بحث لاستاذه الجليل الشيخ امين الخولي عنوانه « في الأدب المصري ، فكرة ومنهج » وعدّ النظرية الاقليمية التي يدعو اليها صاحب البحث مرحلة جديدة في العقد الرابع من هذا القرن ، خالف فيها من سبقوه ، فحمد التلميذ لأستاذه هذه المخالفة ولكنه اختلف معه في « البناء والتطابق » وقد سمى « النظرية الأقليمية » فكرة الغد فجعلها موضع نقاش طويل اخذ نصف الكتاب على التقريب ، خالطاً بين المؤلفين في التاريخ الادبي وبين واضع المنهاج أو صاحب الاقليمية، فكان أشبه بمن يخلط بين صاحب نظرية ما وبين جهود أناس عملوا وظهرت آثارهم، فاستنبط الدارس منها المناهج التي اتبعوها أو ابتدعوها .

وفي النهاية حط المؤلف الفاضل فكره على اصول في المنهج الجديد الذي اقترحه لتأليف الادب العربي ، غير ان المجال لا يتسع لنقد هذا المقترح الذي يجافي المنطق والواقع في كثير من قواعده ومراميه . وللقارىء عليّ حق اللوم إذ اني لم اسارع الى تبيان ما يريد مؤلف الكتاب من النظرية المدرسية التي كادت لا تخلو صفحة في بحثه من ذكرها، فقد رددها مئات المرات كما ردّد « اللازمة » التي علقت اسلوبه وهي « وآية ذلك » في اكثر الصفحات ومثلها كلمة « تستهدف » .

أما هذه النظرية فهي ان التأليف في تاريخ الادب العربي كان على خطأ في نظره لانه جرى وفاق التقسيم حسب العصور والاحداث الجسام ، ولهذا يقترح في كتابه تغيير هذا المنهاج بالتعاون مع المناهج والنظريات التي سيطرت على الادب . والمؤلف حين يعرضها أو ينقضها يسوقه الاستطراد الى تبيان هدفه في عدة فصول فيقول بعد ان يفصّل القول المكرور « إن المنهج الذي يجب ان نصطنعه يقوم على الانتقال من الفردي الى العام ومن الجزئي الى الكلي، فلا يبقى ادبنا محدوداً لانه لم يستطع ان يزاوج بين الفكر والتعبير » .

وقد رأى المؤلف « أن التعرف إلى المدارس الأدبية هو غاية التاريخ الأدبي وأنه لا دراسة العصور ولا الاقاليم ولا الثقافات ولا الأنواع الأدبية تعطي لتاريخ الأدب العربي شكله وموضوعه أو ماديته ومنهاجه، فهذه الاشياء كلها ليست إلا وسائل لهذه الغاية البعيدة ، فلا بد إذن من الدراسة الجانبية والدراسة الأصلية » فاذا راينا المؤلف ماضياً في التكرار والترادف ، منساقاً مع تعابير غير محددة، ضقنا بهذا الأداء الانشائي المنمق الذي يأباه الأسلوب الجديد ولا يرضاه البحث العلمي، إذ لا نصل إلى فكرة محددة إلا بعد قراءة عديد من الصفحات .

ويلاحظ أن هذا البحث قد خلا من الاتصال بالأدب الغربي ومناهجه ، وأية دراسة عربية جامعية تُصنع في أيامنا ينبغي انْ لا تخلو من مقارنة واستعانة بما عند الغربيين لا سيا مثل هذا البحث . فقد ابتدع الغربيون دراسة لمناهج الأدب تتجدد وتتزود من كل مفيد ، فما اجدرنا بالاقتباس منها ليبدو الفضل والأثر في التمازج الفكري والثقافي ، وقد لا يخلو بحث جامعي في أيامنا من مثل هذا، ولو كان فقهاً، فكيف بالأدب ومناهجه؟

وما كان أغنى المؤلف الجامعي عن اصطناع هذا الموضوع الذي أدخل فيه أستاذه الكبير ، المتأبي على هذا اللون في البحث والمتجافي عن كل ما لا يحمل الطابع العلمي المحض .

وبعد فهذه كلمة حق أردت بها الاخلاص للبحث والحفز والتأميل للمؤلف في أن يصفّي الأداء وهو القادر عليه . وحاشا أن أغض فيها من مجهوده الطويل ، وهو من إخواني الدؤوبين الطامحين . وما غاب عنه أننا في عهد جديد يلتمس القيم لغاياتها وينزه القلم عن شوائب الماضي لتكون آثارنا الأدبية والفكرية محررةً خالصةً لوجه العلم والحقيقة .

القاهرة

وداد سكاكيني

تاريخ التربية الاسلامية

تأليف الدكتور احمد شلبي

منشورات دار الكشاف بيروت – ٤٦٨ ص

●

لعلّ اول ما يواجه الباحث أو المؤرخ لحضارة من الحضارات هو ان يتطلع الى شتى العناصر التي كانت في أساس هذا التفاعل بين الانسان وبيئته ، فيلاحظ العناصر الطارئة عليه من الخارج، ويقرر العناصر التي أوجدها هو . فإذا ما انتهى من دراسة هذه العناصر في ذاتها ، عمد إلى دراسة الاماكن والمؤسسات التي احتضنتها ، والهيئات والإشخاص الذين رعوْها، فاذا به ينتقل إلى البحث في الطرق والوسائل والاشخاص الذين قيّد لهذه العناصر ان تنتشر وتعم بواسطتهم، وهذا ما يقوده بطبيعة الحال الى دراسة

ما ندعوه اليوم بالتربية .

إن الناظر الى الابحاث والمؤلفات التي كتبت عن مختلف الحضارات التي وجدت على ظهر هذه الكرة التي نعيش عليها ، والذي يأخذ نفسه بالحكم على عدل ما أصاب كلاً منها من البحث ، او الاجحاف الذي لحق بها ، ليُقرّ ان الحضارة الاسلامية نالت من عناية باحثي الحضارات ومؤرخيها كثيراً مما تستحق ، وان لم تنل كل ما تستحق . غير ان الملاحظ ، ان هذه الأبحاث وتلك الدراسات التي اتخذت لها الحضارة الاسلامية موضوعاً ، لم تعن بإفراد بحث للتربية عند المسلمين ، كما انها لم تجشم نفسها مؤونة استقصاء هذه الناحيه الفذة من حضارتهم .

يقول الدكتور آرثر اربري ، استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة كيمبردج :

« للاسلام على الجنس البشري مآثر تدعو الى الاعجاب وتستدعي الشكران ، ولدينا مؤلفات عدة تصف ما أسهم به المسلمون في ترقية الفنون والآداب والعلوم والسياسة ، ومن الواضح ان المسلمين ما كانوا ليصلوا الى تحقيق هذه الاهداف العلمية الرفيعة لولا حرصهم البالغ على التعلم والتعليم ، ذلك الحرص الذي تميز به الشعب الاسلامي خلال تاريخه الطويل ، فهب رجاله ونساؤه مستجيبين لدعوة الرسول : « اطلب العلم ولو في الصين » . من اجل هذا كانت دراسة المعاهد التعليمية ونظمها عملاً عظيم الاهمية جليل الخطر . »

هذا ما دعا الدكتور احمد شلبي الى الاضطلاع بهذا الامر . فكان لنا من ذلك هذا المؤلَّف القيّم « تاريخ التربية الاسلامية » الذي يصفه الدكتور اربري فيقول عنه :

« دراسة قوية الدعائم ، وناجحة إلى أقصى حدود النجاح ؛ اعتمد الباحث في إخراجها على المصادر الاصلية المتعددة ، وبخاصة مجموعة كبيرة من المخطوطات التي تيسر له قراءتها اثناء رحلته العلمية إلى اوربة وإلى دول الشرق الاوسط . وأشهد ان الدكتور شلبي ، في اختياره لهذه المصادر وفي دراسته لها وانتفاعه بها قد تجلت فيه مواهب البحاثة الدقيق : من جَلَد وعمق ، وإحاطة وحماسة وامتياز ، ومقدرة على الوصول الى قلب المشكلة ، وموهبة الوضوح وحسن النظام وروعة العرض . وكل هذا جعل الكتاب يسد جانباً ضرورياً من الدراسات الإسلامية . » .

والكتاب ، وإن كان « بستاناً يحمل في رُدْن ، وروضةً تنقل في حجر » كما روى ابي عربي عن أحد العلماء ، إلا أنه لن يكون بمقدورنا ، في هذه العجالة الضيقة ، استقصاء كل طلع في هذا البستان ، ولا اجتناء كل نَوْر من هذه الروضة ؛ لذلك سنكتفي بعرض نخبة من أبحاث الكتاب ، محاولين – ما امكن – اعطاء فكرة صحيحة عنه .

يستهل الكاتب بحثه بفصل عن أمكنة التعليم عند المسلمين فيرى أنها تنقسم الى قسمين : قسم وجد قبل انشاء المدارس ، واستمر حتى بعد إنشائها ، والقسم الثاني هو المدارس .

أما القسم الأول فيشمل ثمانية أنواع هي : الكتّاب لتعليم القراءة والكتابة ، والكتّاب لتعليم القرآن ومبادىء الدين الاسلامي ، ثم التعليم الأولي في القصور ، فحوانيت الوراقين ومنازل العلماء ثم الصالونات الأدبية فالبادية وأخيراً المساجد . يثبت المؤلف لنا في هذا القسم أن الكتّاب لتعليم القراءة والكتابة كان دائماً منفصلاً عن الكتّاب لتعليم القرآن ومبادىء الدين . ثم يفصل لنا بعد ذلك الامكنة التي اتخذتها لنا هذه الكتاتيب ، كما يتكلم لنا عن مواد الدراسة فيها وعدد ما وجد منها في بعض المراكز الهامة . وينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن التعليم الأولي في القصور وغاياته وبرامجه ويدلل أن تطوره أدى إلى نشوء الكتاتيب العامة ، ثم ينقل لنا بعض الوصايا الرائعة التي توجه بها بعض العظماء إلى مؤدبي أولادهم كوصية عمرو بن عتبة ووصية الرشيد للأحمر ، معلم ولده وولي عهده الأمين ؛ يصف لنا المؤلف في هذا القسم الرفه الذي كان ينعم به مؤدبو أولاد العظماء ، ولكنه لا تفوته ان يذكر لنا أن كثيراً من العلماء كالخليل بن احمد وعبدالله بن إدريس ، رفضوا هذه المنزلة ، على عزها ورفهها ، وذلك إما تمسكاً بحريتهم وحبهم للعلم وإما حباً في إفادة الكثرة المطلقة من الراغبين في أخذ العلم عنهم ، تلك الافادة التي كان يمتنع عليها بذلها لو انقطعوا لتربية ابن عظيم من العظماء .

ثم يتكلم عن حوانيت الوراقين فيقابلها بأسواق العرب في الجاهلية : عكاظ ومجنة وذي المجاز ، ويرى الصلة بينها في أنها ، جميعاً ، جمعت الغاية التجارية والأدبية معاً . ثم يعرض لنا التعليم في منازل العلماء ، ويورد آداب طالب العلم فيها ، كما يذكر دور ابن سينا والغزالي والسجستاني والمعري كنماذج لهذا النوع من مراكز التعليم ، ومنها نعلم ان كتاب أبي حيان التوحيدي الرائع : الامتاع والمؤانسة ، إنما كانت أكثر فصوله نقلاً للأحاديث

والمناظرات التي كانت تجري في اجتماعات الأدباء في بعض تلك الدور .

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى الكلام عن الصالونات الأدبية ، فاذا بـه يعرض علينا تطورها التاريخي ، ثم يصف لنا الأمكنة التي كانت تجري فيها ، والآداب التي كان روادها يأخذون بها أنفسهم . ثم يعرض لنا نموذجاً عن بعض الاجتماعات التي كانت تدور في تلك الصالونات ، ويبين أن هذه الاجتماعات كانت تحدد اختصاص المجتمعين فيهـــا ، فيوم للأدباء وآخر للفقهاء وثالث للفنانين ، وأنها اكثر ما كانت تقام في قصور الخلفاء والاقيال ، ويسمي لنا بعضهم ثم يذكر اسماء من كان يحضر هذه الاجتماعات وما كان يدور فيها من ابحاث وأحاديث .

وقد يدهش القارىء عندما يرى المؤلف يضـع البادية بين الاماكن التي طاب فيها العلم ، ولكن عجبه يزول عندما يعـلم ان العرب بعد ان بعدوا عن منبتهم ومالت لغتهم الى الانحراف عن اصولها ، عـادوا يصححونها لدى إخوانهم الأعراب الذين لم يبرحوا منبتهم البادية ، فحافظت لغتهم على استقامتها ، وسلمت من اللكنة واللحن والركاكة والضعف . ثم يتكلم عن المساجد وكيف انها كانت منذ نشأتها ، ولا تزال الى اليوم ، مركزاً رئيسياً من مراكز التربية عند المسلمين ،وذلك لصلة التعليم بالدين عندهم . ثم يطوف بنا عبر البلاد والعصور الاسلامية ، ويعرض علينا اثنـــاء هذا الطواف كثيراً من المعلومات الضافية عن المساجد فيها .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن المدارس ، ويبـين الحاجة التي دعت الى إنشائها ؛ ويلاحظ انها إنما وجـدت لبث التعليم الديني في الاساس ، ولنشر مذهب بعينـــه في معظم الاحيان . لقد لاحظ ان البويهيين والفاطميين كانوا من الشيعة ، وعملوا كثيراً على نشر مذهبهم ، فلما جاء السلاجقة والايوبيون أحبوا نشر مذهب السنة ، فأنشأوا المدارس المتعددة لهـــذا الغرض . وكان أكثر من عمل في هذا السبيـــل ، نظام الملك ونور الدين والايوبيين والمماليك ، وهنا يأخذ النورية الكبرى نموذجاً للمدارس فيقدم لنا عنها دراسة تفصيلية ضافية .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيخصصه المؤلف للمكتبات لما رأى من صلتها الوثيقة بالتربية والتعليم ؛ هو يقرر ان هـذه المكتبات كانت مراكز يرجع اليها طلاب العلم فيفيـدون منها كما يفيدون من العلماء والمدرســين وأصحاب الحلقات . إذ يستهل هذا الفصل بالتدليل على قيمة الكتاب الادبية عنـــد المسلمين ، كذلك يتكلم عن القيمة الادبية للمكتبات، وبعدها يقدم لنا دراسة ضافية عن المكتبة ، يبدأها بالكلام عن ابنيـة المكتبات ونظمها ، كما يتكلم عن الفهارس ونظم استعـــارة الكتب والموظفـــين الذي يقسمهم الى اقسام ، هي الخَزَنة والمترجمون والنساخ والمجلدون والمناولون .

إن القارىء لينهي هذا الفصل وقد تكوّنت لديه فكرة واضحة عن خطر الدور الذي قامت به المكتبات في العصور الاسلامية ، كما يلمس الصلة الوثيقة بين حركتين علميتين وبين المكتبة . هاتان الحركتان هما : حركة الترجمـــة والنقـل ، وحركة النسخ .

ويتكلم المؤلف في الفصل الثالث عن المدرسين ، فيستهله بملاحظات أهمها :

عدم التفريق في القرون الوسطى بين العلماء المدرسين والعلماء الذين لم يتخذوا التدريس مهنة لهم. ثم عناية المسلمين بأخذ العـلم عن المدرسين وكرههم لتلقي العـلم عن الكتب وحدهـا . ثم تنبّههم الى ضرورة إجادة المعلم لفن التربية بالاضافة الى ما يعيه من العلم . واخيراً كلامهم بإسهاب عن علاقـة البيت بالمدرسة وأهمية الدور الذي يلعبه البيت في نجاح الطالب .

وبعد ان يتكلم المؤلف بإسهاب عن اخلاق المدرســين وواجباتهم ينتقل إلى الكلام عن الاجازات العلمية والشهادات والعقوبات والجوائز وملابس المدرسين ونقابتهم .

ويخصص الفصل الرابع للكلام عن التلاميذ ، فيصور لنـا صعوبة طاب العلم والحصول عليه في تلك الايام ، كما يبين

الحوافز التي دعت التلاميذ إلى تخطي تلك الصعوبات . وهنا يورد لنا آراء الغزالي وابن سينا في رياضة الاطفال ، ثم يعقد فصلاً ممتعاً للكلام عن تكافؤ الفرص في التعليم لجميع أطفال المسلمين ، وعن توجيههم حسب مواهبهم وعن عددهم في الفصل او الحلقة ، والعناية بهم عقلياً وجسمياً . ثم يفصل الكلام عن اخلاقهم وواجباتهم وصلاتهم بعضهم ببعض ، إلى أن يتكلم عن الرحلة في طلب العلم وعن تعليم المرأة . فإذا به يعرض علينا لوحات رائعة عن ثقافة المرأة في تلك العصور وتبريزها في مختلف الفنون كالموسيقى والطب واللغة والعلوم الدينية .

وهنا نأتي إلى الفصل الخامس وقد خصصه المؤلف لرعاة العلم وفلسفة النظم بالمعاهد العلمية . يتكلم في هذا الفصل عن المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي ؛ وبعد ان يعرض علينا بأيجاز ما قام به هؤلاء في حقل التربية يعود الى تفصيل الكلام عن نظام الملك الذي يعد بحق الراعي الاول لأكبر حركة تعليمية في الشرق الاسلامي .

أما الفصل الاخير فيخصصه المؤلف للكلام عن المذهب الاسماعيلي في مصر لما فيه من صبغة خاصة في تعاليمه ، وخطط جديدة في نشره والدعاية له .

والآن وقد أعطينا صورة مصغرة لأبحاث « تاريخ التربية الاسلامية » فإنه يطيب لنا ان نقدر هذا الجهد الضخم الذي بذله المؤلف في جمعه وتأليفه . فالحقيقة ان نتاجه اقتضاه قراءة عدد كبير من الكتب والمراجع المطبوعة والمخطوطة ، ثم اقتضاه رحلات طويلة سعياً وراء هذه المعلومات الضافية الشافية . إننا نلاحظ بكثير من الاعجاب ان المؤلف لم يكتف بجمع هذه المعلومات وتبويبها ، هذا الجمع والتبويب الرائعين ، وإنما كان في معظم الأحيان ينطلق منها الى صوغ أحكام فيها كثير من الصحة ، والى بناء نظريات حديثة تساعد كثيراً في تفهم التطور الخلاق لهذه الناحية الهامة من حضارة الاسلام . ان المؤلف ليضع امامنا التربية الاسلامية تمثالاً رائعاً ، إذا فاتته بعض التفاصيل الكاملة لهيكله، أو غمضت فيه بعض الانحناءات الدقيقة اللازمة لمجموعه، فإنه لا يعدو ان يكون تجسيداً رائعاً، نطمئن اليه في سعينا للاحاطة بالتربية عند المسلمين . وإذا كان علينا أن نزجي الشكر جزيلاً للمؤلف على اتحافه المكتبة العربية بهذا السفر الجليل فانه لا يفوتنا ان نأخذ عليه بعض الهنات :

فمثلاً نراه عند الكلام عن الدواوين العربية يقول : إنها ترجمت للعربية ، والصواب أن يقول : إنها أخذت تصطنع اللغة العربية ؛ إذ في قوله : ترجمت للعربية ، ما يخطر بالذهن ان الدواوين معلومات ثابتة لا تتغير ، ترجمت من اللغة التي كانت مكتوبة بها إلى اللغة العربية ، والصواب أن هذه الدواوين هي هذه المعلومات والمعاملات والاحصاءات الحكومية المتجددة دوماً ، والتي كانت تكتب بغير اللغة العربية قبل عهد عبدالملك بن مروان وإبنه الوليد فاصطنعت العربية لكتابتها بأمر من هذين الخليفتين .

كذلك نأخذ على المؤلف عدم تحديده العصر أو العصور التي أصدر عليها بعض احكامه عند دراسته لموضوع من مواضيع التربية ، فان كان عند استنتاجه لبعض الاحكام يرتكز على شواهد من صدر الدولة الاسلامية ثم إذا به ينتقل إلى القرن السابع او الثامن لاستكمال هذه الشواهد ، على ما بين هذه العصور من الاختلاف في الزمن والعقلية مما كان يشعر بتنافر المقدمات المؤدية للنتائج في بعض أحكامه .

وإذا انتقلنا إلى كلام المؤلف عن العلاقة بين البيت والمدرسة رأينا انه يوهم أن المسلمين تنبهوا لضرورة الاشتراك بين البيت والمدرسة في تبادل النصائح والمعلومات عن الطفل ، كما هو مطلوب وملاحظ في التربية الحديثة . ولكن الحقيقة هو ان النصوص التي اوردها المؤلف لاتفيد ذلك ، وإنما تدلل فقط على ضرورة بذل الاعتناء للطفل في البيت كما يبذل له في المدرسة وذلك للوصول به إلى النجاح .

ثم إننا نلاحظ أن حكم المؤلف بوجود النقابات عند المسلمين في العصور الوسطى فيه – اذا اعتبرنا الشواهد التي اوردها – خروج عن معنى النقابات كما نفهمها اليوم ، وكما فهمها مجتمع

نغم جديد

« قلقيليا » قرية على الحدود يعمل اهلها في النهار بزرع الأرض وفي الليل يصدون الاعتداءات اليهودية اليومية ... فالى اهالي « قلقيليا » والخطوط الأمامية البواسل أهدي هذه القطعة ...

•

قلقيليا
جبل من الدم والحديد
جبل يثور ولا يريد
عيش العبيد .
قلقيليا
بالنار تغسل جرحها
بدم الشهيد
وتستزيد
في كل يوم صرخة
« ارض الجدود
بالروح نفديها ولن نرضى الحياة
إلا بتحطيم القيود »
وتظل تصرخ من جديد
فوق الصخور الشامخات الى العلاء مع الدخان
عَبْر المغاور والحصى
عند الحدود
خلف المقابر والرمال ودمدمات الثائرين
ووشوشات الزاحفين
على الحواجز والسدود
وغناء راعية تردد ما وَعَتْه وتستعيد
أيامها الاولى التي ولّت
مع البيت الفقيد
وبنادق الحرّاس ترقب في الدروب
برصاصها العفن القليل
وحشرجات من بعيد

★

ما زلت أسمع مشية الأبطال للثأر العتيد
قسماً بنكبتنا
لنا ثأر عتيد !
ومع العشية يصرخ الصوت العنيد
« قلقيليا .. نغم جديد
نغمٌ .. من الدم والحديد » !

سمير صنبر

القرون الوسطى الاوربي وأقرها كأنظمة محددة لمهنة من المهن ، وكنظام اقتصادي خاص يسير عليه مجتمع من المجتمعات ؛ إذ أن كل النصوص التي اوردها للتدليل على وجود هذه النقابات عند المسلمين إنما تنحصر في إطلاق هذا اللقب على نقيب الاشراف وعلى نقيب القائمين بالتدريس او بالدعوة للمذهب الاسماعيلي . وإذا جاز لنا ان نجاري المؤلف في اعتبار هؤلاء الدعاة والملقنين من الهيئة التعليمية لقيامهم بعمل فيه طبيعة نقل المعلومات إلى الناس ، فإنه لا يجوز لنا قبول التعميم الذي قام به بالحكم على وجود النقابات في المجتمع الاسلامي من وجود رئيس للمدرسين او الدعاة او الاشراف او الطالبيين يُدعي نقيباً . إن وجود نقيب لهذه الفئات الخاصة لا يفيد وجود سائر الهيئات والمهن ، بله وجود نقابات بالمعنى الاقتصادي التاريخي والحالي المعروف ؛ أضف إلى ذلك أن وظيفة النقيب — كما تفهم من النصوص التي أوردها المؤلف — إنما كانت في معظم الأحيان وظيفة حكومية ، في حين أن النقيب لمهنة من المهن كان شخصاً ينتمي إلى فئة خاصة من الشعب تؤمن ناحيـــة من نواحي اقتصاد المجتمع الذي تعيش فيه .

وإن كان لا بد لي من ختم هذه الكلمة العجلى عن الكتاب ، فإني أراني بحاجة إلى تكرار شكر المؤلف على هذه الثروة التي اضافها إلى كنوز المكتبة العربية ، وعلى هـذا الدليل الذي وضعه بيد كل عربي لتقوية إيمانه بهذا التراث الذي عليه أن يعمل على تنميته وإيصاله إلى المستوى اللائق به ، كما لا يفوتني ان أقدم الشكر لدار الكشاف ، ناشرة الكتاب ، التي ما فتئت تجلو لنا أمثال هذه الكنوز والدرر فتسهم بذلك في النشاط العلمي والأدبي إسهاماً تشكر عليه .

زهير فتح الله

محاولة في الشعر

بقلم : محمد مجذوب

الشعور بضغط القيود العروضية قديم على الشعراء ، يلوح أثره في شعر الجاهليين ، كما يتجلى في شعر العصور المتتابعة ، وليس الخرّم والخزْمُ والتواء الاوزان ، حتى الزحافات والعلل ، ثم الجنوح الى تلوين القوافي من المزدوج الى الدوبيت فالتوشيح والتخميس .. إلا مظهراً من التمرد على هذا الضغط ؛ ولسبب من ذلك ادَّعى أبو العتاهية انه أكبر من العروض ..

وطبيعي أن يستمر هذا الشعور ، وان يستفحل في عصر النهضة ، فيتخذَ لنفسه خطة جريئة في الاعراب عنه ، فينبثق هذا اللون الجديد من الشعر الذي يسمونه (الشعر الحر) . .

واقد سبق ان أشرتُ الى ضرورة التعديل في الشعر المعاصر ، أثناء حديثين ألقيتهما من مذياع دمشق — قبل ثلاث سنوات — ثم نشرتهما مجلة الاديب الغراء بعنوان (دعوة الى الادباء) ، ولكن موضوع الشعر فيهما لم يكن رئيسياً ، فلم يعرض له الادباء الذين عقبوا عليهما يومذاك . .

وكان في نفسي ان أخص الشعر بحديث آخر ، ولكن مشاغل الدرس والتدريس والتأليف حالت دون ذلك ، ولا سيما ان موضوعاً كهذا يتطلب فراغاً وتهيؤاً لكلام طويل فيه الاخذ والرد ؛ واتفق ان التقيت ذات يوم بالشاعر الاستاذ أبي ريشه ، وتناولنا في بعض الكلام حديث الشعر ، وأفضيت بما أراه من ضرورة العمل على توجيهه وجهة جديدة ، تتسع لتيارات الحياة الحديثة ، وتخفف عن الشعراء بعض قيوده التقليدية ، وكان اختلافنا واسعاً في الامر ، وبخاصة من حيث القافية ، التي يعتبرها الشاعر أبو ريشة ضرورة فنية لا مناص منها .

ثم حبست الفكرة في نفسي ، أترقب لها الفرص الملائمة ، وظهرت أثناء ذلك بحوث حول الموضوع ، ونماذج كثيرة من الشعر الجديد ، لعل أبرزها ما كان من شعر شباب العراق . .

ومرة أخرى تعاودني الرغبة في الكلام عن تجديد الشعر ، وبدلاً من ان أعمد الى تفصيل ما أراه من الموضوع ، أجدني مدفوعاً الى معالجته عملياً بهذه المنظومة ، التي أوحت بها إليّ فاجعة (قبية) الشهيدة .

والحق انني لم أفكر بنشر هذه المنظومة ، لولا رغبة الأخ الدكتور سهيل ادريس ، وما أدري كيف يكون وقعها في أوساط النقاد ، ولكنها على أية حال محاولة ، لا أزعم انها بدع في المحاولات ، بيد انها تعبير صادق عن رغبةٍ ما زلت أحسها قوية في نفسي . .

وقد وصلني الدكتور سهيل بمقالٍ للشاعرة الكبيرة نازك الملائكة حول فكرة « الشعر الحر »[1] ، فلما رجعت اليه وجدتني معجباً — كدأبي ازاء هذه الشاعرة الكبيرة — بعمق ملاحظاتها ، على الرغم من خلافي إياها في بعض نقاط البحث . ويؤسفني ألا يسعفني الوقت بمتسع لتفصيل هذا الخلاف ، لذلك أكتفي من الحديث بإيراد الملاحظات العامة في ما يلي ، على ان اعود لاستكماله في أول فرصة ممكنة :

١ — إن التجديد الذي اتصوره — كما يبدو في هذه المنظومة — لا يستهدف الانفلات المطلق من تقاليد الشعر التقليدي ، وإنما هو تحرر من قيود البحور بالدرجة الاولى ، فالتزام التفاعيل أمر لا مندوحة عنه ، لسلامة الموسيقى التي هي اساس الشعر .

وكذلك القول بالنسبة الى القافية ، فهي ، كقرار موسيقي ، تشكل الوقفة الأخيرة في الدفقة الشعرية ، ولكنها — كما تراها هنا — لا تفرض نفسها في نهاية عدد معين من التفاعيل ، وبهذا يمكن تجنب الفوضى ، التي يثيرها عدم الالتزام (لحظة ثابتة في القافية) ، مما عدته الشاعرة نازك مأخذاً هاماً على الشعر الحر .

وفي اعتقادي أن التزام القافية بين نهاية كل دفقةٍ واخرى من المنظومة ، ينقذ الشعر الحر من خطر انعدام الوقفات الثابتة التي عُني بتفصيلها مقال الشاعرة ، ويهيء للشاعر متكأ مريحاً ، يستكمل عنده المرحلة ليستأنف ما بعدها في نشاط وانتظام .

وإذا نحن أخذنا برأي الاستاذ مصطفى سويف من حيث اعتبار المقطع الشعري — قلّ او كثر — من القصيدة « مجموعةً متكاملة .. لها من التماسك الداخلي مايجعلها تبدو للشاعر وحدة لا يمكن تجزئتها .. »[2] لأن « الشاعر لا يبدع القصيدة بيتاً بيتاً ، بل قسماً قسماً .. في شكل وثبات .. في كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعةً واحدة .. »[3] ..

أقول إذا نحن أخذنا بهذا الرأي ، وهو صحيح ، حقّ لنا ان نعتبر نظام القافية الواحدة لمجموع المقطع ، في هذا الضرب من الشعر ، مظهراً طبيعياً لتكامل الوثبة النفسية ؛ وفي هذا امتياز له على نظام الوحدات المختلطة في القصيدة التقليدية ، من

(١) « الأديب » عدد يناير ١٩٥٤

(٢و٣) الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة ص٢٤٦ و٢٤٨

شأنه ان يساعد على إحكام الخطة وربط المعاني في المنظومة – مهما طالت – وهكذا تنتفي الفوضى المحذورة، وتسيطر الحرية المنظمة.

٢ – مما يضاعف رغبتي في هذا الطراز من الشعر أنه شديد القابلية لهضم مختلف الأغراض – على خلاف ما تراه الشاعرة نازك – فهو بما له من الحرية في عدد التفاعيل، واسع الصدر، لا يضيق بما يضيق به نظام الشطرين من الانطلاق التعبيري، ولهذا أراه طيعاً لضروب الشعر الغنائي، طواعيتَه للقصص والملاحم والنوع المسرحي، ولعله اكثر انقياداً للضربين الأخيرين، ذلك لأنــه يملك من النثر ميزة الحرية كما يملك من الشعر طبيعته الموسيقية اللازمة ..

وشيء آخر ايضاً، هو أن هذا النوع من المنظوم لا ينزلق في هاوية الشعر المرسل، الذي لم يفعل اكثر من انه انسلخ من القافية، فكان أشبه بالانسان عُري من جلده، وإنما هو شعر سوي، تتذوق فيه النغم منساباً إلى قراره الأخير – القافية – ولا تفوته حسنات الشعر المرسل.

ومهما يكن فالحكم في استساغة هـذا الشعر موقوف على ألفة الأسماع، وفي اعتقادي أن نماذج رفيعة وفيرةً منه كفيلةٌ بأن تجعله قريباً من النفوس ..

ومن الاسراف في الخطأ أن نحصر مفهوم الشعر في قيود العروض الموروثة وحدها؛ فقديماً اشتبه الأمر على بلغاء العرب فزعموا القرآن شعراً، وزعموا رسول الله شــاعراً، وما هو بشاعر، وما ينبغي له، ولكنـه الجمال: جمال اللغة، وجمال التعبير، وجمـال الأثر النفسي، كل ذلك مسّ قلوبهم فاختلط عليهم أمره، فادعوا له ما ليس به ..

وحسب الكلام أن يتوفر له بعض هذا الجمال حتى يكون هو الشعر، وإن شط عن بحور الخليل.

آه لو تنفع آه !

أي حُلمٍ ... مرّ كالنار على قلبي، فما يهدأ ذُعرا!
أيقظ الأشباحَ في أعماقيَ اللهفى، وأغفى ..
فأثار الكامن المحجوبَ من دائي
ومن ماضي شقائي

ليت شعري .. ما دها «قبيةَ» ماذا قد عراها!
ما الذي اجتاح حماها فمحاها!
عصف الغدر بها تحت الدجى
فهي ركامٌ من حُطامٍ ودماءِ

لهف أحشائي على تلك الصبايا
وصغارٍ كالأزاهير تفتحنَ لأنداءِ الصباحِ
وشبابٍ عاقه الدهرُ عن المجدِ المرجّى
زُلزلتْ تحتهم الأرضُ فراحوا كالهباء

مزّقوا الليل بأصوات الحيارى
واستغاثات العذارى
وحماة الدار – يا للعار – في نوم السكارى
لم تفُت أسماعَهم تلك النداءات .. ولكنْ ..
شاء «جنبول» فصمّوا عن صريخ الأبرياء

هذه الأشلاء .. يا ويلي عليها ..
من بكاها ؟!. من رثاها ؟!.
لم تجد قبراً يواريها، ولا قلباً يناجيها ...
ولا شيّعها لحن صلاة
ذهبت كالحُلمِ العابر لم يترك من الأصداء غير الصعداء

أين اشبالُ الميامين .. هُداة العالمينا!
أين احفاد عليٍّ والمثنّى .. وبقايا العز والنخوة منا!
مسخ الجبْنُ سلالات الأسودِ
فاستساغوا الصفع من أيدي اليهود
واستهانوا بمواريث الاباءِ

بُحّ صوت الحق .. والآذان دون الحق صُمٌّ
وتلاشت أنة الأشلاء في سمع الرمالِ
وتوارى امل الثأر .. فلا خير بأشباه رجال
عجزوا .. إلا عن التمثيل والقول الهراءِ

آه يا قبية!. لو تنفع آه ..
آه لو تكشف عن مكنون روحي شفتايَهْ ..
دمك المهدور يا قبية قد فتّق في الصدر الجراحا
ردّ طيفَ اللدّ والرملة للقلب وحيفا
وضحايا دير ياسينَ .. ودنيا الشهداءِ

لستِ يا قبية في الأيتام بِدعا
كلنا في وحشة اليتم وفي الشكل سواءُ
سبق السهم فأرداكِ
وها نحن على إثر خطاكِ
غير أنا نجهل الموعدَ، والمجهول يا قبية سلوى الضعفاء
فاعذرينا ودعينا نرتقبْ في أملٍ يوم اللقاء

اللاذقية — **محمد مجذوب**

كتاب الشهر

الحرية في المجتمع الاشتراكي

تأليف البروفسور : هارولد لاسكي
نقله الى العربية : حامد احمد حمدي

> « إن الخوف والكراهية والبغض هي الوحوش التي تفترس الحضارة وتثير في الجماهير الميل الى التحطيم والتدمير . وفي جو قاتم كئيب كهذا الجو المفعم بالكراهية والبغض والخوف والمشحون بالبارود المدمر ، توصد أمام الحرية جميع المسالك والمداخل ، لأن الحرية يستحيل عليها أن تعيش إلى جانب الظلم ، وإنما تنمو الحرية وتورق شجرتها حيث يُقدَّر البشر ، ويُسلَّم بأن لهم قيمة أعظم بكثير من الكفاح في سبيل لقمة العيش أو قطعة الخبز » .

١

يعيب خصوم الاشتراكية على انصارها وشراحها انهم قوم لا يدركون قيمة الحرية ، لأن الاشتراكية في اعتقاد هؤلاء الخصوم نظـام يفقد الناس في كنفه كل اثر لذاتيتهم حيث تنظم بيروقراطية قوية القبضة صفوفهم وتدير شئونهم بعد ان ترسم لهم كل حركة من حركات حياتهم اليومية . وبذا يعتبر هؤلاء الخصوم الدولة الاشتراكية كأنها مثالية افلاطونية غاب عنها المشرفون عليها وحل محلهم انصار لينين وتروتسكي الغلاظ .

قد يختلف هذا الاعتبار حسب الصور التي يرسمها خصوم الاشتراكية ، اولئـك الذين يركزون حملتهم في العائلة ، وهي هدف من اهداف الاشتراكيين الحيوية التي يوجهون اليها عنايتهم واهتمامهم . والخصوم إذ يفعلون ذلك لا يفسحون مجالاً للمقارنة بين الحرية التي ينادي بها لابيرنام فيلا ، وبين الحرية في ظل التنظيم الحديدي لتحقيق احلام الاشتراكية .

وحيناً آخر يصور خصوم الاشتراكية الفنان والفيلسوف وكأنهما قد اشرفا على الخطر إن لم يكن الهلاك ، لأنهم يعتقدون أن انعدام الطبقة المستمتعة بالفراغ في دولة كالدولة الاشتراكية ، امر يؤدي حتماً الى تدهور الفن والفلسفة إن لم يكن يؤدي الى محوهما . وهم اذ يفعلون ذلك لا يتفضلون بكلمة عما اذا كانت المخاطر التي يتعرض لها المغامرون ستظل باقية ام تزول وتختفي الى الابد ، لأن المعلوم عن الصبي الذي يعمل في مصنع للسيارات انه لن يحلم ببلوغ المكانة التي بلغها المستر هنري فورد مثلاً .

ويلخص خصوم الاشتراكية رأيهم زاعمين ان عالماً اختصر الى حدّيّ التنظيم والتصميم في كل مرفق من المرافق الحيوية ، لهو عالم يفقد بلا شك الالوان والظلال ، وهما من اكبر دعائم الحرية ، وبالتالي يفقد فيه الناس العلامات والخصائص التي تميز شخصياتهم ، فيغدون صوراً باهتة لا حياة فيها ولا روح ، كأنها اشكال مطبوعة في كتالوج او عبيد ارقاء يستجيبون لأرادة الآخرين . هكذا يصور خصوم الاشتراكية الاشتراكيةَ على انها عبارة عن نظام تنعدم فيه جميع الفرص والمباهج ، ولا يبقى فيه شخص يستطيع بل يتوق الى ان يتحكم في سير الحوادث كما هي الحال الآن في ظل النظام القائم .

وهكذا ينصح هؤلاء الخصوم بالتمسك بالوضع الراهن لأن ذلك – على اسوأ تقدير – عالم يسيطر فيه الانسان على مقدراته وآجاله . فالثروة التي يحصل عليها بجهوده الخاص يستبقيها لنفسه دون منازع او شريك ، والحواجز التي تسد عليه مسالك النجاح وسبل الرفعة تنزاح عن طريقه ، فيجد سواق الآلة البسيط المجال مفتوحاً امامه ليصعد الى مركز الوزير في اعظم دولة او امبراطورية . أمـا حرية العبادة ، أما حرية الضمير ، اما حرية اعتناق المبادىء السياسية ، اما نظام التعليم الذي يمكن كل فرد من ان يصل الى اوج المجتمع واعلى مراقيه ، واما قدرة المرء على ان يشارك في سنّ القوانين واشتراعها ،

اما الفرص التي تساعده على بلوغ الذروة من عمل يعمل فيه ، اما الثراء الضخم حسب المجهود الشخصي وقوة الخلق والابتكار الكامنة فيه – كل اولئك ميادين واسعة مفتوحة امام كل شخص في المجتمع ، يدخلها بفرص متساوية مع الجميع ، ذلك لأن مطامع المجتمع الديمقراطي القائمة على الاقتصاد والصناعة انبعثت في نفوس الافراد والجماعات بعد كفاح عنيف . ولكن بالرغم من ذلك يطلب الاشتراكيون تغيير هذا النظام والاستعاضة عنه بنظام آخر يعجز الانسان في كنفه عن السيطرة على اقداره.

ان تقدم العالم يعتمد على الاساليب المتبعة حالياً لتحطيم الحواجز والقيود التي من شأنها ان تحد من حرية الفرد ومن قواه الفردية لتلعب دورها بكل حرية وطلاقة. اما الاشتراكية فانها تستبدل بهذه الحرية الشخصية سيطرةً صارمة . انها تأتي بيد الدولة الميتة لتتدخل في النشاط الذي لا يقدر بثمن ، النشاط الكامن في الانسان العادي . انها تغذي المماثلة بين الافراد على حساب البروز ، انها تطبع العالم بطابع الشخص الوسط .

اما في النظام القائم الآن ، فان المجال في الحياة يظل مفتوحاً امام الملكات والمواهب ، وان السلطان الكامل الذي يتمتع به الناخب لهو البرهان على ان تغييرات معينة ضرورية لا بد ان تحدث .

بالطبع لا سبيل الى نكران النقص الموجود في النظام القائم من حيث عدم التنسيق والانسجام ، فهناك تفاوت في الثروة ، ولكن ما دامت الاجور الحقيقية قد زيدت وارتفعت في مدى المئة عام الأخيرة ، فهذا يدلنا تماماً على ان العامل الكادح له كل الحق في المطالبة بنصيب اوفر من الدخل القومي. هناك بطالة محزنة ، ولكن نظام الضمان الاجتماعي قد لطف كثيراً من نتائجها الخطيرة. ولم تكن فرص التعليم متعادلة بعد ، ولكنّ مدرّجاً شامخاً يشيد الآن بسرعة ليمكن كل فرد من الصعود ليبلغ قمته . في ميادين الاقتصاد ازمات معقدة ، وفي الاطفال وفيات متعددة ، وفي الصناعة حوادث من الميسور منع وقوعها ، وامام القانون لا توجد مساواة ، ونظام العقوبة فظيع صارم ، ولكن بالرغم من هذا كله ، فان ضمير الأمة قد بدأ يستيقظ فغدا الاحسان منظماً بصورة واسعة لا مثيل لها من قبل . اما ضرورة توحيد الطبقات فقد ادركها اولئك الولاة الذين عرفوا فضائل الزمالة والاخاء في ظروف الشدة والضيق داخل الخنادق والمخابىء . لقد شملت روح التقدم جميع اجزاء النسيج الاجتماعي وغدت ضرورةُ صيانة حقوق الفرد هي المرشد الأول الذي يوجه كل مجهود او محاولة للاصلاح .

ما اروع هذه الصوره الشعرية لو كانت تتضمن اقل قدر من الدقة . لذا فهي لا تلبث ان تبهت فتمسخ ويتبخر رواؤها حينما نقارنها بالحقائق المعلومة لدينا .

لا حول للأغلبية في تكييف حياتها ومصائرها . فالكاتب والملاح وعامل الميناء والاحواض وصبيان الحوانيت والمصانع ، كل اولئك مساقون في كل يوم من ايام حياتهم العملية طوعاً لارادة الآخرين . انهم لا يجدون التشجيع ولا الدافع للخلق والابتكار التي عليها وحدها يمكن ان تقوم دعائم نظام اجتماعي عادل ومستقر . وبالرغم من انهم متأكدون منذ البداية من ان الهزيمة مكتوبة عليهم وانهم سيسقطون صرعى في الميدان الواحد تلو الآخر ، فان اغلبهم يكافحون كفاحاً لا ينتهي ضد الفقر وويلاته . ان اي تحليل دقيق وسليم لا يلبث ان يكشف عن الحقيقة الثابتة وهي انهم محرومون من ثمرات كدهم في الحياة.

فهم من الناحية المادية ارقاء لأناس لم يكافحوا إطلاقاً من اجل سعادتهم بل حتى إنصافهم – أناس كسبوهم الى جانبهم بطرق واساليب هي في الغالب منافية لاصول الاخلاق والعدالة.

واما من الناحية العقلية ، فان أقلية ضئيلة منهم تتمكن من تخطي الحواجز المنصوبة في طريق تعليمها . اما الاغلبية الساحقة منهم فلا تنال إلا تعليماً منحطاً ضيقاً لا يروي ظمأ او يطفىء غلة .

واما من الناحية الوجدانية فانهم يعانون حالة شك دائم . اما عظمة الاعتقاد ، اما اسرار الحب ، اما الفرصة للاشتراك في مسعى موحد ومتحد ، فهذه كلها مسائل قد تكون في متناول ايديهم ولكنها ليست جزءاً طبيعياً من حياتهم وكيانهم. فقد دفع اكثر زعماء العمال الثمن غالياً حينما رفضوا قبول مبادىء الرأسمالية .

حقاً ما اقل عدد اولئك الذين يأملون في التمتع بمسرات الحياة كالأمن والمعرفة والاستمتاع بالجمال . اما الاغلبية فانها تحيا حياة شك مروعة لا تنقضي ، فهم غير واثقين من الغد وما يطويه بين صفحاته ، ويظلون مشدوهين فزعين على عتبة المدخل دون ان يسمح لهم بالدخول في ذلك الهيكل الروحي الذي شيدته الانسانية وجعلته ميراثاً مشتركاً بين الجميع . منازلهم

حقيرة وخالية من صور الجمال. اذواقهم فسدت بسبب الاغراق في ذلك الجو القاتم الكئيب الذي لا روح فيه ولا حياة، وإذا كانوا يبتهجون بصنع نماذج الجمال فانهم لا يأملون ولا يطمعون في امتلاكها، ولو حدثت المعجزة وامتلكوها فما اندر من يعلم منهم كيف ينفذ الى اسرارها، وذلك بسبب الجهل المطبق عليهم، قسرَ إرادتهم وقسرَ رغبتهم.

ان لهم سلطاناً سياسياً، ولكنهم يظلون بمنأى يشاهدون الدرامة كالمتفرجين في مسرح للتمثيل. اما سلطانهم الاقتصادي فعديم الفائدة بالنسبة لهم لانهم لم يتدربوا على إدراك مبادىء الاقتصاد ولا عملياته المعقدة. فهم بحسب ظروفهم بعيدون منطوون على انفسهم، غير ان التجارب القاسية تضطرهم احياناً الى ان يعبروا عن حاجياتهم ومطالبهم.

ويدفع بهم الولاة الى ميادين الحروب والقتال، بينما هم في حالة عجز تام عن ابداء رأي في عدالة تلك الحرب أو عدم عدالتها، ذلك لأنهم تعلموا الى حد إطاعة الأوامر تحت ضغط القصور الذاتي المفروض عليهم فرضاً. رغبتهم الحقيقية ان يفرغوا حيناً ما لأنفسهم أو يظلوا قابعين في مؤخرة المجتمع، ولو كانوا هم المهزومين فلا يطمعون في اكثر من الاسترحام لئلا تنكل بهم كبرياء القاهر المنتصر او يبطش بهم جبروته.

اما اولئك الذين تسللوا الى القمة فرغبتهم الحقيقية ان يجدوا العناية التامة من الصحافة، من السلطة الرابعة في الدولة — الصحافة التي تسعى دائماً الى مساقط اخبارهم فتلصق آذانها على ثقوب مفاتيح ابوابهم، ومن جهة اخرى يرغبون في ان يظل أبرع الرسامين والفنانين في خدمتهم يصورونهم بالألوان الزاهية، وان يقف المجتمعون لاستقبالهم وان يطالعوا الكتب التي وقع في سمعهم همساً ان المطلعين يقرأونها، وان يقسموا اوقات حياتهم بين لندن وكان والاقصر واسكتلندة، فيرتدون الملابس الشتوية في فصل الشتاء، والصيفية في فصل الصيف ويهجرون القصور خالية حينما يرحلون عنها، تلك هي الافتراضات التي يعتقد بها من في القمة فيقيمون عليها فلسفتهم في الحياة.

وبين القمة والقاعدة يبحث آخرون عما يجنبهم السقوط في تلك البئر العميقة أو قل الهوة السحيقة، بقوة فوق قوة البشر فقط، فيرتفعوا الى مستوى فوق مستوى الوسط، الى تلك البيئة السحرية التي أهملها مصورو الصحافة وانشغلوا عنها بتصوير اولئك الذين يترددون الى حجرات الانتظار في عيادات الأطباء.

ذكر دزرائللي أن المجتمع ينقسم الى معسكرين: معسكر الاغنياء ومعسكر الفقراء، فالأول يقصر همه على الاستمتاع بنعم الحياة، بينما هناك متسع من الوقت لهذا الاستمتاع، وحينما يرفض المعسكر الثاني احتمال الألم في صمت وأناة، يبحث معسكر الاغنياء عن وسيلة تمكنه لا من تأجيل زمن الاستمتاع ولكن من تطويل مدته.

اما معسكر الفقراء فيعيش مشدوهاً حائراً في شبه قصور وعجز إزاء الحوادث التي ادركها بتجاربه الخاصة، ومن تجارب اولئك الذين شاهدهم من بعيد وهم يتخبطون في حالك الظلام. ولكن من هذه الدهشة يتولد السخط، ومن السخط الانفجار الذي يؤذن بميلاد نظام جديد قد يصفه البعض بانه مرض عضال يستعصي علاجه. ولكن قد تطول مدة الحمل، ودرجة الألم اثناء الولادة هي دائماً المقياس الذي يُعرف به حظ الجنين من النجاة وقدرته على البقاء.

يستلزم هذا العصر كفالة نوعين من الحريات كفالة تامة. وقبل ان نمضي في شرحها ينبغي علينا ان ننظر قليلاً في الحريات التي يتمتع بها المجتمع الآن.

يتمتع العالم الغربي بحرية العبادة، ولأفراده مطلق الحرية في ان يعتنقوا ما يشاؤون من الاديان دون اي اعتراض من سلطان او صاحب نفوذ. غير ان الساخرين يعلّلون ذلك بقولهم «لان العاطفة الدينية بين امم الغرب قد فقدت قوتها وتأثيرها في الحضارة الغربية، ومن جهة اخرى لأن حياة العقيدة والايمان في اشياء غير مرئية فقدت سحرها القديم بين الأغلبية الساحقة من السكان».

اما الحرية السياسية فقد بلغت شأواً بعيداً بين بعض امم الغرب حتى غدا أبناؤها يستمتعون بحرية تامة في التعبير عن معتقداتهم الفكرية. بل إن بينها امماً لا تمسك فقط عن معاقبة المؤمنين بالاشتراكية، ولكن تفسح الطريق امام احزابها ليجلس ممثلوها على كراسي الحكم والسلطان فترة من الزمن. وبالرغم من ذلك لم تعد الاشتراكية قوية قادرة على قهر قلاع الرأسمالية إلا في الاتحاد السوفيتي. اما في ايطاليا وبلجيكا وفرنسا فمازالت الاشتراكية تعاني ازمة حادة. وفي امريكا فان الدعاية ضد الاشتراكية تكاد تحمل على إحياء دوافع الاضطهاد والتعذيب

في نفوس خصوم الاشتراكية .

وخلاصة القول فان الايمان بالاشتراكية في نمو مطرد يوماً بعد يوم، بالرغم من ان تسامح خصوم الاشتراكية لم يدخل في تجربة حاسمة بعد ، ذلك لأن الايمان بقوة العقل والمنطق لم يكن هو القوة الاولى المسيطرة لتوجيه الانسانية ، ولكن ستقترب الغاية حينما تبدأ الاشتراكية زحفها نحو مراكز اهدافها .

بقيت كلمة نسوقها في احد مظاهر الحرية في النظام القائم : من المؤكد ان الحرية امام المحاكم غدت اوسع مما كانت عليه في الماضي ، غير انها ما زالت متعثرة الخطى لأن سدوداً واعشاباً جديدة بدأت تنبت في مجاريها بفضل نمو النفوذ والقوة الاقتصادية الكامنتين في النظام نفسه .

فالسيدة الثرية التي تسرق من حانوت صغير لا تُنزل بها العقوبة نفسها التي تُنزل بسيده فقيرة سرقت من حانوت كبير ..

وان ما يعرف بالاختلاس في حالة الموظف الصغير ، يعتبر عبقرية مالية من المليونير العظيم ..

وما يسمى روحاً عالية عند خريج اكسفورد يعتبر تعدياً على البوليس حينما يصدر من الفقراء ...

وتهاجم الدولة بكل قواها وسلطانها القانوني العامل المتهم . اما الثري المجرم فانه وحده يستطيع مناهضة الدولة وصد هجومها ...

وقد تردّ محكمة في لندن كل اعتبار لعضو حزب المحافظين البرلماني وتدفع له كل تعويض نظير ما لحقه من قذف عن طريق النشر ، ولكنها تعجز كل العجز عن مجرد التفكير في رد اي اعتبار لانصار العمال حينما يصيبهم سوء من جراء القذف العلني .

من كل هذه الامثلة يتضح تماماً ان القوانين السائدة الآن في معظم الدول تقسم الدولة الى اغنياء وفقراء ، وبالتالي تجعل العدالة تختلف في كلتا الحالتين سواء ، عن وعي وقصد او عن جهل وغباء .

لهذا يؤكد الاشتراكيون ان جميع الحريات امر متصل تماماً بنظام الملكية . ففي العصر الحاضر لا يجد شخص ـ باستثناء اقلية ضئيلة ـ ما يبيعه سوى قدرته على العمل وهذا يعني بالنسبة للاغلبية ضرورة كدحها بالقدر الذي يسمح لها به اصحاب رؤوس الاموال . عليهم، أي هؤلاء الكادحين ، ان يكافحوا في كل ناحية من نواحي ظروف عملهم ابتغاء تحسينها ومع ذلك يجدون في النهاية ان الموازين قد رجحت ضدهم ، اذ تخرج عليهم الصحافة مؤكدة خبث ـ ان لم يكن اجرام ـ البنائين مثلاً حينما يحددون انتاجهم ، بينما تغض الطرف عن الشركات الضخمة حينما تقرر تحديد الانتاج في ميادين اعمالها .

اضف الى ذلك ان إضراباً كأضراب عمال المناجم في عام ١٩٢١ تفسره الصحافة على انه الجوع وتدهور صحة اصحاب المناجم وزوجاتهم ، ولكنها لا تهيب باصحاب الاعمال كالدوق اوف نورثمبرلاند ان يعدّل قليلاً من موقفه او يغير شيئاً من اساليبه ضد العمال .

اما طول ساعات العمل فأمر عادي . كذلك التعليم الذي ينقطع حينما يأخذ سحر المعرفة في التبلور والنمو ، وقل مثل ذلك في حالات فصل العمال وتشريدهم نزولاً على ارادة صاحب العمل وميوله .

اما الاجر الضئيل الذي لا يكاد يسد العوز المادي حسب الحاجة اليومية إلا نادراً ، اما المرض وسوء الصحة ، اما الموت المبكر ، اما سحق عائلة العامل ، فكل اولئك مسائل طبيعية في حياة العمال . والغريب في الامر انه على هذا الاساس تقوم دعائم ما يطلقون عليه الحرية الشخصية .

بتحليل كهذا التحليل يبرر الاشتراكيون شكوكهم في الحرية تحت النظام القائم . كذلك يبررونها بعدم وجود اسس اخلاقية للاساليب التي يتم بها تقسيم الدولة الى اغنياء وفقراء ، لانه في ظل النظام القائم ، اما أن تأتي الثروة نتيجة للوراثة من الوالدين ، أو نتيجة للحظ أو للقوة التي تسد الحاجة ، غير أن الحالة الاولى ليس لها اي اعتبار اخلاقي ولا حتى طابع الحاجة الاجتماعي ، ذلك لأنه لا توجد علاقة استلزامية مطلقاً بين الحاجيات التي تجب ان تكفل كالضروريات بالنسبة للفقير ، وبين الحاجيات التي لها القوة التي تضمن كفالتها كالكماليات بالنسبة للغني ، فنرى بوضوح أن القوة لضمان الكفالة بدورها تعتمد كلياً على تملك الممتلكات ، وما دامت الحرية تعني القوة لسد الحاجة ، فالحرية اذن اداة للتملك ،وبذا ترجح الموازين في صالح الاغنياء ضد الفقراء .

فالنظام القائم الآن ينظم الاستجابة للطلب دون اي اعتبار للحاجة الانسانية . انه يعتبر الحاجيات مهمة فقط حينما تتوفر القوة الشرائية . لذلك فالحرية بطريقة بارعة موقوفة على اصحاب الملكيات . وهذا ما يفسر بوضوح ايضاً لماذا يوجد

قانون للأغنياء وآخر للفقراء، ويفسر من ناحية اخرى السبب الذي من اجله يتعلم الفقراء الى مستوى الخضوع والطاعة، ويتعلم الأغنياء الى مستوى اصدار الأمر.

وعليه فالحديث عن النظام القائم كنظام يقوم على الحرية يتطلب منا حسب وجهة نظر خصوم الاشتراكية أن نقدم مصالح الاقلية على حساب مصالح الاغلبية، وان نعتبر مصالح الأقلية شيئاً ينسجم تماماً مع خير المجتمع العام ومصلحته.

٢

أما الاشتراكيون فينظرون الى قضية الحرية من زاوية تختلف تماماً عن الزاوية التي ينظر خلالها خصوم الاشتراكية. فهم يزعمون ان من اوجب واجبات المجتمع ان يهدف الى جعل كل فرد فيه قادراً على كفالة نفسه بنفسه كفالة تامة. وينظرون الى الحرية كوسيلة لتنظيم الظروف التي تيسر بلوغ ذلك الهدف. ويزعمون انه ثبت تاريخياً استحالة تنظيم تلك الظروف مع وجود الامتيازات الطبقية سواء كانت امتيازات سياسية ام دينية ام اقتصادية. ويضيفون ان الفرد لن يكون حراً ما لم يكن قادراً على شرح تجاربه في الحياة واثر تلك التجارب في حياته الخاصة شرحاً وافياً لاولئك الذين يتربعون على كراسي الحكم، بمعنى ان تكون حرية الرأي والنقد وحرية التفكير والتعبير مكفولة لكل فرد في المجتمع.

كذلك يقولون باستحالة تحرير الفرد ما لم يكن قد بلغ من التعليم مستوى يمكنه من تحليل وتشريح تجاربه وفهمها فهماً دقيقاً. ومن ناحية اخرى يعتقدون ان الفرد لن يكون حراً ما لم يأمن غوائل العوز المادي – يجب ان ينال أجراً يمكنه من العيش في مستوى معقول فيجد عملاً ما يومياً يقضي فيه عدداً من الساعات يتاح له بعدها فراغ يهيء فيه لنفسه الفرصة للخلق والابتكار. واثناء ساعات العمل يجب ان يعمل في ظروف يشترك هو في وضعها وان تكون الظروف مفهومة لديه بوضوح كاوامر الطبيب او ارشادات مفتش الصحة، خاضعة للتحليل العلمي والمبادي ذات الاسس العلمية ايضاً. وعلى الدولة ان تجعله يحس بان له حقوقاً مساوية لحقوق الآخرين، لا سيا في المسائل الضرورية التي تكفل له حياة موفورة، وذلك بناء على قدر عمله الشخصي ومجهوده اليومي إذ من لا يعمل ينبغي الا يأكل إلا في حالة عذر قهري خارج عن نطاق ارادته.

تلك هي قضية الحرية كما يفهمها ويشرحها الاشتراكيون، وهم يؤكدون انه بغير هذه الوسائل لا يمكن لشجرة الحرية ان تخضرّ فتورق، لأن الحرية والمساواة امران مترادفان بل توأمان لا يفترقان.

اما في النظام الفردي القائم الآن فلا مساواة يمكن ان تتحقق، لأن اولئك الذين يملكون وسائل الانتاج الضرورية هم وحدهم القادرون حسب طبيعة الوضع – على التمتع بخيرات الحياة دون غيرهم، ولذلك يصبحون في موقف يملون فيه ارادتهم ووجهات نظرهم كما تمليها عليهم مصالحهم الخاصة. لهذا كان تأميم ملكية وسائل الانتاج الضرورية من الزم مستلزمات الحياة الموفورة بشرط الا ينال احد من الدخل القومي العام نصيباً على اكتاف الآخرين، وانما ينال الفرد نصيبه الكامل بناء على مجهوده، بناء على قدر عمله، بناء على كمية انتاجه الشخصي. وحينما يصر الاشتراكيون على تأميم وسائل الانتاج لا يتمسكون بالشكليات، وانما يؤكدون انه ما لم تكن وسائل الانتاج ملكاً للجميع فان ارادتها لن تكون في صالح المجتمع، ومعنى ذلك ان الملكية الجماعية هي التي تحقق الارادة الجماعية وبذلك يتيسر تنظيم الظروف او قل تحقيق الحرية.

من الصعب ان يلمس الفرد تناقضاً بين وجهات نظر الاشتراكيين او منطقهم وبين الحرية التي يهدف اليها الانسان. فالفرد يمكنه ان يتزوج وينجب اطفالاً كما يفعل الآن، ويمكنه ان يتمتع بحرية دينية كاملة كما يمكنه ان يتأكد من ان اطفاله سينالون مستوى من التعليم يمكنهم من فهم الحياة، ويمكنه هو ايضاً ان يأمن غوائل الخوف الذي يتهدد حياته بالبطالة والفاقة والعوز المادي. وتغدو الصناعة التي يعيش منها امرا له كل الحق في المشاركة في وضع تصميماته. وتهيء له الملكية الجماعية المؤممة الفرصة ليرقى الى المراكز العليا لا على اساس المحسوبية، وانما بالكفاءة والمقدرة التي يبرهن عليها بخلاف ما لو كان يعمل في ظل الملكية الخاصة، حيث يضطر الى الخضوع لمقاييس اخرى لا تحميه وانما تحمي مصالح صاحب العمل المدفوع بدوافع الربح الخاص.

اما الحرية السياسية التي يتمتع بها الآن فلا تسلب منه وانما تتسع دائرتها امامه فينتخِب ويُنتخب. وقد يرقى الى كرسي الوزارة من غير اي اعتبار للمولد او الجاه او ضخامة الثروة اذ المولد والجاه وضخامة الثروة، كلها عوامل تعوق مبدأ تكافؤ الفرص بين الافراد في المجتمع الذي يماثل المجتمع

القائم الآن ، حتى ولو شاء المرء ، كما يختار كثير من الناس ، الابتعاد عن ميادين السياسة ،فان ما يجري فيها سيغدو مفهوماً لديه لأنه جزء مهم فيها ولانه قادر بالتعاون المتساوي مع الآخرين على ان يشترك في علاج المعوج منها حسب تجاربه واختباراته .

وغاية القول ان الفرد يستطيع ان يعيش كما يعيش الآن بين كتيبته الصغيرة وهو شاعر تماماً بوجوده وبتدريبه عاملاً بين صفوفها وبأن هذه الكتيبة الصغيرة هي جزء لا يتجزأ من جحفل الانسانية العظيم .

قد يقال ان نظاماً كهذا مستحيل التحقيق لسببين : الاول لانه يحتاج الى وفرة عظيمة في الانتاج ، ووفرة اعظم بكثير مما هو موجود الآن . والثاني ، لانه يحتاج من الناحية الاخرى الى مهارة فائقة في الاشراف والادارة ، وهذه المهارة مفقودة بدرجات متفاوتة في المشروعات المؤممة . ولذا فلا مندوحة من الاستجابة الى نداء الرغبة في الحصول على الربح ، ذلك الدافع القوي والوحيد الذي يؤدي الى نجاح المشروعات التجارية لانه بمجرد ما يحال بين المغامر والمغامرة يبرز العجز والقصور الذاتي .

ولكن ما أضعف هذا القول وما اعجزه عن ان يقيم صعوبة ما في طريق الاشتراكية ، إنما الامر بالعكس إذ الحق ان السببين المتقدمين هما من اهم العوامل الرئيسية لقيام الاشتراكية وتطبيقها بنجاح . والبرهان على ذلك هو اننا لا نستطيع ان نحصل في الواقع من العامل او صاحب العمل على اكثر مما يمكن ان يقدمه لنا في ظل النظام القائم . فعاطفة العامل لا تقبل هذا الوضع بل ترفضه وتنفر منه ، وصاحب العمل من الناحية الاخرى إما مضطر لاسباب معينة الى تحديد الانتاج او ليس في مقدوره إدراك طبيعة الحاجة بدليل ان قوانين نقابات العمال التي تنص على تحديد الانتاج هي النتائج الطبيعية اللازمة للرأسمالية ، وبتطبيق الظروف التي اطلقنا عليها الحرية تختفي تلك القوانين الى الابد ، وبذلك يقوى الدافع الى الانتاج في المجتمع الاشتراكي اكثر مما هو عليه في المجتمع القائم الآن ، فالعامل يضمن الامن ضد الجور اثناء توزيع الانتاج ويحصل على المستوى الذي يطمح اليه وهو نصيبه الكامل في الدخل المشترك . او بعبارة اخرى يتحرر العامل من الوضعية المجحفة التي تحول بينه اليوم وبين إبراز نشاطه ، إذ ينفسح المجال امام مواهبه ومجهوداته فيغدو جزءاً لا يتجزأ من نظام معقول يقتنع به لانه نظام لم يعد ينسجم مع الظلم .

ايضاً ليس هناك من سبب معقول يجعلنا نعتقد ان المشروعات الجماعية او المؤممة مضيعة رتيبة لا خلق فيها ولا ابتكار ، فقد دلت اعمال البلديات في مد التيار الكهربائي مثلاً على تفوق عظيم ونجاح كبير فاق المجهودات الفردية . ومن الناحية الاخرى ينبغي ألا نفترض ان تأميم الصناعات لا معنى له سوى تنظيمها في صورة نماذج بسيطة رتيبة على نسق واحد لا خلق فيه ولا ابتكار ، فأغلب الاشتراكيين لا يطلبون سوى تحقيق مبدأين اساسيين فقط بصدد المشروعات التي يجب ان تؤمم وهما :

اولاً — المؤسسات المهمة كالبنوك والقوة الكهربائية ومناجم الفحم والسكك الحديدية والاراضي الزراعية الخ. إذ يعتقدون ان القاعدة الوحيدة الممكنة التي ينبغي ان تقوم عليها الملكية لتضمن حقوق الشعب إنما هي ملكية المجتمع لتلك الوسائل .

ثانياً — الدستور الذي تضعه الحكومة بصدد المشروعات المؤممة يجب أن يفسح فيه كل مجال ممكن كيما يحس العامل بانه وحدة انتاجية خالقة لا آلة صماء جامدة . وما دام العمال يدركون تماماً الاختلاف بين حاجات كل صناعة وحاجات الاخرى فانهم لا يتمسكون بنصوص معينة لتلك الدساتير ولا يتعصبون ازاء المدى الذي يمكن ان تمتد اليه حركة التأميم ، ولكن كل ما يصرون عليه ، انه حينما تغدو صناعة ما ذات اهمية خاصة للمجتمع باسره وتصبح غير صالحة للاستغلال الفردي الخاص فحينئذ ينبغي ألا تظل تلك الصناعة مورداً للربح الخاص يعود الى صاحب رأس المال ، ولكن يجب ان تؤمم ابتغاء استنفاذ طاقة الخلق والابتكار الكامنة في العمال .

أما القول بان تجارب معينة اثبتت فشل تأميم بعض الصناعات فينبغي ألا يعتبر نقدا او حقيقة خطيرة ضد وجوب التأميم ، وخصوصاً تأميم الصناعات المهمة والضرورية إذ هناك تجارب معينة ايضاً اثبتت وما زالت تثبت كل يوم فشل الملكية الخاصة ، غير ان انصار النظام الفردي لا يقرون فشلهم كنتيجة لقوانين الرأسمالية .

ان كل عيب او نقص في الملكية الجماعية مهما كبر وعظم فهو اقل بكثير من عيوب الملكية الخاصة ونقائصها . بينما كل حسنة في الملكية الفردية الخاصة ، موجودة في المؤسسات المؤممة وموجودة بصورة اوسع واكمل . ومن يقدر لهم الاطلاع على

تاريخ الخدمات المدنية في بريطانيا لا شك يدركون تماماً ان الفرصة لخدمة الدولة هي اقوى دافع واعنف حافز يدفع كل ذرة في نسيج هيكل العامل ويضطره الى العمل كما يضطر دافع الحصول على الربح صاحبه الى ان يعمل وينشط .

اما الادعاء بان الصناعات المؤممة يقتلها الكسل والاهمال فقول تهكمي فاضح لا يقوم على اساس من المنطق او العلم او التجارب العملية . ومهما يكن من شيء فان معظم الاتهامات التي توجهها البروقراطية ضد الملكية الجماعية ، إنما هي ضرب من ضروب الدعاية الفجة الممجوجة والمحاولات الفاشلة المرذولة التي لا تهدف الى شيء سوى تعطيل انتصار الاشتراكية المحتوم .

٣

ليس هناك من سبب وجيه يجعلنا نفترض ان الفنون والعلوم لا تحظى ، في الدولة الاشتراكية ، بالنمو والازدهار . فاذا كانت العلوم والفنون تجد عناية ما اليوم بين الاقلية الضئيلة التي تقدرها وتعرف قيمتها فما اكثر ما تجد العلوم والفنون من يهتمون بها حينما تغدو مفهومة وفي متناول المجتمع كله .

الفنان اليوم كالعامل تماماً لا يختلف عنه كثيراً ، يقبع سجيناً تحت أسر نظام الملكية الخاصة . كذلك الباحث والناقد والمفكر كلهم متأثرون وخاضعون لعرف العصر وتقاليده، ومن كان منهم في مرتبة بايرون او شيلي فلا يلبث أن يرى تلك التقاليد والنظم امورا معيبة فاضحة . ولهذا يؤثر الرحيل إلى المنفى هارباً بنفسه وفنه من ذلك السجن المظلم . أما من كان منهم كوليام موريس او برنارد شو فانه يكرس حياته كلها محاولاً القضاء على تلك النظم الفاسدة قضاء مبرماً . وهذا هو الامر الذي يعتبره البعض جنوناً او شذوذاً من الفنانين .

الفنان او المفكر في الدولة الرأسمالية هو الشخص الذي اما ان يقبل فلسفتها ونظرياتها لتنظيم الحياة ، او يبتعد عن محيط الاشتغال باثبات الحق ويجو الباطل . ولكن في عالم ظهر فيه الميل لنصرة الحق لأنه تعبير عن الخير والجمال ، ولسحق الباطل لأنه سبيل الشر والقبح ، لا يستطيع الفنان او المفكر الامين لفنه وانسانيته ان يفعل شيئاً اقل من ان يرفع صوته بالاحتجاج عالياً ضد هذا النظام الفاسد الذي يقدم الربح على الجهد، فيجعل من الربح دافعاً رئيسياً للعمل والانتاج .

لقد قضت النزعة التجارية على حرية الفرد فجعلت منه اسيراً لفلسفة اجتماعية تنادي بأن اهمية الفرد الحقيقية قائمة على ملكيته لا على شخصيته ، على ثروته لا على عمله وانتاجه . وفي جو كهذا الجو القاتم لا يجد الفنان فرصته لأن يظل مقيداً اسيراً يشاهد اضمحلال الشخصية — الامر الذي تكمن فيه رسالته المقدسة ليحررها من ربقة الاسر والاستعباد .

ولكن في عالم غدت فيه الحياة نفسها فناً فان اهمية الفنان وقيمة المفكر ستلمع متلألئة واضحة . لم يعد احدهما اداة للتلوين والزينة ، ولا تابعاً يسير في مواكب الطبقة المستمتعة بأوقات الفراغ ، وإنما ينظر الجمهور اليه كبطل من بناة الحضارة لا يملي النظام عليه ما ينبغي ان يقوله او يفعله ، ولا الاسلوب الذي يتبعه او النموذج الذي يصوغه فيستعمله كما هو كائن الآن ، وإنما يغدو حراً في أحاسيسه واتجاهاته ، طليقاً في آرائه وعمق نظراته لا سلطان خارجياً عليه سوى وحي ضميره ، ولا غرض يخدمه سوى أهداف جيله ، ومن ذلك يتعلم المجتمع ان في تقدير تلك المواهب تكمن مباهج الحياة ومسراتها .

يجمع الاشتراكيون على ان الاشتراكية نظام تحريري لا استعباد او استرقاق فيه لانهم يدركون بعمق اكثر من غيرهم العبودية التي ينوء تحتها أغلب الناس . ولذلك فانهم لا يحاولون علاج عيوبها أو طرد شرورها باستعباد الآخرين.

ويعتقدون من ناحية أخرى ان القوانين الموضوعة ينبغي ان تكون قوانين تحوز رضا الانسان الوسط ، لان الحلول المرضي عنها تنشأ طبيعياً من تجارب الحياة. وتدل حوادث التاريخ على ان القوانين التي تفرض بالقوة والضغط لن تحوز رضا الانسان بحرية واختيار مهما أظهر الانسان خضوعه لها .

ويعتقدون أيضاً باستحالة إدارة نظام اجتماعي واسع كالنظام القائم الآن دون ان تكون هناك خطة وتصميم وتنظيم قوي ، ذلك لأن الحرية في رأيهم لا تعني ترك كل امرىء وشأنه يفعل ما يشاء ، وإنما يؤمنون تماماً ان الخطة والتصميم والتنظيم الموضوع لتنفيذ أي أمر من الأمور الحيوية العامة ، إنما هي الباعث الحقيقي للاحساس بالعدالة ، وبالتالي يأتي الرضا والاقتناع نتيجة لذلك ، إذ الحرية وعدم الرضا ليسا في نظرهم أمرين مترادفين ، بل بالعكس إنهم ينفون بشدة وجود الحرية وقيامها ما لم تتوفر جميع مستلزمات الرضا العام بين أفراد المجتمع قاطبة .

وفوق هذا كله يجمع الاشتراكيون على أنه إذا لم يتحرر

المجتمع من جور الاوضاع الفاسدة القائمة الآن تعجز الأمة عن الدخول في هيكل تراثها الحقيقي ، بمعنى أن الحرية تغدو أمرا مستحيلا ما دام تقسيم الثروة لا يقوم على أساس من مبادىء العدالة يمكن الرجوع اليها . ولا شك في أن عدم وجود هذه المبادىء في النظام القائم الآن يُفسد جميع العلاقات بين أفراد المجتمع .

ولو دل هذا على شيء فانما يدل على أن الأقلية تستعبد الأكثرية .

هذا الوضع المعكوس قد يدعو البعض الى الغضب ثم الثورة الجامحة التي لا تبقي ولا تذر ، وقد يترك آخرين في صمت كالحيوانات تتراءى لهم فيه الحياة وكأنها شيء لا معنى له او قيمة ، وربما دفع جماعات اخرى بحكم العادة والعرف الى ان تضيع جهودها سدى في انتاج ما لا قيمة له ولا طائل وراءه ، والاستمتاع به .

إن الخوف والكراهية والبغض هي الوحوش التي تفترس الحضارة وتثير في الجماهير الميل الى التحطيم والتدمير . وفي جو قاتم كئيب كهذا الجو المفعم بالكراهية والبغض والخوف والمشحون بالبارود المدمر ، توصد أمام الحرية جميع المسالك والمداخل ، لأن الحرية يستحيل عليها ان تعيش الى جانب الظلم ، وإنما تنمو الحرية وتورق شجرتها حيث يُقدّر البشر ويسلّم بان لهم قيمة اعظم بكثير من الكفاح في سبيل لقمة العيش او قطعة الخبز .

نظام كهذا النظام الذي يجعل من الناس وحوشاً يصارع بعضها بعضاً لينتزع ما بأيديها لن يقدم القيم التي تنبعث منها البهجة والمسرة في الحياة . وهذا الصراع لا يعني داخلياً سوى نشوب الحرب الاهلية بين الطبقات وخارجياً الحرب بين الامم والحكومات . إنه قانون الباطل المصطلح عليه وليس قانون الحق الطبيعي الموروث ، بذا يموت كل طموح نحو القمم العالية بسبب نزوع الناس الى اية فرصة سانحة يتنسمون فيها ولو لبرهة وجيزة أريج السلام والامن والنجاة .

حقاً انها لبرهة وجيزة إذ سرعان ما يتقدم الفقير المعدم فيقرع باب المليونير ، ذلك الغني الذي تملأ مسامعه — فيما هو مستغرق بمباهجه ومباذله — تلك الزفرات المتصاعدة من اولئك البؤساء الذين يشقون في الهند وامريكا وفرنسا وانجلترا والصين ، اولئك الذين نغص الاحساس بالحرمان عليهم حياتهم .

وعليه فمهما بلغ بنا الثراء والغنى لن نقدر على العيش بحرية ، ما لم نتوخ العدل في جميع الامور والاوضاع .

جاء في احدى محاضرات وليام موريس القيمة ما يأتي : «يخيل إليّ انه لا بد ان يأتي وقت يجد الناس فيه صعوبة في فهم مجتمع غني كهذا المجتمع الذي يحيا فيه الناس مثل هذه الحياة التي نحياها الآن والتي كلها وضاعة وكلها فحش وقذارة وكلها انحطاط ودناءة .»

وجاء في الرد على هذه النظرية التنبئية العميقة ، ان ذلك مثالية منقطعة النظير ، مثالية تناست وضاعة الطبيعة البشرية ، مثالية تنفث في البشر الجهل والوحشية والكسل ، لأنها تتطلب منهم مجهوداً بل ضروباً من المجهودات لا احتمال ولا قدرة لهم عليها .

وهذا هو النوع من التشاؤم الذي ظل جزءاً مهماً في تكتيكات الرجعية لتصرف الجماهير عن التفكير في قضاياها الحيوية العادلة .

علينا ان نقيم فلسفتنا على الامل لا على الخوف ، علينا ان نقيم نظمنا على اساس ما احرزه الابطال بشجاعتهم لا على ما فشل فيه الجبناء لجبنهم . فكل تغيير تقدمي رأى لم يحدث او يتحقق إلا بعد أن رفضت فئة قليلة ممن يطلقون عليهم اسم المثاليين ، الاعتراف والتسليم باستحالة تحقيقه . ان الاجرام الحقيقي في الفلسفة الاجتماعية المتنشرة الآن انما منشؤه وضاعة الهدف ، فلسنا في حاجة إلى ان ننزع الى بلوغ الشمس ، ولكن يجب ألا ننكر على الاقل امكانية وصول النور الينا .

الناس ، سواء رغبوا في ذلك ام كرهوه ، كلهم شركاء في ثروة مشتركة وتراث مشترك ايضاً . ولا تتسنى لهم معرفة الطريقة التي تمكنهم من المحافظة على تلك الثروة وذلك التراث إلا إذا عرفوا اولاً حقيقة العلاقات التي تربط بعضهم ببعض ، ولسوف يعرفون تلك العلاقات حينما يقومون بالتجربة معاً وبنفوس راضية صافية ، ونيات خالصة صادقة .

ولكن لكيما تجري التجربة ، علينا ان نكون اعضاء في دولة موحدة نوليها اخلاصنا وولاءنا كبشر ذوي عاطفة واعية ، ولادراك هذه الغاية ينبغي ان تكون الدولة جبلت ذاتها على العدالة لان العدالة والحرية توأمان لن يعيشا منفصلين وانما يعيشان معاً حينما تنتصر احداهما .

أم درمان (السودان)

حامد احمد حمداي

في بيروت ... حملة للشتاء

يقال إن في بيروت حملة للشتاء ، ُيعان فيها النازحون بما يتيسر لدى الناس ..
وإلى سيدات وآنسات بيروت العربيات ، وإلى السيدات والآنسات في الوطن العربي ، أبعث هــذه العواطف المتباينة ، لعل فيها ما يدفع واحدة منهن فقط لنزع معطفها لواحــدة من النازحات ...

لاتسأليني كيف مرَّ الصباحْ   على حطامي بارداً ... باردا
ولا تقولي ، كيف كان المساءْ
وكيف يلقاكِ غــداً موعدي
ولا تذودي عن مصير مباح   نسعى اليه واحداً .. واحدا
غداً .. إذا جمّعتُ ورد اللقاء
ستبصرين النار في موقــدي
قلبي الذي عصّرتِه في يـدي
كأي قلب دفقة من دمـــاء
تبكين إذ تلقينه جامـدا   وألف قلب في مهب الرياحْ
يدفنـه الثلـج بلا موعـدِ
بين صبــاح ينقضي أو مساء
غداً ، وهذي النار في موقدي
وأنت في الدفء هنـا تمرحين
ماذا على الزنبقِ والياسمين ؟

★

لاتسأليني كيف مرَّ السحابْ   على حطامي أهوجاً .. عاصفا
ودارُنا ، تلك ، كما تعهـدين
لها سقوف لا تخـــاف المطر
وفي الحبايا جرعة من شراب   تبعثني منطلقـــاً .. هاتفا
وأنتِ في دارك تستدفئـــين
وألفَ قلب في أكُفِّ القدر
يلعب فيها الموت لعبَ الشرر
في موطن يزخر باللاجئـــين
هيهات أن يلقوا به عاطفا   غير بقايا خيمة في اليباب
وألف كهف في زوايا الحجر
تهزه الريح كعصف السنـين
وتنبىء الحـقّ بما ُينتظَر
لألف ألفٍ من ُسقاة الفنون
في موطن يوطأ فيه الجبــين

★

لا تسأليني .. في غدٍ نلتقي   ما أجمل الشوق الى الملتقى
وموقدي يعبث فيـه السعـير
وألف طفـلٍ مات في مهدهِ
والثلج ينهار على مَن بَقي   في مهده الصخري يتلو الرُقى
كألف (تصريح) لنا في النفير !
وتلّةُ الثلــج على زنــده
من يدفع الصخرة عن خـده .
يا زنده الطفـل عرفت المصير
وكان ما كان ، وما ُيتّقى   لقيته في عمرك المُشرق
في الوطن الباقي على مجـده !
وراشق الموكب فيض الزهور
للناسجـين الشعر في حمــده
دمعاً على التالي من النازحـــين
أليعربيين ... حمـاة العرين !

★

لاتسأليني .. ما خبا موقدي   ولا سلوتُ الموعدَ المشتهى
سنلتقي ، سيدتي ، أيّ حين
كما تشائين ... أجــل نلتقي
وللعذارى موعدٌ في غـدِ   في ذلك السفح لدى المنتهى
يدفنهن الثلــج إذ تنزعـين
عنك ارتشاق المعطف الأزرق
في موعـدي المورَّد المونَق
وتنسجين الشوق ما تنسجـين
لاتسأليني، ماجرى، مادهى   فلن تري قلبي غداً في يدي
ودّعته في موكبٍ أحمـــقِ
وأنتِ ، من أنتِ ، ولو تعلمين
نفضتَ أعطافـكَ عن مرفقي
وكان قلبانا المكانَ الأمـين
للدود ، لا للشوق ، لا للحنـين

بغداد

عدنان الراوي

مشكلة الكتابة

بقلم عيسى الناعوري

ترتفع من حين الى آخر من بعض المشتغلين باللغة العربية صيحات جريئة تدعو الى تسهيل الكتابة العربية، لأن الحرف العربي – في عقيدتهم – يعسّر القراءة بما له من اشكال متعددة، ولعدم مرافقة الشكل للحرف في الطباعة والكتابة اليدوية. ويطالب الكثيرون باستبدال الحرف اللاتيني بالعربي، لأن الحرف اللاتيني لا يحتاج الى الشكل، وهو لذلك أيسر كتابة وأهون نطقاً. وهؤلاء الدعاة – ولسنا نشك في اخلاصهم وصدق نواياهم – يرون في دعوتهم هذه حلاً لمشكلة الكتابة العربية، ويتمثلون تأييداً لدعوتهم بما قامت به تركيا الحديثة في هذا الموضوع نفسه.

ولقد اهتمت مجلة (الحكمة) البيروتية لهذا الأمر، فقامت باستفتاء حول الموضوع، اشترك فيه كثير من المشتغلين باللغة العربية؛ وكان لصاحب هذا المقال نصيب من الاشتراك في هذا الاستفتاء، فأجبتُ عليه بأني لا أرى اصحاب هذه الدعوة على شيء من الصواب، وتبينت عدداً من النقاط الرئيسية التي استند عليها في هذا الردّ، واهمها ان اصحاب الدعوة نظروا الى الموضوع من جهة واحدة – هي جهة القارىء – واهملوا الجهة الثانية، وهي الأكثر اهمية واشد صعوبة، تلك هي ناحية الكاتب؛ فلكي يتمكن الكاتب من الكتابة الصحيحة – سواء بالحرف العربي او اللاتيني – ليقدم للقارىء مادة للقراءة، يجب ان يكون متمكناً من قواعد لغته، وإلا فلا فائدة من تغيير الحروف مع عدم إمكان الكتابة الصحيحة. والصعوبة الكبرى هي في (القواعد) لا في شكل الحرف او نوعه.

وانا أودّ ان أضيف الآن ان الصعوبة التي نجدها في لغتنا ناجمة – من حيث الكتابة – عن عدم مرافقة الشكل للحرف، فقط؛ فاذا استطعنا ان نجعلها مترافقين في الطباعة والكتابة اليدوية – وهذا اسهل بكثير من استبدال الحروف، واقرب الى العقل والمنطق – لم تبق لدينا مشكلة في قراءة العربية.

ويبدو لي ان هؤلاء الذين يشكون من صعوبة الكتابة العربية، لم يحاولوا ان يقيسوا بين العربية واللغات الغربية، ليروا مقدار ما في هذه اللغات المكتوبة بالحرف اللاتيني من المشاكل والصعوبات التي لا مثيل لها في العربية. ونحن في هذه العجالة سنحاول ان نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر، متذكرين ان اصحاب هذه اللغات المعقدة، ذات المشاكل العديدة، لا يتنكرون لها او يحاولون تغيير حروفها، مع انه كان خيراً لهم لو استبدلوا الحرف العربي بحروف لغاتهم !!.

واول ما نذكر من هذا القبيل ان في اللغات الأوروبية – كلها تقريباً – حروفاً عديدة تُكتب ولكنها لا تقرأ – بينما ليس في العربية من هذا النوع سوى (ألف الاطلاق) التي تزاد بعد واو الجماعة في الأفعال.

من هذه الحروف التي تكتب ولا تُقرأ نذكر في الايطالية الحرف (G) إذا وقع قبل الحرف (L) او (N) مثل: (Impegno - Degno - Moglie - Figlio)

وفي الفرنسية نذكر الحرف (L) عندما يكون مزدوجاً، مثل: (Fille - Meilleur - Juillet - Travaille). والحرف (S) في (Tous - Des - Les) وفي مثل (Descartes) التي تُلفظ (ديكارت). والحرف (E) في آخر المؤنث، مثل: (Une - Toute - Malfaisante). والحرف (x) في مثل: (Deux - Mieux - Animaux) والحرف (R) في أواخر بعض الأفعال، مثل (Accepter - Arriver) الخ ...

واذا كانت الملاحظات من هذا النوع وغيره قليلة في الفرنسية، وأقل منها كثيراً في الايطالية، فهي في اللغة الانكليزية لا تكاد تقع تحت حصر، كما انها متنوعة جداً.

انك لتجد في اللغة الانكليزية ان الحرف الواحد يلفظ بأصوات مختلفة بدون سبب معقول. كالحرف (O) في مثل (Go - و Do) والحرفين (Ow) في مثل (How و Bow) والمخارج الصوتية العديدة للحرفين (ou) كما في الألفاظ التالية: (Trouble -Four -Out -Thought - Through) وانت تحتار اذا كنت غريباً عن هذه اللغة في كيفية التلفظ بالألفاظ التالية مثلاً: (Through - Cough -) فالأولى تلفظ (كف) والثانية (ثرو) مع ان الحروف الأربعة في آخر كل منهما واحدة.

وكذلك تقول في مثل (Fly و Weekly) فالأولى (فلاي) والثانية (ويكلي) وليست (ويكلاي) كالأولى. وكذلك

تجد ان الحرفين (Th) مجتمعين ، يلفظان حيناً (ث) كما في (Tooth - Thief - Thing) وحيناً (ذ) كما في There - This

ثم انظر الى الألفاظ التالية لترى كيف تختلف كتابتها اختلافاً كبيراً ، ومع ذلك فمخارج اللفظ فيها واحدة : (Fire - Tyre - Higher) وايضاً : (Hair - Their - Her - There - Bare) . ألا تستغرب ان يكون الصوت في جميع هذه الألفاظ واحداً على الرغم من الفوارق الكبيرة في الكتابة ؟ وكيف بالله يستطيع غريب عن هذه اللغة ان يقرأها وفيها كل هذه الفروق الكتابية ؟

واذا خرجنا عن هذا النوع، رأينا ان هناك حروفاً تكتب ولا تلفظ ، وهي كثيرة جداً ، ومنها مثلاً الحرف (B) في مثل (Doubt) والحرف (K) في مثل (Know - Knight) ومثل الحرفين (D و E) في لفظة (Wednesday) . ولا تسل عن الحروف التي تكتب بالجملة ولا محل لها في اللفظ ، او هي تلفظ مشوّهة، مثل (Neighbour . Through . Enough . Daughter . Soldier) وغيرها كثير جداً .

بعد هذه الفوضى الشنيعة جداً التي نجدها في اللغة الانجليزية — وهي من اللغات المكتوبة بالحرف اللاتيني — لست أدري اذا كان سيظل في ابناء العربية من يجد في نفسه رغبة لتشويه لغته بمثل هذا التكلف البغيض الذي لا يقره عقل ولا منطق ولا ذوق — اللهم إلا لدى الانجليز وحدهم !.. —

والغريب ان الانجليز اصحاب هذا اللسان الاعوج المنحرف، لا يشكون من اية صعوبة في قراءة لغتهم ، ولا يشكو الغرباء عنها — ولا سيما من الغربيين — شيئاً من صعوبتها . فهل كان من نصيب العربية وحدها ان يتنكر لها ابناؤها لمجرد صعوبة بسيطة ، ليس اسهل من التغلب عليها بقليل من حسن النية والرغبة في تيسيرها ؟

انني اعود ههنا لاكرر ما قلته في ردي على استفتاء (الحكمة) من انه اسهل علينا كثيراً ان نجعل الشكل — ما كان منه ضرورياً — ملازماً للحرف في الكتابة اليدوية والآلية ، من ان نمسخ لغتنا بكتابتها بالحروف اللاتينية ، مع العلم بان الحروف اللاتينية لا تفي بحاجتنا ، إذ ليس فيها كل حروف لغتنا ، ولا بدّ من تحويرها باشكال وعلامات متعددة لجعلها صالحة للأصوات التي تتميز بها لغتنا عن سائر اللغات الاخرى .

عمان

عيسى الناعوري

الحصاد

•

وطاف الدجى عَبرَ آفاقه ، وغابَ مع الأبدِ المسْدَلِ !..
ضريرَ الرؤى ، ساخطَ المهمهات كأنَّ بـه لعنةَ المبتلي
صريعاً ، تلاحق أسدافَه طيوفُ المدى ، بالسنا المرسَلِ
يسحُّ الضحى ومضَ إشعاعه ، ليلحده جـامدَ الهيكلِ
وكانَ الندى زئبقيَّ الأديمِ تساقطُ في الغيهب الأليلِ
يبيتُ على دوحةِ المنحنى ، ويصحو مع النَسَمِ المغتلي
كنجم السُرى خرَّ في مهمهٍ ، كلمح السراب على جندلِ !!

★

ولما احتسى الفجرُ صهباءَه من النور ، في الشفق المهمَلِ !
وحامت طيورُ الذُرى الصادحاتُ تغازلُ أوكارها من علِ
ترنّم ألحانها ، كالعزيف ، وتأوي لدى ضفـة الجدول !
وبين الربى الخضر ، كم رجّعت أغاني الفسيل .. الى السنبل
يتيه بها الرنمُ العبقريُّ ، ويصغي لهـا مسمعُ البلبل
هناك ، وفي قرية الكادحين ، عبيد الدُمى ، للظى المصطلي
عرائسُ من ساهمات الظلال تعرّتْ مع الطلّ ... للمجتلي !!
وسحرٌ من الفن طوع الخيال ، وعرسٌ من الزهو ، لا ينجلي
وعيدُ الفراهة ، زاهي الجمال ، وهمسُ فم الأريجيّ الخلي !
تجاوبُ في سكرات السكون صلاةٌ ، مع الزامر الأول !
يسوق القطيعَ لمرعي الربيع ، وسفح المروج .. الى المنهل
وينفخ من نايه المشتهى مع الآه ... أغرودةَ المعْول !

★

وأغفى الشروقُ على ساعديه ! وأغفى على واحة المأمل !
وآبتْ من الحقل في طهرها صبايا الى الحيّ ... كالمحمل !!
تدبُّ على الأرض مثلَ الحمام ، ويوخزها الشوك في الأرجل
وكان حصادُ الأسى المستغيث ، ودمعُ الأسارى على المنجل !!

بغداد

علي الحلي

العنق داخل الانشوطة

قصة
بقلم [illegible]

اضطر بعضنا للوقوف . فقد كانت الغرفة عارية إلا من مقعد خشبي طويل واحد ، وكنا نقارب العشرين. كان عبد الساتر مسنداً ظهره الى الجدار قربي، وقد بدا كأنه موشك ان يقع مريضاً على الارض . قلت له ان يجلس على طرف المقعد حيث كنت ولكنـــه رفض . من المؤكد ان ليس الرعب هو الذي كان يحسه عبد الساتر ، فقد كنت افهمه تماماً في تلك الساعة ، ولو كان على الحائط مرآة لرأيت وجهي مثله . ولكنني نهضت واقفاً مع ذلك تاركاً لغيري أن يقعد لأنني كنت واثقاً ان احداً لن يقبل دعوتي، ولكنهم يجلسون اذا رأوا المكان خالياً بطبيعته . إلا أن عبد الساتر لم يجلس ، وانما رأيت في مكاني فتى صغير السن ، استغربت وجـــوده بيننا ، إذ ليس من المعقول أن يكون من الاصدقاء .

بدأت اتجول في الغرفة ويداي في جيوبي ، ولكنني لاحظت ان الجميع سواي واقفون ، واجمون ، ينصتون الى وقع خطاي ، وينظرون إلي . فوقفت قرب عبدالساتر ، واستندت مثله الى الجدار ، وصرنا نتطلـــع جميعاً ، بعضنا الى بعض . لم يكن امامنا شيء في بادىء الامر سوى ان نتبادل النظر ويرى كل واحد منا في وجه رفيقه وجهه بالذات . عندما طال الانتظار قليلاً، بدأنا نتبادل الحديث هامسين ، ثم صار الحديث عادياً ، ولكن الصمت عـــاد من جديد بعد ان مرت علينا ساعتان كاملتان دون ان يفتح الباب انسان . كان وجودي هنا أول تجربة لي من نوعها. واعتقد ان بقية الاصدقاء كانوا مثلي وإن لم اعرف اسماءهم جميعاً . فقد كنا كانا ننتظر بوجوم ما سوف يحدث وكنا جاهلين تماماً كيف ستنصرف بالضبط ، إلا ان احداً غيري ، وغـــير عبدالساتر ، واثنين آخرين ما كان ليعرف شيئاً ذا بال . لذلك كنت مطمئناً، فقد كنت اثق بهم.. ولكنني امام المجهول كنت غير واثق حتى من نفسي . فاستبدرت الى عبدالساتر احاول ان اقول له كلمة ، ولكنني رأيته يبادلـــني نظرتي ، ثم يغتصب ابتسامة ، وابتسم الآخران لي مثله . فحرت ماذا اقول لهم . اني بحاجة اليهم أكثر مما هم بحاجة إلي .

كان وقت الغداء يقترب ، ولكنني لم احس الجوع . وفي تمام الساعة الثانية عشرة انفتح الباب، ورأينا رجلا مدنياً يقف على العتبة وهو يشملنا جميعاً بنظرة كالحة ، ثم قال بصوت خافت صارم :

– من منكم مصطفى مردنلي ؟ . . .

اذن يريدون ان يبدأوا بي ! . تطلـــع الجميع نحوي ، فعرف الرجل غريمه قبل ان انطق بكلمة . فقال لي دون ان اتحرك من مكاني :

– انت ؟ . . .

– نعم . .

– اتبعني . . .

قالها واختفى . فلحقته على الفور . وأردت ان اقف على العتبة قليلاً كي اقول لرفاقي كلمة ، ولكنه لم يتح لي اكثر من القاء نظرة ولكنها كانت كافية لان ينهار لها بدني ، وتتخلع ساقاي . فقد كان الجميـــع ينظرون الي كمن يساق الى ساحة المشنقة . وكان عبدالساتر من بينهم جميعاً ينظر نظرة لا معنى لها البتة. نظرة جامدة كمن يستقبل قدراً محتوماً،فلا مكان للاشفاق والتوجس. انا اول الخيط ، ولسوف يسحب حتى تجر القافلة كلها، فلمن نخاف ونرثي ؟

قال لي :

– ادخل . . .

وفتح لي باباً ، ووقف ينتظرني الى جواره ، وما كدت ادخل حتى اغلقه خلفي . وهكذا رأيت نفسي وحيداً مع رجل آخر ينتظرني وراء مكتبه .

عرفته على الفور. فحملقت فيه برهة ثم استرددت نفسي وتكلفت اللامبالاة والاحتقار ، ولكنه نهض وطلب الي بصوت رحيم ان اقترب واجلس الى جوار المكتب .

جلست على المقعد الجلدي جلسة المتحدي ، واثبت عيني في محبرة عـــلى المكتب ؛ ثم انتظرت. كان يرتب اوراقاً امامه ، ثم يعيد ترتيبها من جديد . فقد كنت اراه خلسة من زاوية عيني انه يفتش عن الكلمات ؛ فهل أجد فيه الانسان الذي كنت اعرفه ؟ كنت اعلم انه يعمل هنا منذ امد طويل . ولكنني لم اكن اتصور ان يكون هو المكلف بامثالنا . وانني سألتقي به هكذا في مثل هذه الخلوة . أخيراً ، سمعت صوته :

– يا مصطفى .. اريد ان اقول لك كلمتين . وإن لم يكن مـــن اختصاصي ان اقابلك شخصياً او اقابل غيرك . ولكنني لمحتك بينهم وأردت ان انصحك . .

كدت اهتف به ان يكفي نفسه مؤونة الكلام . وان يخفي وجهه القذر بين الاوراق الدنسة التي يكتبها لأسياده. فلست بحاجة الى نصيحة من انسان مثله . ولكنني لم اقل شيئاً . كنت انظر الى المحبرة بنظر ثابت وقد فقدت معناها عندي . فما كنت أراها وأنا أحدق بها وأستمع الى ما يقوله هـــذا الجالس وراء مكتبه . كنت احاول ان اطرد صورة قديمـــة عالقة بذهني لباحة مدرسة قديمة ، والطلاب يتجمهرون، وأنا اصرخ ، وأروح ، وأجيء . ثم اتسلل الى الرواق فأرى باب غرفة المدير ينفتح ويخرج منه احد المعيدين يتبعه صديقي رشاد. كنت اسمع من قبل انه كان يشي بنا،وانه كان عيناً للادارة على الطلاب . ولكنني لم اصدق حتى تلك اللحظة التي رأيته فيها خارجاً من غرفة المدير يقوده احد المعيدين ، فيتجاهلني وقد شحب لونه ، ويتسلل من طرف الرواق الآخر .

رفعت عيني الى الرجل الذي يحدثني . كان وجهه شاحباً مريضاً كما كان عندما فاجأته منذ زمن قديم أتذكره الآن كأنه البارحة . لقد تباعدنا بعد رؤيتي اياه في ذلك اليوم ، ولكننا لم نصبح عدوين ، فقـــد كنت ورشاد صديقين متجاورين سنوات . وكان صعباً علي مع ذلك عندما كان يهاجمه احد ألا اقف في صفه مبرراً موقفه ، سانداً اياه . سمعته يقول :

– ماذا افادك ذلك في المدرسة ؟. – انه لا يزال يذكر اذن تلـــك

الايام – لقد كان مجرد شغب أخرك عن رفاقك ، وها قد انتهى من تابع تعليمه العالي من رفاقك فصاروا محامين ، واساتذة ، ومهندسين .. وانت .. ما تزال طالباً ..

انه يسميه شغباً كل ما صنعنا . أما عمله هو فماذا نسميه اذن ؟ قلت له :

– ماذا تريد اخيراً ؟

فابتسم . وكانت ابتسامته جميلة هذه المرة :

– ماذا اريد .. ها انت ذا تعود الى عنادك القديم . كل ما اريده هو ان تخرج بسلام على ان لا تصنع شيئاً يرجعك الى هنا بعد الآن .

كان بودي ان اسأله عن ثمن خروجي بسلام ، ولكنني كنت اعرف هذا الثمن . وتقابلت عيوننا، وخيل لي انه صديقي الذي أعرفه حقاً ، وأنه يفهمني ، وسوف يساعدني ولن يضطرني الى ان اتلوث . انه سيقول لهم هذا بريء لا يعرف شيئاً ، وينتهي كل شيء بسحر ساحر ، فهم ولا شك يحبونه ولا يرفضون له طلباً . وفجأة سمعته يقول لي بلهجة واثقة :

– سيسألونك بعض اسئلة بسيطة ، وسوف تجيب عليها بصدق وصراحة ، وينتهي الامر . انك لا تخون احداً ، فأنت مرغم فيما تصنع . انهم مخيفون اذا لم تتكلم ..

بعض اسئلة بسيطة ! وبعض اجوبة صادقة صريحة .. وينتهي الامر ! حسناً يا صاحبي ، انك تعرف كيف تبرر كل شيء ، وتجد مخرجاً من جميع الازمات وبابسط طريقة . ذلك انك مرغم . أنا اعرف انهم مخيفون، ولكن بالنسبة لك .. ولي ايضاً اذا اردنا الحقيقة .. ولكنني اخاف من هذا الشيء الذي تدعوني اليه اكثر . ان حياتنا هذه كلها خوف دائم، ففيمَ نهادن ؟.

– انني لا اعرف شيئاً فكيف اجيب ؟.

– لا تقل هذا .. انت تعرف كثيراً من الاشياء .. انهم لا يجهلونك..

كان يبتسم بخبث . لقد خانتني قسمات وجهي متيحة له ان ينفذ الى اعماقي ويحس بمثل الانتصار علي.هل سأرفض الإجابة حقاً ؟ .. واذا ضربوني ؟.. كنت قبل ان يقبض علي لا اتصور نفسي إلا كالعود القوي الريان المنشك في الارض مهما تنوء الى تحت فانه لا يلبث ان يشب واقفاً من جديد . ولكن مذ ان استقرت على وجهي اول صفعة في الشارع ثم حشرنا كالبهائم في سيارة نقل صغيرة وطوتنا هـذه الغرف والاروقة الباردة القاتمة ، بدأت تتملكني مشاعر من نوع آخر . كنت في الغرفة لا ازال قوياً ، ولكنني عندما سمعت النداء باسمي سقط قلبي وكدت اهم ألا اعترف باسمي ، او اختبيء بينهم ، او اصنع شيئاً ما يؤخر ما سوف يحدث ، ولكنني أجبت مـع ذلك ، وسرت وراءه كالذاهل المأخوذ . ماذا يضير اذا تكلمت ؟ ان الانسان لا يستطيع ان يتحمل العذاب . نحن بشر .. ولسنا عجماوات .. وشعرت ان فمي منفرج مرخي . وأن ثقلاً غريباً يهبط اطرافي فأتصور انه لن يتـاح لي تحريك اعضائي اذا ما أردت النهوض . لقد تفككت ، ولم يبق مـن العود القوي الريان الا الشلو المطروح .

كان لا يزال يتكلم ولكنني لم اكن اعي شيئاً فقد كانت كل جوارحي منصرفة الى سماع ضجة علت برهة ثم ابتعدت وظل عالقاً منهـا بسمعي صوت رجال يتدافعون ، وآخرين يصيحون ويشتمون ، فألى اين اخذوهم يا ترى؟ ولماذا استبقوني من دونهم هنا . بدأت استمع اليه عندما شرع يتحدث عنهم :

– هل سمعت.لقد ساقوهم الىقاعة تتصل بها غرفة صغيرة حيث سيستجوبون.

كدت اقول له : وأنا ماذا ستصنعون بي ؟. ولكنه كفاني مشقة السؤال عندما قال :

– أما انت فسوف تظل هنا حتى نستدعيك . سوف اتركك هنا وحدك .

انهم يحتاجون لي كي اترجم لهم ..

ما كاد يقول ذلك حتى فتح الباب، وظهر شرطي . وقبل ان يفتح الشرطي فمه بكلمة نهض رشاد قائلاً له :

– أنا قادم ..

وخرج صديقي ...

لقد حاول رشاد ان يكون صديقاً . ولكن ها هو يذهب الى خدمة اسياده الجلادين . لا .. ليس هو الصديق .. وإنما هم اولئك الذين ذهب الى لقائهم كي يمروا امامه واحداً واحداً مرنحين من الاعياء في القاعة المرعبة ، ويرفضون ان يبوحوا له بشيء..

وفجأة بزغت فكرة بشعة كما نكتشف احياناً ثقباً حفره فأر في جدار صلد . ما ادراني انهم لن يتكلموا . لقد بدا عبد الساتر كالمريض . فلماذا اقاوم انا وحدي ؟

بدأت اتطلع حولي . لم تكن الغرفة مترفة . ولكنها كانت مريحة. وكان لها بابان . الاول هو الذي دخلت وأطل الشرطي منه .. والثاني .. وقفزت الى رأسي بارقة كما يضيء صاروخ ساطع يشق عنان السماء المدلهمة . لمـاذا لا احاول الفرار من هذا الباب الثاني ؟ لماذا لا اجرب فتحه عـلى الاقل لعله يقود الى الشارع مباشرة ..

ظللت اكثر من خمس دقائق وأنا مسترخ في مقعدي كالمشلول ، لا اجرؤ ان انهض واجوس في الغرفة . انهم يراقبونني من مكان ما ، فاذا تحركت فهموا ماذا اريد وثبتت التهمة علي . وبحركة بطيئة رحت اجول بعيني في كل زاوية وثقب . لم يكن هناك مكان صالح لمراقبتي . لقد كنت واهماً .

نهضت . وتثلجت اطرافي . كنت اقترب من الباب وأنا اسمع دقات قلبي واضحة ، فأتجلد ، واحاول ان اتكلف اللامبالاة اذا دخل احد وفاجأني على هذه الحال ، فأقف ، وانظر الى صورة منظر طبيعي معلقة على الجدار وأجرب ان اتأمل تفاصيلها . انني لا اريد الهرب.. انني اتفرج فقط بامعان على صورة في الجدار .. ولكن قلبي اللعين كان يضرب بقوة . ومن بعيد سمعت صدى خطوات. وفي قفزة واحدة كنت في مقعدي . ولكن الخطوات تجاوزت الغرفة ، الا انني ما تحركت بعدها قط .

كانت ساعة الجدار امامي مباشرة ، فبدأت اعد دقاتها ، واوازن بينهـا وبين دقات ساعة يدي . ها هي تقترب من الواحدة ، ولم يأت احد . لعلهم سيتركونني بلا استجواب . وشملني فجأة ذعر جديد . ماذا سيفكر اصدقائي بي وقد رأوني اخرج من بينهم ثم يساقون وحدهم الى قاعة رهيبة حيث ينتظرهم رجال عتاة كزبانية الجحيم ؟ لقد استطاع الوغد ان يجرني الى حمأته . انه الآن معهم ، وسوف يلفق عني الاكاذيب امامهم . وسوف يصدقونه . انهم وحدهم يتعذبون . امـا انا ، فلست منهم بعد ان خلفتهم ورائي في الغرفة . وعندمـا نتلاقى ذات يوم في الطريق سوف يشيحون بوجوههم ، وقد يبصقون على الارض .

وقف عقرب الساعة . انه لا يريد ان يتحرك . متى يأتون فيأخذونني . استقر اخيراً العقرب الصغير على الرقم واحد ، والعقرب الكبير على الرقم اثني عشر ، ثم بدأ الكبير ينحدر الى اليمين .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. اربعة .. خمسة .. ستة .. واحدة ونصف .. ماذا يصنعون بهم . انني لا اسمع اصواتاً . وفتح البـاب ، وقفزت انا واقفاً .

كان هو . وكان وجهه مخيفاً رغم الابتسامة التي حاول ان يخفي بها تجهمه :

– لم يتكلم احد سوى فتى صغير السن قال انه رآك في اول الصفوف . لقد بت وحدك الآن الذي يعرف كل الاسماء،تعال الحقني واصنع كما قلت لك.

وحدي الذي اعرف .. وحدي .. كنت امضغ هـــذه الفكرة وأنا امشي وراءه كمن يمشي في كابوس . كانت تطالعني عند كل منعطف سحنة ممتعة حاقدة ، فتصورت مـــاذا كانوا يصْنعون بي لو لم يكن هو معي . فأسرعت الخطى مقترباً منه كأنني احتمي به ، ثم وقفنا امام احد الابواب ، ودخل وهو يشير لي ان اتبعه .

دخلت وراءه . كانت الغرفة صغيرة ،فيها طاولة مكتب صغير يجلس وراءها رطي برتبة وكيل لم يرفع نظره لي ، والى يمينـــه يقف شرطي مسلح معه خيزرانة طويلة يلويها بين يديه . وكان ضابط برتبة « ليوتنان » يجلس على حافة المكتب وهو يتحدث بفرنسية سريعة كأنه غاضب لشيء ما .

ما كدت ادخل حتى اكتسحني الضابط بنظرة نافذة ، ثم تبادل وصديقي بالفرنسية بعض الكلمات ، فهمت بعضها ، وفاتني فهم البعض الآخر . فقـــد كانت لهجته سريعة جداً لم استطع اللحاق بها .

طلب الي الضابط ان اجلس على كرسي في الزاوية امام المكتب ، ثم سألني هذا السؤال :

– لماذا اشتركت بالمظاهرة ؟

لم اكن مهيئاً جواباً على مثل هذا السؤال . كنت منتظراً ان يسألوني عن بعض الاسماء . أما ان اسأل لماذا اشتركت فأمر آخر بهرتني بداهته . صحيح . لماذا اشتركت بالمظاهرة ؟ هذا ابسط وأول سؤال يجب ان يتبادر الى الذهن . هل اقول له انني اشتركت بها لأنني اكرههم ، ولأنني احب بلدي ، ولأنني اتمنى طردهم ، ولأنهم خداعون دخلاء ، ولأنهم .. ولكنني في تلك اللحظة بالذات لمحت بابا صغيراً جانبياً مغلقاً ، وسمعت من ورائه اصواتاً مبهمة . خيل لي انهم يضربون احد النـــاس وانه يبكي ويتوسل اليهم ان يكفوا عن ايلامه . وضرب الضابط المكتب بقبضة يده وقال :

– تطلع هنا .. لا تنظر الى هناك..اجبني... لماذا اشتركت بالمظاهرة ؟

وسألني رشاد وراءه بالعربية نفس السؤال ولكن بنبرة اهدأ . قلت :

– لقد رأيتهم خارجين يهتفون،فأعجبتني هتافاتهم والشعارات التي يحملونها، فانضممت اليهم .

قلت هذه الجملة محاولاً افهامهم انني اشتركت مصادفة،فاذا نجحت في ادخال هذه الفكرة الى رؤوسهم نجوت من الاسئلة الاخرى الاصعب .سكت وأنا انتظر سؤالا آخر . ودار حديث قصير بالفرنسية بينهما لم افهمه ، ثم سألني الملازم اسئلة متلاحقة لم افهم منها غير هذه الكلمات : دبروا المظاهرة ... الحجارة ... مكان ... وعندما ترجمها لي الآخر بعربية هادئة استطعت ان افهم ماذا يريد :

– ما هي اسماء الذين حرضوا على التظاهر ؟ ومن هم الذين رشقوا دار المفوضية بالحجارة ؟ وهل لكم مكان خاص تجتمعون به خارج الجامعة ؟...

لبثت حائراً امام هذه الاسئلة المتلاحقة لا اعرف كيف اصنع . انه يعلم اذن انني من المنظمين ولا بد انني اعرف الاجوبة الصحيحة التي يريدونها . ولكنني لبثت زائغ العينين لا اتكلم ، فصرخ الضابط من جديد بي مرة واثنتين ، ثم رأيته فجأة يقبض عـــلى شعري بجماع يده فيشده بعنف وهو يسألني اسئلته المتلاحقة ورأسي يتخلع في يده ، وأنا احس ان خصلات كاملة سوف تخرج بين اصابعه . وعندمـــا لم انطق بشيء بدا مفاجأ كأنه لم يكن يتصور أنني سأقاوم ، مثلهم على الأقل ، فلعل رشاد اقنعه انني سهل ، وإلا فهل كان يسمح له ان يدعني انتظر في غرفة المكتب . كان هذا ظاهراً، فان الضابط التفت اليه صارخاً بلهجة تعنيف واضحة ثم ترك الغرفة فجأة واغلق الباب خلفه بشدة . وهكذا خلوت الى صاحبي من جديد . ولكن كان معنا اثنان آخران في هذه المرة .

اقترب مني ثم جلس على حافة المكتب كما كان الضابط جالساً وبدأ يتكلم. كنت استمع اليه دون ان ارفع عيوني ، وعندما طلب الي ان انظر اليـــه رفعت وجهي ، وما كادت عيوننا تتلاقى حتى فهم هو على الفور انني لن اعبأ بكلماته ، كما فهمت انا بدوري انه نفض يديه مني تمامـــاً . إلا ان شيئاً آخر حيوانياً اخافني في نظرته ، فلقد بدا كجلاد شامت لم يستطع إقناع المحكوم عليه بالاعدام ان يضع له الانشوطة بنفسه ، فما كان منه إلا ان تعلق بقدميه يشده الى تحت متشفياً ، مستعجلاً له الموت .

التفتَ رشاد الى الشرطي المسلح واشار له إشارة خفيفة ، الا انني لمحتها ، وما كاد يقترب هذا مني حتى كدت اتداعى واهتف ضارعاً انني بريء ، فقد كان في مشيته نحوي كمن يريد التخلص نهائياً من شخص مزعج . ولكنني لم اصرخ ، ولعلني ما وجدت تلك الصرخة ، فأردت ان اقول كلمة ما اواسي بها ذعري فلم اجد غير قولي لهم :

– لقد قلت لـــكم كل شيء .. انني لا اعرف اسم احد ..

فاطلق رشاد حشرجة من بين اسنانه فهمت منها قوله :

– خذه .. واجعله يتكلم ..

اين سيأخذني ؟. نهضت واقفـــاً بلمسة من يد الرجل المسلح ، ولكنه لم يكتف بذلك وانما لطمني على وجهي فجأة ، ثم سبني ، وضربني بخيزرانته في جنبي ، وصرخ بي ان ادخل من الباب الصغير .

حدث كل هذا في ثوان. فبدا كأنه شيء لم يقع بالفعل . ولكنني وجدت نفسي اتجه الى الباب الصغير كأنني هارب . ولكن الى اين ؟ .

هناك رأيتهم . لم يكونوا كلهم هنـــاك . ولكن عبد الساتر كان بينهم ، مكوماً على الارض ، دامي الوجه ، مسنداً ظهره الى الحائط ، وهو يتطلع امامه بذهول . فبدا كأنه لم يرني ، اذ لم يلتفت نحوي . حاولت ان اقترب منه هاتفاً باسمه كي يعرف انني هنا ويثق انني ما زلت واحداً من الجماعة، لكن رجلين ضخمين في ثياب عسكرية برزا امامي بغتة ، واخذني كل من ذراع ثم شداني اليهما بعنف وهمـــا يتراجعان الى الوراء ، فسقطت وظلا هما يمشيان ويسحباني وراءهما على الارض . وفجأة ، وبحركة واحدة رأيت نفسي واقفاً بينهما ، ثم تركني الممسك بيدي اليمنى وبدأ الثاني يلكمني في وجهي وصدري.

سقطت على الارض بعد لكمتين ، ولكن الثـــاني انهضني على الفور ، وصفعني على وجهي صفعة مدوية طاش لها رأسي،ثم شرع الاثنان معاً يضربانني كيف خطر لهما وهما يمنعاني من السقوط بـــين لحظة واخرى ، ولكنهما لم يستطيعا ذلك فقد تهاويت اخيراً وتشبثت بالأرض لا اريد ان اقف . ومـــا كادا يفهمان ذلك حتى شعرت بألم « عظيم » في خاصرتي اليسرى . فقد ركلني

على الحدود

اماه . . .
« ما بك يا بني ..؟ أكنت تحلم ؟.. ما دهاك .. ؟
الليل خيَّم في الحقول ونام حتى السامرون
الليل خيم والسكون ؛
نم يا حبيبي فالرفاق ، رفاق دربك نائمون
ما زلت تحلم .. لا تخف .. الكل يا روحي فداك »
اماه .. أغمضُ مقلتي التعبى فترهبني الحدود ،
اماه .. صوت ابي يدوّي في الحدود . .
ومزارعِ الزيتون والحقل المخضب بالدماء ؛
اماه ، يقلقني اليهود ،
اني اراهم يزحفون على الحقول ويرقصون ؛
اماه ، ها هم يرقصون ،
« نم .. يا صغير ..!! ابوك والحقل المخضب بالدماء ..؟
ماذا دهاك ؟.. ابوك ، والجيران حولك ، والجنود ..
بحقول قريتنا الحبيبة يعملون .. ويحرسون ؛
ما زلت تحلم .. لا تخف . . ألله ما اقسى رؤاك ، » !

★

الليل خيم في البيوت الحالمات وفي الحقول ،
والصمت اطبق غير طفل ما يزال ..
سهرانَ ، تُرهبه الطيوف الرابضات على الحدود ؛
اماه .. ها هم يهجمون ! !
الموت .. النيران .. اصوات المدافع يا إله ؛
قصفاً .. وتنهار البيوت ،
قصفاً .. وينقضُّ الجدار على الجدار . ! !
قصفاً .. وتنهمر الدماء ، دماءُ قوم ابرياء ؛
اماه .. يصهرني اللهيب
اني احسُّ ، أحسُّ في صدري اللهيب ؛
« لا يا حبيبي .. لا تخف .. لا شيء يلهب جانحيك ،
ما زلت تحلم .. لا تخف..واشدُدْ لصدري ساعديك؛»
اماه .. اين ابي ..؟ رفاقي ..؟ اين حراس الحدود ؟
اماه .. ها هم يَقْدمون ، هم اليهود .. هم اليهود ؛
لا .. لن اموت .. ولن اموت ؛
لن يقتلوني .. لن اموت ؛
اَو ما يزال جنودنا وابي وجاري يحرسون .. ! ! ؟ »

بغداد **محمد جميل شلش**

احدهما ، وخرجت من فمي آهة مخنوقة ، وسمعت واحداً يسألني في اذني وأنا منبطح على الارض :
– هل ستتكلم ؟

كان الضرب قد هدأ . رفعت رأسي فوقعت عيناي اول ما وقعتا على عبد الساتر . كان ما يزال في جلسته ، ولكنه كان ملتفتاً نحونا وهو ينظر إلي ولا شك من خلال اجفانه نصف المنطبقة ، فهل كنت سأتكلم لو لم يطلع ذلك الوجه الدامي امامي بعينيه المنطبقتين ، فتمسكان ، على ضعفها ، بهذه النظرة الميتة عزيمة صديق توشك ان تتصدع .

قلت وأنا اتطلع في عيون عبد الساتر :
– انا لا اعرف شيئاً ..

رأيت نفسي واقفاً من جديد ، وقد بدأت اترنح بين اثنين من المردة. وقد بدا لي انني سأموت حقاً . لقد تمنيت الموت في تلك اللحظة ، وما حسبته قط كان بعيداً عني كثيراً وأنا اتطوح على ذلك البلاط البارد اكتم اهات ثور يشخب دمه .

لم يكن الوجع وحده هو الذي احس ، فقد بدأت افقد احساسي به . ولكن ضعفـــاً لا يوصف كان يتملكني ، فيخيل لي لو انهم سألوني في تلك اللحظة اي سؤال ارادوه ، بانني مجيب حتماً عليه كآلة حاكية لا تملك ذرة من الارادة . ولكنهم كانوا لا يكادون يقفون عن الضرب لحظة كي يسألوني سؤالهم الخالد حتى اقول لا ، او لا اقول شيئاً البتة . ثم نسيت حتى عيون عبدالساتر اذ لم اعد املك القدرة على التذكر نفسه، فقد اجتاحني إعياء اقوى من الكلمات التي كانوا يريدون سماعها . وبدأت الاشياء تغيم في ناظري ، ولكن الماً حاداً في رأسي ومعدتي كان هو الذي يمنعني ولا ريب ان افقد وعي ، فلو انه اغمي علي في تلك اللحظة، اذن لتخلصت واسترحت . ولكنني كنت واعياً كل شيء ، حتى رأيت شبح رشاد فوق رأسي يقول لهم شيئاً ، ثم رأيت الضابط الى جواره يصرخ به كأنه كان يعنفه لأنهم اشتطوا في تعذيبي حتى لقد سمعت كلمة الموت واضحة في صراخه ، فهل كان ذلك الغريب يخشى ان اموت ولم يخشَ ذلك صديقي القديم ؟

كنت مستلقياً على ظهري اراهم فوقي متجمهرين . وكان الضابط لا يزال يصرخ . وكان رشاد يتطلع إلي وهو يصر على اسنانه كأنهم فوتوا عليه فرصة تعذيب نادرة . آه .. يا صديقي القديم .. لقد خنتك امام سيدك ، فقد كنت تأمل ان لا تكون وحدك في الحمأة امامه ، فوجب ان تشد قدمي الى تحت بعد ان حرمتك ان تضع لي انت الانشوطة في عنقي. في تلك اللحظة شعرت ان الاصوات بدأت تتضاءل ، وانني استريح . فوددت ان التفت كي ارى عبدالساتر مرة اخرى ، ولكنني لم استطع الالتفات .. كانت الاشياء تختلط في دوامة هائلة شرعت تبتلعني .. وشعرت انني ابتعـــد عنهم .. وابتعد .. وانني ..

شوقي بغدادي
من رابطة الكتاب السوريين

قرأتُ العددَ الماضي من «الآداب»



بقلم

جبرا ابراهيم جبرا

كان اول ما قرأت في العدد الماضي القصص الثلاث التي فيه ، ثم قرأت المقالات المختلفة ، وبعد ذلك عرّجت على اخبار النشاط الثقافي في الغرب وفي العالم العربي — وهذا الباب مما تمتاز به « الآداب » فهو كحلقة الوصل بين اتجاهاتنا واتجاهات بقية انحاء العالم — فوجدت ان بين هذه الأبواب أروقة متصلة ، وان التعليق على احدها يرتبط بالتعليق على الاخرى ، وان القضية الوحيدة التي تهمها جميعاً هي قضية الابداع .

وقد كان مقال الدكتور نبيه فارس « العرب ودراسة تاريخهم » ، خير ما في العدد ، لا لتركيزه ومنطقيته ووضوحه فحسب ، بل ايضاً لأن الدكتور فارس وضع يده فيه على الضعف الأساسي في الكتابة التاريخية عندنا ، فابرز الضعف الأساسي في الكتابة الابداعية كذلك ، حين قال إن أكثر كتبنا في التاريخ العربي لا يمكن ان تعتبر « مؤلفات علمية » في التاريخ ، بل الأجدر اعتبارها خطباً حماسية » . والكثير من قصصنا من هذا الضرب الخطابي الذي تسمع فيه — رغم انفك — جعجعة المؤلف ولا ترى شخصية بطله . « التفسير والتحليل والتعليل » ، هذا ما يراه الدكتور ضرورياً في دراسة التاريخ العربي ، وكذلك يتحتم درس التاريخ الاسلامي « على انه جزء غير منفصل من تاريخ البشرية . » ألا ينطبق ذلك على دراساتنا الأدبية ايضاً ؟

ولنأخذ القصص الثلاث .

إن قصة الاستاذ رئيف الخوري « الغاية والطريق » ، تتعثر وتكبو من بدئها حتى النهاية لكثرة ما فيها من الوعظ (والخطابة ؟) الذي لاحاجة له ، لأن الحديث في هذا الشكل (وفي قصة قصيرة !) عن الاشتراكية والسكر والبطالة والبترول الخ ، أتفه من ان يدخل في تركيب قصة نبغي منها الأصالة والتماسك — وقارىء أية جريدة في أي مقهى يحدّثك بمثله . والقصة في الواقع تنتهي في وسطها عندما يطرد فائق من عمله وتتضح السخرية المفزعة في قول « مصلح البشرية » . أما البقية فإضافة مترهلة ، ولا تنمو نمواً عضوياً عما سبقها من حوادث ، ولا تكتشف امراً جديداً . وهذه الشخصية الجديدة — شخصية مسعود — التي تظهر فجأة في أواخر القصة : أليست مقحمة رغم انف البطل والقارىء معاً ؟ من من القراء استطاع ان ينهي قراءة هذه القصة عن متعة ؟ يجب ان تتجاوب الشخصية والحادثة في القصة ، وإلا تصدعت وتساقطت قطعاً لن يربط بينها حتى ما للمؤلف من حسن نية ورغبة في « التوجيه » .

وقصة الاستاذ انعام الجندي « سأربح الجائزة » تقاسي نفس ما تقاسيه القصة السابقة من حيث الخطابة . لست ادري ماذا يكون حكم الناقد على هذه القصة لولا موضوع « اللاجىء » . والمؤلف بدلاً من ان « يبني » قصته على هذا الموضوع ، نراه « يستغلّه » ، لما ينطوي عليه من عواطف يسهل استغلالها ، دون ان يركّب على هذه العواطف شيئاً يجعل لها اثراً في النفس . ليس تعداد الفظائع إلا من قبيل التقرير الصحفي ، وكان الأجدى لو ركّز المؤلف همّه في احداها وتغلغل في طواياها ليخلق شخصية او حادثة معينة .

أما قصة السيدة الفت الادلبي « ليتني وليته » ، فقد وُفّقَت فيها المؤلفة الى حدّ بعيد ، إذ نجحت في الكشف عن زاوية من زوايا الماضي في حياة رجل وزوجته ، فصوّرت الشخصيتين عن طريق ما يقولان ويفكّران دون ان تفرض عليهما تعليقاتها فرضاً صريحاً ، واستطاعت ، رغم قصر القصة ، ان تُبرز ما في الزوج من ضعف وما في الزوجة من قوة مع تهكم ممتع .

وافتتاحية العدد : « الابداع الذي نحتاج اليه » بقلم الاستاذ عبد الله عبد الدائم دفاع رائع عن ضرورة ترجمة « الكيانات » الفكرية كاملة ، عوضاً عن اجتزائها ومسخها كما هو شائع . ولكن اخشى ان الاستاذ يطنب في التفاصيل إذ يحاول اقناع القارىء بوجهة نظره ، فيأتي بمبرر غريب للترجمات الكاملة مثلاً بقوله : إن عرض ما لكاتب غربي من اللآلىء يجب ان يقرن بعرض نقائصه الكثيرة ايضاً « التي لا ينجو منها مفكر » ، فيعصمنا ذلك عن « شعورنا بالانسحاق امام فكر الغرب » ! ثم انني لا ارى كيف يتمكن من يترجم افكار مفكر غربي

بكاملها معرفهما فهماً عميقاً ، « من العلوّ فوقها والابداع ابداعاً يتجاوزها ». فكأنما يوحي الينا الاستاذ عبد الدائم بأن المترجم يغدو مبدعاً يفوق الكاتب الذي يترجمه! إننا في حاجة الى المترجم الذي يحيط بدقائق الموضوع الذي ينقـــله الى لغتنا ، فيهيء للقارىء فهماً قد يتأتـّى منه للقارىء إبداع جديد، ولعلنا حينئذ ننجو من هذه السطحية البغيضة في تلقي فكر الغرب .

لن اعلـّق على مقال الاستاذ ماسينيون عن «مذهب الحلاج» مع متعتي الشديدة في مطالعته ، لأنني لا اعرف عن الصوفيـة ما يؤهلني لذلك . غير انني من المعجبين بدقة الاستاذ الكبير وتأويلاته البعيدة الأعماق ، ولعلها أقرب ما تكون الى ماينشده الدكتور فارس من دراسة التاريخ الاسلامي على انه جزء غير منفصل من تاريخ البشرية .

أما مقال الاستاذ علي الشعلان «بين التجريد والسريالية » ، فأشبه بملاحظات لم تنتظم نهائياً لكثرة تقطعها ولكن الكاتب ولا ريب جمعها بوافر من الحماس والاستطلاع . وارجو ان يتوسع يوماً في بحثه عن التجريد والسريالية ، كلاهما على حدة ، فيظهر خطورتها في تحول الذوق في القرن العشرين .

ومن أهم ما في العدد حديث الاساتذة المصريين عن «الزعامة الأدبية بين بيروت والقاهرة » في باب النشاط الثقافي . إن الفرق بين بيروت والقاهرة من حيث الانتاج الأدبي هو أن انتاج القاهرة يكاد يكون كله مصرياً ، ولكنه يقرأ في بقية الاقطار العربية ، في حين أن ماينشر في بيروت يصوّر الفوران الفكري المعاصر لا في لبنان فحسب ، بل في العراق وسوريا وفلسطين والاردن ايضاً . ومن المؤسف ان ما يطبع في هذه البلاد لا يلقى اقبـالاً في الديار المصرية ، لا لأنه دون الانتاج المصري جودة ، بل لأن الجمهور المصري تعوّد لونـــاً من الاقليمية ، وأعرض عن الأدباء الذين لم تطبع اسماءهم دور النشر في القاهرة. وفي اعتقادي ان الحركة الادبية التي تمثلها كتب بيروت ومجلاتها (وبيروت في ذلك أخت بغداد) انشط منها في مصر ، وإن لم تتح لهـــا وسائل النشر المتوفرة في مصر . ان القاهرة مركز الدراسات العربية الكلاسيكية ، ولكن بيروت الآن منبع للتجديد في الاسلوب والفكر ، والمواهب التي تكشف عنهـا المجلات والكتب الصادرة في بيروت وبغداد ستغير وجه الأدب العربي في العشر السنوات القادمة . ولعل الدكتور طه حسين انتبه الى ذلك فقال قولته عن انتقال « الزعامة » من القاهرة الى بيروت . لقد فاق التقدمُ التكنيكي في الصحافة المصرية التقدمَ الفكريّ هناك ، فجعل تقليد المجلات الامريكية امراً يسيراً ، ولكنه غفل عن المواهب الجديدة التي لن يستطيع التقدم الآلي بدونها ان يكون ذا اثر خلاق في حياة الناس . وليس ادلّ على ذلك من عشرات الترجمات المبتورة الشوهاء لامهات كتب الغرب تصدرها دور النشر القاهرية وتفسد بها ذوق القراء .

أما مقال الموسيقار الروسي آرام خاتشادوريان ، فهو مقال خطير ، وفيه عبرة للذين يختطون القواعد السياسية للابداع الفني. يقول خاتشادوريان : « حسبنا ! لا وصاية بعد ! وليتحمل كل ملحن مسؤولياته . » ويجدر بنا الا ننسى مثل تلك العبارة . ليس هناك ما يرهق المبدع اكثر من نظريات النقاد الذين تهمهم السياسة اكثر من الفن ، ويتزلفون الى الجماهير بفرض ارادة دماغوغية على المبدعين . ما اكثر من ينصحونك ويرشدونك ويمدونك بالمقالات التي تنص عليك كيف تبدع وماذا تلتزم واي جو تتوخى واي مبدأ تعتنق — إلى ان تغدو قضية الابداع قضية حزبية مؤقتة الأهداف ، عوضاً عن قضية فكرية هي قضية النفس البشرية. وما اقل من يبدعون ورائدهم الاصالة والرؤية والاسلوب

بقي الحديث عن الشعر في العدد الماضي . كنت اود ان اعالج كل قصيدة على حدة ، ولكني اكتفي بالاشارة الى القصائد التي وجدت فيها تلك المتعة التي يستشعرها من يعثر على لقيا جديدة . فقصيدة الآنسة نازك الملائكة « الشخص الثاني » لها طرافتها في موضوعها السيكولوجي . ولكن الآنسة تفسد القصيدة أحياناً بالمجرّدات ، كما في البيت الاول (وفي الشعر : المجرّد ميت والمحسوس حي) ، او بتراكيب وفكر نثرية ، كما في قولها :

« وسيرمقني في خبث مختبئاً حتى خلف الكلمات »

(غفر الله لها هـــذه الخاءات المتعاقبة !) ولكن البيتين الاخيرين جميلان جداً .

وقصيدة « العودة » للآنسة فدوى طوقان ، افضل بكثير من جل قصائدها الاخرى ، ويروق لي فيها فيض ابياتها الواحد في ما يليه . ولكنها تسف احياناً في مثل هذا البيت : «ونسيت في سكر اللقاء عذاب عام » . ما أشيع السكر صورةً للفرح العميق في الشعر المعاصر ! أما ملّ الشعراء هذه «الاكذوبة» ؟

وقصيدتا « وحدي مع المنفى » للاستاذ صالح جواد الطعمة و « هجم التتار » للاستاذ صلاح الدين عبـــد الصبور ، كلتاهما وفقت في خلق الشعور بالمأساة ، بوفرة التفاصيل المحسوسة التي توحي بأكثر مما تنص عليه .

بغداد

جبرا ابراهيم جبرا

مُناقشات

والحقائق ؟!

« الى القاريء والتاريخ »

حاول الاستاذ فؤاد طرزي في رده بالعدد الماضي من « الآداب » ان يبرر موقفه الذي سجلته عليه حيث اعتمد في مقال له ، على ما كتبه الاستاذ انور المعداوي في كتابه « نماذج فنية من الادب والنقد » . وقبل ان اناقش ما كتبه الاستاذ طرزي ، احب ان اقول اني لم اكن « انقد » مقاله ، فنقد عندي مفهومه والتزاماته . أما ما كتبته فلا يعدو ان يكون تسجيلاً لظاهرة ساءني فيها انه لم يكن هناك مبرر لوجودها ، لا في حساب المقاييس الفنية التي يسمي المخلصون للفكر والفن في سبيل اقرارها في حياتنا ، فقط ، بل في حساب المقاييس الانسانية البسيطة التي يعرفها الفرد العادي فضلاً عن المهتم بالفن والفكر . وإن كان استيائي قد اخذ صورة الانفعال ، فان هذا مرجعه اولاً الى ان الظاهرة قد تكررت أمامي مرتين وفي فترة واحدة تقريباً . ففي الوقت الذي كنت اكتب فيه عن كتاب ظهر في مصر يقف فيه صاحبه من الاستاذ المعداوي موقفاً سجلته عليه في رفق ، لفتني تكرر الموقف نفسه في مقال الاستاذ طرزي عن ديوان الشاعر العراقي ، والى جانب هذا فأنا شديد الضيق بظاهرة (استغفال) القاريء في وقته وماله وقيمه النفسية ، وذلك لأنني اعتبر العلاقة القائمة بين القاريء والكاتب في مستوى القيم الانسانية العليا ، كالحب والصداقة وغيرهما من المستويات التي تكبر على القوانين ، فلا تستطيع فرضها على منطق التعامل الانساني . ومع ذلك فان التزام الناس لها اذا تحقق عندهم مفهومها السليم ، أشد من التزامهم لأية قيمة اخرى تفرضها القوانين . وعلى كل حال فلم يعد هناك مجال لأن اعتذر للاستاذ طرزي عن عنف ما كتبته ، فقد كفاني هو مؤونة هذا الموقف ، بما وجهه الي في رده بالعدد الماضي والذي لم يغضبني منه ، إلا عدم وجود ما يبرره ، بينما كانت الحقائق التي لم يفها رده تبرر اندفاعي ، اللهم الا اذا كان الدفاع عن النفس هو الذي برر للاستاذ طرزي رده علي ، ومع ذلك فاني اعتب على «الآداب» ان حذفت من كلمتي بعض الجمل .

لعلنا نكون بعد ذلك قد تصافينا أنا والاستاذ فؤاد .

بقيت الحقائق ، وهي وحدها الحكم بيني وبينه امام القاريء والتاريخ ، ويمكنني ان الخص كلمته في النقط الآتية ، بعد عزلها عما ورد فيها من هجوم علي :

١ – ان الاستاذ فؤاد لا يعرف شيئاً عن كتاب (نماذج فنية) المعداوي .

٢ – ان قضية الاداء النفسي في الشعر ليست كشفاً جديداً لم يعرفه احد من قبل ، وبالتالي فلا يعني ان كل من عالج الشعر على ضوئها لا بد وان يكون قد سرق اراءه من كتاب الاستاذ المعداوي (١) .

٣ – ان وجود ثلاثة تعابير هي (الهياكل العظمية) و (انعكاس صادق من الحياة على الشعور) و (لمعانه كلمعان البرق الخاطف ...) في مقال الاستاذ طرزي وردت في كتابات المعداوي لا تدل على السرقة الا في تقدير ضيق .

٤ – ان اقتباس الاستاذ طرزي لأبيات من قصيدة (وطن النجوم) لا يعني اي شيء ، فالاقتباس منها مباح لكل كاتب ، وليس احتكاراً للاستاذ المعداوي .

اما عن النقطة الاولى وهي ان الاستاذ فؤاد لا يعرف شيئاً عن كتاب المعداوي فأقول في الرد عليها اننا اذا عرفنا ان كتاب المعداوي يكاد يكون كله منشوراً في مجلة «الرسالة» ، وان الجزء الذي قلت ان الاستاذ طرزي اعتمد عليه ، منشور بأكمله في هذه المجلة ، واذا عرفنا ايضاً ان الاستاذ طرزي كان من قراء الرسالة (فله بها كتابات ، وفي هذه الفترة بالذات)... اذا عرفنا هذا كله فان معرفة الاستاذ طرزي او عدمها بكتاب المعداوي لا تغير من الواقع شيئاً ، ويبقى الاتهام قائماً .

اما عن النقطة الثانية ، وهي ان قضية الاداء النفسي ليست جديدة وعلى هذا فلا مانع ان يعالج الشعر على ضوئها اي ناقد ، فسأفترض جدلاً ان القضية ليست جديدة بالفعل (١) ... بقيت حقيقة لا يستطيع الاستاذ طرزي ان ينكرها ، وهي ان هناك « اسلوب » العرض ، الذي ينبغي ان يختلف باختلاف النقاد الذين يتناولون القضية بالدراسة ، وهذا « الاسلوب » هو الذي يميز بينهم ، وهو معيار تقديرنا لهؤلاء النقاد المختلفين ، ما دام موضوعهم واحداً ، وهذا نفسه هو السبب الذي من اجله قرر الاستاذ فؤاد : انه يقدر المعداوي تقديراً كبيراً بالرغم من ان غيره من النقاد قد سبقوه في عرض هذه القضية ، وانه لهذا السبب نفسه يرى ان من حقه وحق اي ناقد ان يعالج الشعر على ضوئها مادام هناك اختلاف في «الاسلوب» ، حتى نستطيع ان نتصور ان هناك مقياساً نقدياً واحداً هو « الاداء النفسي » ، وان هناك مع ذلك نقاداً متعددين يتناولونه بالعرض .

فهل التزم الاستاذ طرزي عرض « الأداء النفسي » بأسلوب جديد هو اسلوبه الذاتي ، الذي يمكن للقاريء ان يميزه عن غيره من اساليب النقاد الذين كتبوا في الموضوع ؟.. إن مقال الاستاذ طرزي يجيبنا بالنفي ، ولقد نقلت في كلمتي السابقة مقاطع كاملة كتبها المعداوي وكتبها الاستاذ طرزي بعد ذلك بنفس الجمل والكلمات ، وعلى هذا فليس صحيحاً ما قاله في رده من ان ثلاثة تعبيرات فقط في مقاله هي التي وردت في ما كتبه المعداوي ، وليراجع الاستاذ فؤاد ، ان اراد مرة ثانية ما كتبته في عدد ديسمبر الماضي من الآداب ، وقد نقلت بالرقم ، ما كتبه في مقاله وما يقابله في كتابات المعداوي ، فالمسألة اكبر من ان تكون مسألة تعبير او تعبيرين .

اما النقطة الثالثة وهي الخاصة بوجود ثلاثة تعابير في مقاله ، قد استعملها المعداوي قبل ذلك ، فردنا عليها متضمن في ردنا على النقطة الثانية .

اما النقطة الرابعة الخاصة بموقف الاستاذ طرزي من بعض ابيات «وطن النجوم» فأنا لم اذكر هذه الحقيقة إلا في مجال تعزيزي لفكرتي الرئيسية ، وهي ان الاستاذ طرزي اعتمد على ما كتبه المعداوي اعتماداً مباشراً دون ان يشير الى ذلك ، ولم اتهمه اتهاماً منفصلاً بأنه طبق وجهة نظره في الشعر على قصيدة كان المعداوي قد طبق عليها وجهة نظر اخرى ، ومن هنا فان كلامه في هذه النقطة مردود عليه إذ من البديهي ان نماذج الشعر ليست احتكاراً لإنسان .

وبعد ، افلا يريد الاستاذ طرزي ان يقتنع بأن المناقشة في هذا الموضوع لا جدوى منها ، وان من الخير له ان ينصرف الى اجهاد نفسه في عمل قيم يكون اجدى عليه وعلى الناس من السرعة التي لا تنتج دائماً إلا الخطأ ، وهناك في العراق شباب مخلص ، يعمل باستمرار وفي نفسه طموح رفيع إلى

(١) ليس للمعداوي كتاب مطبوع غير كتاب (نماذج فنية من الادب والنقد) فقد تصور الاستاذ طرزي ان له كتابا آخر اسمه (النماذج)

(١) ستتعرض لهذا الموضوع ونفصل موقفنا منه بعد ظهور كتاب المعداوي عن « الأداء النفسي » .

التعاون مـــع الحياة بخلق ما يزيدها قيمة وضرورة ، حيث تبدو لنا آثار هذا الطموح فيما نقرأه من اعمالطيبة لهؤلاء الشباب ، فليتعلم الاستاذ طرزي منهم، وليقتنع بأن لذةالعمل القيم تعدل امجاد الحياة كلها، بالرغم مما تقتضيه من التزامات قاسية عنيفة في بعض الاحايين .

القاهرة **رجاء النقاش**

★

رد على نقد

عزيزي الاستاذ شاكر مصطفى

قرأت نقدك العام، وليس لي اليه من سبيل، وقرأت نقدك الخاص لمسرحيتي « تسع بنادق فقط » فشكرت لك تلك الدقائق التي سخرتها من اجلها ... عفواً ...!

اخذت عليها انها « لا تمتح من الفن المسرحي » ولا « تستخدم الحوار الفني »ولكي تؤيد رأيك قرنتها مع مسرحية « العادلين » في قرن واحد... فبت حائراً معك في تكوين هذا الرأي عنها عندك : اكان قبل العادلين ، ام بعد العادلين ؟

لا شك ان مسرحية العادلين – كما قلت – من المسرحيات الرائعة بحوارها وفنها المسرحي... وانا ما ذهبت يوماً الى مزاحمتها او التأليف على شاكلتها... ولذلك احب ان الفت نظرك الى اشيـــاء قد تعدل من نظرك اذا آثرت « العدل » ! .

ان مسرحيتي أبعـــد من ان تكون مسرحية بالمعنى المسرحي لأنها ذات صيغة « اذاعية » قبل ان تكون تمثيلية. فهي مشاهد متلاحقة متماسكةواقعية، لو اراد الواقع ان يتجسد لما وجد خيراً من ارديتها !

اما « العادلون » فهي مسرحية مدروسة ، اختـــار صاحبها ابطالها من مفكرين مثقفين معتقدين بمبادىء يسعون الى اعلانها وتنفيذها . فهم فنوا في فكرتهم وثورتهم او قل فنيت الثورة فيهم،ولذلك تراهم يعرفون ما يريدون، ويريدون ما يعرفون . اما اشخاص مسرحيتي فهم من الفئة البسيطة التي تقاتل من اجلي ومن اجلك ، ونحن قاعدون . وتستوحي وطنيتها الصادقـــة من الاحداث التي تحيط بهـــا . ولذلك عبرت بصدق وامانة عن احاسيسها ، ولم احاول ان افسد حوارهم الطبيعي بحوار (مثقف) كاذب لانني لا ثقة لي في هؤلاء المثقفين ، ولا في حوارهم المنمق ... فالقطعة اذاً ، دفقة احاسيس قد تكون بسيطة لكنها صادقة ، وقد كان بامكاني حشوها (بأفكار وعقائد). ولكن هذا لن يكون الا إطاراً كاذباً ، لأن الصـــدق عندي في التصوير والتعبير هو خير ما يحيل الاحساس حفقة قويه مؤثرة .

قد تكون الخطوط واضحة كثيراً ... ومن الوضوح ما ينتقـــل الى الابتذال ... ولكنه وضوح اشخاص لا يمكنهم ان يعيشوا الا واضحين . هذا الوضوح نفسه هو ما يرتسم على وجه كل عربي سمع بالمأساة التي تتكرر في كل ليلة ، وفي كل قرية . ثم لا تنتج شيئاً الا الاشلاء والانقاض !

ولا اظن الاخ الكريم ينكر علي ان (اللحظة الخالدة) لا يكون نسيجها دائماً مما نريده ونحيكه بأيدينا . فان كثيراً من اللحظات العابرة التي لا نشعر بقيمتها وخلودها قد تكون اذاً تلك (الليلة) من الليالي الخالدات في حياة العرب ؟ .

هذه الاحاسيس التي حرصت على (واقعيتها) آثرت لها هذا الحـــوار البسيط الذي جردته من (الفنيـــة) ولكنك لن تستطيع ان تجرده من (الصدق) . وهل تجد بدءاً اجل من ذلك الاحساس اللاشعوري بالفاجعة قبل ان تقع حتى بات لحم الاحياء يتنفس بريح النجيع والتراب الاحمر؟ وهو شبيه باحساس ذلك البطل العربي في غزوة احد ، حين اقترب من المعركة ، فقال : (إني لأشم ريح الجنة ...!) أجل ، ان ابطالي ليست لهم فلسفـــة مقدرة ، ولا فكرة يذودون عنها ، ولكن لهم شيءاعمق قراراً من الفلسفة والفكرة ... لهم هذا (التراب) الذي يشعرون بأنه مأواهم في الحيـــاة والموت ... ! وهم اذا ماتـــوا لم يدّعوا بأنهم ماتوا ابطالاً ، لأن للبطولة حداً ابعد ، وانما ماتوا شرفاء بين اناس قديؤثرون ان يعيشوا غيرشرفاء...

هذا ما بدا لي يا صديقي لتصحح بعض نظرتك في صديقك اذا كنت من (العادلين) ! .

حلب **خليل هنداوي**

★

حول نقد العدد الماضي

لم تقتصر محنة الادب على ركود سوقه وقلة بضاعته الجيدة واختلاف القول في حياته ورسالته ، بل اتصلت بالادباء انفسهم ، وحقاً فان الكلام عليهم كان اولى من الكلام على الادب الذي تحكمت في موضوعاته الظروف والاحداث وهو ابداً حي موصول النسب مكتوب له ان يبقى على الزمان . فاذا بحثنا عن اسباب المحنة لا عن مظاهرها واخبارها ،كان اهل الادب هم اقرب الى الاتهام وتحمل التبعات مهما تكن خفيفة او ثقيلة ، ولعل خلو الساحة من نقاد اعدوا اقلامهم للفن والنقد وجردوا انفسهم من الهوى والغرض الذاتي هو الذي دعا الناس الى ان يروا الأدب في محنة وقلق ، فلو قيضت له اقلام كالتي ظهرت منذ ربع قرن فأحدثت فيه من التطور والانبعاث ما احدثت لتقدمت مواكبه نحو الغاية المرجوة .

والامل معقود بطائفـــة من الادباء الذين لم يقنطوا من تحرر الادب واندفاعه نحو التجدد وخدمة الفكر والمجتمع ، ومجلة « الآداب » قد لمست حاجة الشعوب العربية الى هذا الضرب من الادب المنشود ؛ فهي من حين الى حين لا تألو جهداً في بعثه وتقديمه والتماس اسبابه ومغارسه ، لكن القارىء المتتبع يلاحظ ان هذه المجلة وهي في مستهل نشاطها تفسح المجال لكل نقدمن اي لون، فهي تارة تفتح صدرها لنقد الكتب ونشر التعقيب والتعليق وتارة تنهج نهج الاذاعة العربية للشرق الادنى في الملاحظة العابرة والنقد المتخطف للآثار الفكرية مع قياس يفترق بينها ، ففي الاذاعة يقوم شيخ الادباء الاستاذمارون عبود وحده بهذه المهمة بينا (الآداب) تنوع الاقلام وتتيح الكلام لمن تكلفهم ان يجربوا في كل خطرة تجارب الصنعة والمراس على حساب الكتاب والشعراء. ولقد قرأت بعض ما نشر في هذا الباب فوجدتـــه يساير الفن والادب ولا ينحرف عن الذوق واللباقة والمعرفة، ورأيت قليلاً منه لا يخلو من اللهو والعبث. وكان نقد العدد الممتاز (للقصة) من نصيب الاستاذ مصطفى شاكر الذي لم نعرفه من قبل شاعراً ولا قصصياً او ناقداً، فانه تناول ما نشر بالعددالمذكور بنقد حائر جائر ضاع بين الموضوعية والذاتية، وكأنه خلط فيه دبساً بلبن، فقد نظر الى محتوى العدد بعين السخط والمقت او الوجوم والتبرم فلم تعجبه إلا (اوعية الصديد) التي رآها مكتوبة بلغة تشبه لغو الوليد وبعض اللمحات بين السطور ، لأنه نظر الى الموضوعات من نافذة مزاجه وذوقه غـير عابىء بما ينتظر القارىء المثقف من حكم الناقد المنصف .فالنقد لا يكون عبثاًوتحيزاً، ولا تعبيراً عن شعور خاص ، بل تبصيراً بالحقائق وتحليلاً لمحصول الفكر وما فيه من جيد ورديء بحكمة ولباقة واتباع للاصول ، وقد اشبهت (العـــدد الممتاز) بهو انيق نسقت فيه الالطاف والنفائس فاقتحم البهو ولد (مدلل) كانت بيده عصا فأخذ يضرب ذات اليمين وذات الشمال .

وكان ينبغي لمجلة الآداب وهي الحريصة على شيوع النقد الموضوعي الحر

ان تكلف النقاد روز الآثار الفكرية بدقة ولباقة وان القت التبعة على من تكافهم لا عليها ، وتركت حرية الرأي والرد لمن يجدون تجنياً او انحرافاً

ورب قارىء يحسب اني اكتب هذا دفاعاً عن نفسي والواقع ان الاستاذ مصطفى شاكر ضرب بعصاه آثار الكبار كالنعيمة وعبود والعريض والهنداوي وغيرهم قبل ان تمر بجانبي وتصيب بضاعتي الصغيرة .

القاهرة **وداد سكاكيني**

★

نعيمه وقصة « ثائران »

رفع الاستاذ ميخائيل نعيمه صوته في العدد الاول من «الآداب» – السنة الثانية – داعياً الى الثورة على كل ما في الارض من نتن وظلم وفساد . ففي قصته (ثائران) التي اعجبنا بها عظيم الاعجاب روح الشباب الثائر ، على الرغم من تقدم ناسكنا الجليل في السن . واعتقد ان كل من قرأ هذه القصة تحركت في نفسه كوامن الحقد على اولئك الجشعين والمتخمين واحتقارهم للفقراء المعدمين لدرجة انهم ينكرون ان لهم في الحياة حقوقاً كالتي يتمتعون هم بها ، كأنما هم من طينة غير طينتهم. من منا قرأ هذه القصة ولم يشعر بحنين الى المساواة،وبتشوق الى اليوم الذي لا يجازف فيه الانسان بشرفه وكرامته في سبيل الحاجة ؟

والحق ان ميخائيل نعيمة ليس هو ممن التزموا ابراجهم العاجية لا يلتفتون نحو الشعب ولا يهمهم امره ، وليست (ثائران) هي اول قصة اتحفنا بها من هذا الادب الحي ، ولكن في قصتيه (العاقر) و (ابوبطه) وغيرهما ما هو كاف لافحام الذين يتبجحون بقولهم : ان ميخائيل نعيمة لا يعايش المجتمع ولا يصور آلام الشعب. فالأدب النعيمي كان ولا يزال صورة للحياة في شتى نواحيها ، والأدب الذي لا يصور الحياة كاملة ، فهو ادب لا يعرف الكمال .

ولست ادري ما الذي دعا الاستاذ شاكر مصطفى في العدد الثاني من (الآداب) الى ان يحكم على قصة ميخائيل نعيمة (ثائران) حكمه الجائر على الرغم من ان القصة نالت اعجاب الجميع . فهو يقول : ان القصة فاشلة في الموضوع وفي الاداء الفني ، الى ان يقول : انني احب ميخائيل نعيمة وأجله ولكن عليه هو ايضاً ان يحترم القراء !

ونحن نسأل أي اساءة اساءها الاديب الى قرائه حتى استحق هذا النقد المر واستحق ايضاً ان يقال له : قصتك فاشلة، وهو الذي كان نقطة انطلاق في نهضتنا الادبية الحديثة ؟ حتى ولو كانت القصة فاشلة باداها – كما زعم الناقد – يكفي ان نقيسها بمدى تأثيرها في نفوس القراء وبالنتيجة التي يجنيها من قرأها وهي الثورة على النظم الفاسدة، وهذا من ألزم ما يلزمنا نحن اليوم كشعب يريد ان يتحرر من كل مستعمر اثيم ومن كل حاكم ظالم ومن كل رأسمالي جشع ، ليشيد على انقاض هذا المجتمع الفاسد ، المجتمع الصالح الذي يسوده العدل والمساواة وتعمه الحرية والأخاء .

بطرس خواجه

★

الى الاستاذ شاكر مصطفى

لا يسعني بعد ما ذهبت اليه من كفر بال (موضوعية) في الفن في بحثك لمقالات (عدد القصة) الا ان ابدي بعض التناقض الناتج من هذا التحليل .

قلت في بدء البحث (انني ممن يكفرون بال (موضوعية) في الفن) وقلت في قصة (ثائران) للاستاذ ميخائيل نعيمة : (لولا نفحة من الروح الاشتراكية في بعض سطورها لألقى بها العدد ظهرياً ، وربما لم يجد لها من مكان فيه) وفي (القصة العربية في افريقيا الشمالية) : (على اني اعتب على الدكتور سهيل ادريس ولعلي اذ تذكرت ما اخذه على نفسه من محاربة الاستعمار والتجاوب مع المجتمع العربي ووعي للرسالة) الخ ...

أليست الموضوعية (l objectivisme) والواقعية (le réalisme) بطابعين اساسيين في الادب الاشتراكي ؟ اجل لولا الطابع الواقعي الموضوعي في قصة (ثائران) والنزعة الانسانية الاشتراكية لضرب بها عرض الحائط واولاها القارىء ظهره .

وهل نضال الدكتور سهيل ادريس الاستعمار ومحاربته اياه سوى نزعته الموضوعية في قصصه ومقالاته ؟

وبعد ... ليس بكافر من يؤمن بموضوعية الادب والفن .

جورج حاج

★

لا لم تضق !

وهي شقة الخلاف التي اتسعت بيني وبين الدكتور سهيل ادريس في تقويم قصة (اناهيد) فأنا لا ازال عند رأيي .. لم اخطىء في تقدير هذا الاثر ، ولم اكتب عن مجاملة ، ولم اكذب قارئي في اي حرف جرى به قلمي . وقد آن الوقت لأقول في صراحة مرة ومرة ان الاستاذ نيازي من خيرة من يكتب قصة في العراق، بل له من القصص القصير ما يقف به امام النقد والنقض، ويؤسفني حقاً ألا ينال حظه من التقدير في الوقت الذي نشهد فيه كثيرين يظفرون به ...

لا احب ان امتدح هذا الكاتب لانه – فيما اعرف – لا يحب امتداحاً ، ولكني اريد ان اقول ان قصته الطويلة (اناهيد) لو لم تنل كبير اعجابي لما كلفت نفسي مشقة تقديمها ، وحين عقبت على نقد الدكتور سهيل لها لم اشأ ان اناقشه فيما اعتبره هو مآخذ فيها ، لأني اراها مما لا يمس جوهر القصة كما اراه مما لا يمكن ان نلتقي عنده ، لا سيما انه يعلن بادىء ذي بدء ان الموضوع او الحبكة او العقدة شيء قديم مبتذل ! فضلاً عن انه يقف عند الفقرة بل الجملة الواحدة ، وهذا اذا جاز في القصة القصيرة او في القصيدة فلا يجوز في عمل ادبي كبير .

وقد يختلف معي في فهمه للواقعية حين جعلت صاحب القصة يعيش في مجتمع ينفعل معه ويصلنا به عن طريق نفسه . ويرى ان البطل فيها يقف موقفاً سلبياً لأنه لم يثر ولم يشق سبيل التحرر امام الاجيال .. رحماك يا دكتور ! ولم تفهم الواقعية هذا الفهم فقط ؟ الا ترى معي ان ثمة اختلافاً في طريقة وصل الادب –والفن عامة– بالمجتمع وحياة المجتمع ؟ أليس هناك من الواقعيين من يكتفي بمجرد التصوير كدستويفسكي وجوجول دون ان يعنى بوصف علاج معين ، وهناك كذلك من الواقعيين من يلزم نفسه بالدعوة الصريحة الى ما يريد كتولستوي في طوره الثاني وجوركي ؟

عمل الفريق الأول أشق وأقسى لانه يطلب من الاديب ان يكون في تعبيره من الحياة والقوة والترتيب ما يولد الاثر الذي يستهدفه. وبالتالي يكون هو من قوة الشخصية ويقظتها ووعيها بحيث يحكم الصلة بين ما يرى وما يحس . وقد يكون هذا النفر اعجز من ان يهتدي الى الحل فينتهي به الامر الى الاضطراب والقلق والحيرة. الا ترى ان تولستوي بعد ان يبحث في العلوم النظرية والعلوم التجريبية ويقرأ الفلسفة ينتهي الى لا شيء ، ولا يجد علاجاً لقلقه فيضطر –يائساً– الى ان يلجأ الى الدين ؟ ومن قبله فعل ذلك دستويفسكي اذ راح يؤيد الكنيسة ويشيد بمجد المسيح بل يفضله على (الحق) إن كان يرى فيه ضلالاً ؟ لقد ظهر هذا الاستسلام في اكبر ما كتب وهو رواية

(الاخوة كرامازوف).

وعبد الله نيازي في قصته ظل حائراً قلقاً ، مخنوقاً كما يقول الدكتور الفاضل ، ويبحث عما يمكن ان يكون نهاية لمشكلته ولكنه لم ينته الى شيء . واحسبه لو كان فيه نزعة تولستوي لجعل لنا بطل قصته ناسكاً يعيش في صومعة. ومع ذلك فلو تعمق قارئي ما قلتهفيمقدمتي حين ذكرت قاصيالروس لرأى اني لم اشبهه بهم في جوهر ما يكتبون وانما شبهته بهم في تأثره طريقة تعبيرهم عما يحسون . لقد قلت بالحرف الواحد : (اريد ان اضمه الى جانب هؤلاء الذين يصطرعون مع الحياة فيصورون صراعهم ويعرضون لأحزان الناسوجوانب الراحة لهم (طبعاً بغير تصريح وتحديد حلو...لعلالدكتور يستريح !) اريد ان اشبهه بكتابالقصة الروسية .. هؤلاء الذين ينتزعون قصصهم من البيئة ليضفوا عليها من انسانيتهم ما يكفل لها الخلود) وواضحمن كلامي اني لم اعن مطلقاً (نوع المضمون) وانما عنيت طريقة (عرض المضمون) . لم اجعله من الواقعيين اصحاب العلاج وانما جعلته من الواقعيين الذين يعكسون صور مجتمعهم فقط .

وبعد ، فهل يريد الدكتور ان يزعم اني عدلت عما كتبت حين قلت اني اريد ان اصحح موقفي منه ومن صحبي ؟ يبدو اني في حاجة الى ان اعيد هنا خبر ابي تمام حين واجهه احد خصومه بقوله لم لا تقول ما يفهمفاجابه : ولم لا تفهم ما يقال؟...

استغفر الله..انا لا استطيع ان ارمي احداً بعدم الفهم ولكني استطيع ان ارمي نفسي انا بالعجز عن الافصاح ، واذا كنت قد قلت اني اردت تصحيح موقفي فلم يعن ذلك اني وجدت فيه عيباً فعدلت عنه وبرأته منه، وانما عنى اني اردت ان ابعد عنه ما قد يلحق به من عيب . والفرق كبير بين الحالين وإن كان المعنى اللغوي للفعل (صحح) فيهما واحداً ! ومعنى ذلك بعبارة اخرىاني اردت ان ابعد عنه ما يريد لصقه به غيري مما لا يمثل وجهة نظري ، وذنبي اني اؤمن بان الحقيقة موجودة ولكنها تريد الضوء ليراها الناس . (*)

القاهرة **احمد كمال زكي**

★

حول اناهيد ايضاً

حين قرأت المقدمة التي كتبها الاستاذ احمد كمال زكي لاناهيد ، هممت ان اكتب كلمة اقلص فيها من امتدادها وشمولها ، لا انتقاصاً من القصة فهي قد احتلت من نفسي مكاناً جيداً ووجدت فيها اشياء كثيرة جعلتني افضلها على كثير مما صدر في العراق من قصص ، ولكن اشفاقاً وخوفاً على صاحبها ان يظن بنفسه الظنون فيقعد به الغرور في الوقت الذي بدأ يتململ ويفك عنه القيد وينطلق يثب الى الامام وثبات موفقة لم اعهدها فيه من قبل ، ولكني شغلت بما انا فيه من اعمال كثيرة استنفدت كل وقتي وصرفتني عن كل شيء... ومرت الايام واذا بي اطالع نقد الدكتور سهيل ادريس لاناهيد في العدد الثاني عشر . فاذا بالدكتور يقف على طرفي نقيض في تقويم القصة من صاحب المقدمة ويحمل على صاحبها حملةقاسية جداً اذا لم اقل ظالمةالى اقسى حدود الظلم.

انا اشبه الكاتب او القاص او الشاعر بصاحب معمل ، تخرج منه الاشياء الرديئة الى جانب الاشياء الجيدة على حد سواء ، فمن بين عشرات التجارب الفاشلة التي يجربها المعمل يوفق الى عمل شيء ناجح في النهاية ، فهل يحق لنا ان ننظر الى التجاربالاولى نظرة قاسية ونرفع المطرقة الضخمة لنحطم بها المعمل لانه لم يعطنا في البدء ما كنا نصبو اليه ؟ ومع ذلك فان عبدالله نيازي قدّم لنا اكثر من شيء ، قدم لنا (اناهيد) وهي عندي احسن بكثير مما صدر في العراق من قصص كما قلت ، لما فيها من تحليل دقيق للعواطف ، وعرض موفق للفكرة التي اقام عليها قصته ، وعمق واسترسال في الحوار لم اجدهما عند غيره من ادباء الشباب .

وعبدالله نيازي – على ما يلوح لي – يعمل بجد ليحقق جديداً لم يتطرق اليه احد من قبل ، فان قصته (حجارة بيضاء) المنشورة في (اخبار المساء) قبل اكثر من اربعة اشهر على ما اذكر اكبر دليل على ذلك، فأنا لا اعرف ان احداً غيره سبقه الى فكرتها وهي بعد ذلك صورة حية صادقة كلها حركة ... وكذلك قصته (درهم) المنشورة في (الهاتف) و (آلهة العبيد) المنشورة في جريدة (الجريدة) و (قتلت اخي) المنشورة في (القلم الجديد) المحتجبة . وقد اشرت الى هذه الاخيرة في كلمة سابقة لي في (الآداب) الزاهرة... فهذه كلها وغيرها دليل ناطق على ان نيازي يعمل بجد ليحقق جديداً . انا لا ازعم انه قد حقق كل شيء ولكني انتظر منه خيراً ... لذا فلا عجب اذا دهشت لهجوم الدكتور سهيل ادريس الظالم على (اناهيد) وصاحب (اناهيد) بصورة خاصة ، وآلمني جداً ان يكون الدكتور سهيل ادريس عنصر هدم في ادبنا العربي الحديث ، وعهدي به يجيد البناء ، ويحسن التقويم . (سبق لي ان اعترفت بفضله الكبير على القصة العراقية ببحثه الممتع الذي لم يسبق لاحدغيره ان قدممما يوازيهاويضاهيه... انظر الآداب العدد السابع ٩٥٣) ومع ذلك فقد ظللت انتظر رد الاستاذ احمد كمال زكي فقد كنت مقدراً انه سيرد ويدافع عن رأيه ووجهة نظره ويناقش رئيس التحرير نقاشاً حاراً فيما ذهب اليه من تسخيف القصة وتسخيف الآراء الواردة في المقدمة . ولكن ...

لقد بدا لي الاستاذ احمد كمال زكي ضعيفاً متهالكاً يحاول ان يصحح موقفه من القصة على اثر الضجة التي اقامها عليه صحبه والدكتور سهيل ادريس. فهل يعني ذلك انه لا يشعر بمسؤولية الكتابة ؟ وانه لا يحتمل تبعة ما يورد من آراء واقوال واحكام ؟ انما يطلقها اعتباطاً حتى اذا جد الجد وتصدى له من يناقشه الحساب تخلى عن كل شيء ورفع الراية البيضاء معلناً استسلامه ، هكذا بدون قتال ولا يحزنون ?.

اين كان اذن الاستاذ احمد كمال زكي حين كتب المقدمة ؟ هل كان مخموراً حين قال ما قال عن (اناهيد) وعن صاحبها حتى اذا ايقظه الدكتور سهيل ادريس واعاد صحوته اليه تقدم ليصحح موقفه ويزيل عنه الجرم الذي ارتكبه دون شعور ؟ .

انا اريد ان اكون قاسياً مع الاستاذ احمد كمال زكي لاني لا اريد له وهو الاديب المرهف ان يمثل دور (بروتس) . فقد كان عليه ان يدافع عن رأيه اذا كان واثقاًمنه الى النهاية، لا ان يتخاذل ويتراجع ويعلن اعتذاره.

بغداد **عصمت عبد القادر المحامي**

(*) **تعقيب :** ارى الأديب الكريم الاستاذ احمد كمال زكي مصراً على رأي لم يقدم بين يديه من البراهين والحجج ما فيه الاقناع ، فضلاً عن انه يتجنب مناقشة رأي دعمته بالبرهان . ثم ان في كلمته هذه من النظرات الى القصة الروسية ما يحتمل النقاش ويحتاج الى تقويم . ولكن تؤثر المجلة ان تغلق الباب في هذا الموضوع الآن، بعد هذا الجدل الطويل الذي قد يؤذي القراء ان يمضي فيه اصحابه الىما لا نهاية ولا نتيجة له . على انه يظل واضحاً ان كلمة الاستاذ احمد كمال زكي السابقة توحي بانه قد تراجع ، وهذا هو الذي اوحته ايضاً الى كاتب التعقيب التالي... وليس الذنب ذنب القاريء إن « عجز الكاتب عن الافصاح » !

(س.ا)

النشاط الثقافي في الغرب

الولايات المتحدة

كتب مترجمة

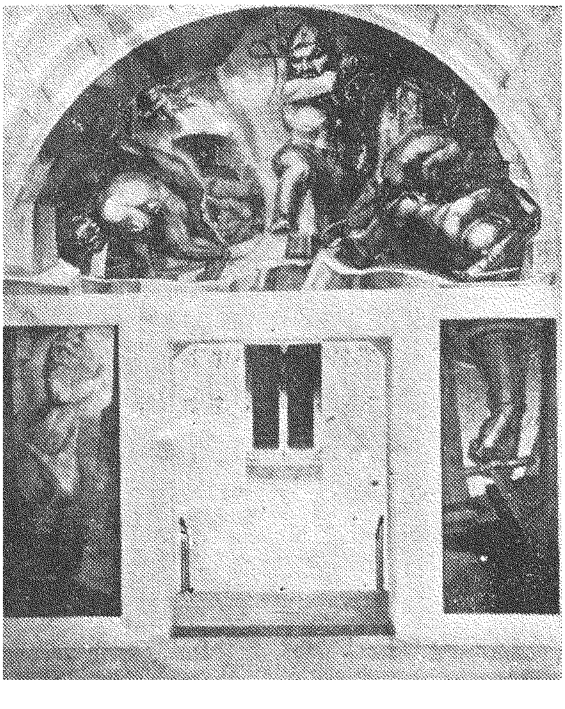
لمراسل « الآداب » الخاص

يتحدث النقاد ، اليوم ، عن بعض الكتب المترجمة من اللغات الاسبانية والفرنسية وغيرهما من لغات العالم ، وفي مقدمة ما يتحدثون عنه « الساعات الاخيرة The Final Hours » الرواية الاسبانية التي كتبها جوزا سواريه كارينو José Suarez Carreno ؛ الكاتب الذي ولد في مدينة مكسيكو عام ١٩١٤ ، وسكن اسبانيا منذ عام ١٩٢٠ ، وقد جلب انتبــاه القراء والنقاد، في مجموعته الشعرية المسماة«أرض الوعيد The Menaced Land » وفاز بعد ذلك بعدة جوائز منها جائزة « Adonais »وجائزة « Nadal » عام ١٩٤٩ عن روايته « الساعات الاخيرة » التي ترجمت وصدرت الآن في الولايات المتحدة.وهي على ما فيها من نظرة يائسة إلى مشاكل الحياة، وخاصة في اسبانيا ، تصور لنا حياة اكثرية الناس في ذلك الجزء من العالم الانساني . وموضوع الرواية ليس بالشيء الغريب عن اذهان القراء ، إذ هي – اعني الرواية – تتناول حياة اسرة من الطبقة المتوسطة، وكيف ان فتاتها الوحيدة « كارمن Carmen » تنقلب الى عاهرة لتساعد ابويها على دفع قائمة حساب، ومواجهة الازمة الاقتصادية الخانقة. وهنالك بطل آخر هو«Angel Aguado» شاب متوسط العمر ، غني ولكنه عاجز ، فقد قابليته على اداء وظيفة الرجل ، يبحث عن عفة قائمة على قوته الجنسية المنهارة ، وكان نصيبه تلك الفتاة الجميلة « كارمن » ، وشخص بائس ثالث « Manolo » يقوم بدور بارز في الرواية ، وهو ابن شارع يدفع رغم ما يشعر به من كرامة ، الى الاعتماد على مهن صغيرة ، حقيرة اولصوصية، وقد احس بميل الى « كارمن » ، وعندما يقبل الليل يروح « مانولو » يطوف حول مدريد، ملاقياً ابناء عالمه من مستجدين ، ولصوص ، وسكارى ، وباعة متجولين . ومشكلة الحياة التي يقاسونها هي هي باقية بلا حل،وكل ما يستنتجه الروائي كارينو من هــذه الصور ، اننا « كنا قساة ، لا أحد يحب غير نفسه وليس بين الناس شيء غير الخداع ، والكره، والعذاب..» و «مانولو» ، كاصدقائه المعذبين ، لم يملك يوماً ما رغب فيه ، وتطلع اليه . فالنساء، والطعام ، والسيارات، والسكاير ، والملابس ، كانــت كمجموعة اوهــام يائســة في ذاكرته (١) . وفي الساعات الاخيرة من الليل ، يبصر كارمن برفقة صديقها « أكادو » في احدى الحانات ، فيلمع في عينيه شيء بريء ، يائس ، محال ، ولكن « أكادو » اخيراً ، يأخذهما بسيارته ، ويمضي بها الى الجبال المتوعرة فوق مدريد ليدفــع سيارته نحو الصخور ، ويقتل كارمن ثم نفسه ، وآخر فكرة له ان « كل شيء بلا فائدة في هذه الحيــاة .. كل شيء على الاطلاق ... » اما « مانولو » البائس فقد كتب له ان يبقى حياً ، فعــاد ماشياً الى « مدريد » – بعد ان سرق مال اكادو – يفكر انه لا بد ان يحيا ... وفي هذه النهاية يبدو لنا الفرق واضحاً بين اليائسين من الحياة، وبين اولئك الذين يجالدون ببسالة مؤمنين بأن من حقهم ان يحيوا، ومن حقهم ان يحيوا حياة سعيدة كريمة .

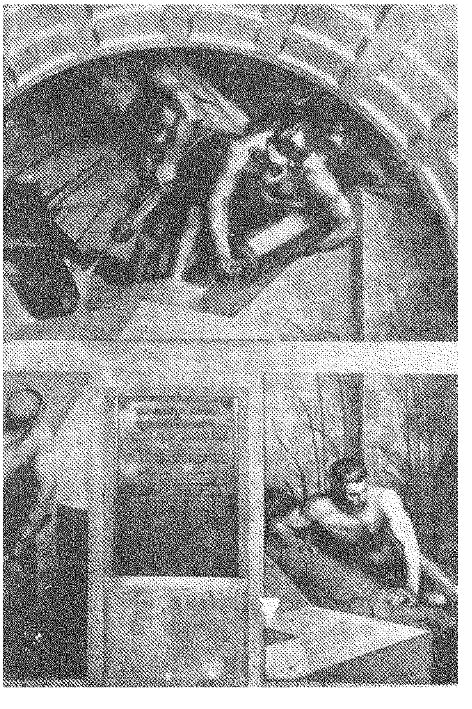
المعارض الفنية

إن هــذا الموسم من العام موسم معارض فنية واسعة ، تقــام في مختلف ارجاء الولايات ، إذ لا تكاد تجد ولاية تخلو من عدة معارض مختلفة المذاهب ، وهنا ، في بوسطن وكمبردج فقط،اقيمت عشرة معارض في وقت واحد . وقد جلب المعرض الالماني انتباه الرواد ، لما حوى من لوحات حية للفنان (Lewis Rubenstein) . وقد اتبع فيها طريقة التصوير عــلى الجدار، التي استعملها كبار الفنانين الايطاليين في عصر النهضة Renaissance ، ويبدو انه قد تأثر بها حين قضى عاماً واحداً في روما يطلع على المذاهب الفنية المعاصرة والقديمة هناك . وموضوع اللوحة الاولى المكونة من ثلاثة اجزاء مشتق من اسطورة المانية بعيدة القدم تصور الجشع المادي (كما يبدو ادناه) والظلم الناتج عنه للانسانية . ويمثل القسم العلوي منها الكهوف التي يسكنها الاشرار العاملون على تخريب عناصر الخير في العالم ، لأجل رئيسهم « ألبريخ Alberich » الذي يضربهم بالسوط ليزيدوا عملهم المخرّب . والقسم الأيسر يبرز لنا يــد

(1) New World Writing (3rd Selection) P. 39.



الجشع المادي



سقوط الآلهة

« ألبريخ » وهي تحاول الوصول إلى ذهب « الراين » حينما تحاول عذارى الراين ان تمسكه عن ذلــك . وفي الجهة اليمنى تبدو لعنة الطوق الذهبي « وهو جزء من الاسطورة » مجسمة في القبضة المدرعة محترقة الطــوق وهي تمسك سيفاً يرمز الى التهديد بالخراب – بالنار والسيف – من جانب اولئك الذين يستعملون قوة الطوق ؛ وكل هذه الاجزاء تشير الى الصراع بين العــلم الخلاق والجشع المادي . اما اللوحة الاخرى فهي تعبر عن الصراع بين الثقافة المبدعة وغرائز الانسان الوحشية وقد سماها « روبنستن » سقوط الآلهـــة The Fall of Gods وهي مأخوذة من الاسطورة الاسكندنافية القديمة المساة – Ragnarok – (اي سقوط الآلهة) .

وهذا المشهد يمثـــل المعركة الاخيرة بين الآلهة وجبابرة الارض ، فالغارات قد شنت ، وسالت الدماء وتعاظمت قوى الشر ، وتجمـــع الجبابرة لمهاجمة « أسكارد Asgard » ، مقر الآلهـــة . وهم يبدون على الجسر – Bifross – الذي بني من الهواء والماء ، وقد حاولوا مراراً البحث عنه ليبلغوا به « أسكارد » حتى يقضوا على الآلهة . وتقضي الاسطورة الى ان الارض ستهتز ، وان الاشجار ستمزق ، وتهوى الصخـــور ، وان جميع القيود والمواثيق ستحطم وتمزق ، وفي هذا الضجيج تنهار السماوات ، وينتصر الجبابرة . واللوحـــة على جهة اليسار تبين لنا « Thor » – إله الرعد – يسرع لمواجهة الهجوم وبيده المطرقة القوية ، وفي الجهـــة اليمنى يستيقظ النائم الذي يمثـــل الجيل الجديد ، من الجنس البشري ، وقد اطل على العالم ، والارض قدارتفعت مرة اخرى من البحر العميق ، وهي مكسوة بخضرة جميلة .

ومما يجدر ذكره ان هذا الفنان الالمــاني Rubenstein قد ولد في نيويورك عام ١٩٠٨ وتخرج من جامعة هارفرد عام ١٩٣٠ ، ثم قضى سنتين في اوربا ، احداهما في باريس والاخرى في روما للاطلاع على معالم الفن وقد اتخذ الرسم عـــلى الجدار طريقة له ، هذه الطريقة التي كلفته سنتين لاخراج اللوحتين المذكورتين اللتين عرضهما في المتحف الالمـــاني بوش رايزنكار – Busch - Reisinger – في كمبرج .

اساطير الهنود الحمر

صـــدر حديثـــاً كتاب عن اساطير الهنود الحمر ، جمعهـــا الكاتب الاميركي « Clsak » بعد ان قضى فترة طويلة لاخراجها بهذا الشكل الجميل. وهي تصور خيال قوم كادوا ان يفنوا بلا انسانية او عدالة ، وهي بعد ذلك تحوي من المشاعر النبيلة، والاحاسيس الطيبة ما يصفع اولئك الذين يتهمونهم بالوحشية،وما اساطير «مجيء الرجل الابيض» و «بداية عالم Okanogan ونهايته » ، و « وادي السلام » وغيرها الا خير دليل على ما اذهب اليه . ولعل هذا الجزء من اسطورة«جسر الالهة» The Bridge of the Gods يستطيع ان يعطي بعض الفكرة للقراء الذين لم يكتب لهم الاطلاع على هذه الاساطير ؛ وقد ترجمته مع بعض تصرف لا يؤثر على معانيه :

جسر الآلهة

في قديم الزمان ، عندما كان العالم في شبابه الاول ، كان الناس جميعـــاً سعداء . وكان « الاله » حيث الشمس مقره ، يمنحهم ما يحتاجون . لم يكن احد جائعاً او يتألم من برد . ولكن بعد حين ، تنازع اخوان على ارض ، كل يريد القسم الاكبر منها ، فقرر الاله ان يضع حداً للنزاع ، فحملهما في ليلة ، عندما كانا نائمين ، الى ارض جديدة ذات جبال عالية ، بينها يفيض نهر عظيم . وهناك على قمة الجبال السامقة ، ايقظهما الاله فرأيا الوطن الجديد غنياً رائع الجمال . ثم سأل كلا منهما ان يرمي سهماً الى الجهة المقابلة ويتبعه ، وأينا يسقط من الارض،يكون نصيبه . وهناك يكون اميراً كبيراً ، يفصل بينه وبين ارض اخيه ، النهر العظيم . ففعلا ما طلب اليهما الاله . واصبح كل منهما اباً ورئيساً لقوم . وبعدئذ بنى الاله جسراً على النهر الكبير ، ثم قال لكل رئيس : لقد بنيت هذا الجسر حتى تستطيع ويستطيع قومك زيارة اولئك الذين على الجانب الآخر . وسيكون رمزاً للسلام بينكم ، وسيبقى ما دمت وما دام قومك شرفاء واصدقاء مع الآخرين . لقد كان واسعاً جداً ، يسع لكثير من الناس والحيوانات ان يعبروه في وقت واحد . وعاش القوم ، زماناً طويلا ، في سلام ، وكانوا يعبرون النهر لزيارات صداقة ؛ ولكنهم بعد حين ، اقترفوا اعمالاً شريرة واصبحوا جشعين انانيين ، يتنازعون بينهم. فغضب « الاله » من جديد ، وحجب الشمس عنهم عقاباً لهم ، فلم تبق لهم نار. وعندما اقبلت امطار الشتاء شعروا ببرد شديد . وآنذاك بدأوا يأسفون لما اقترفوا ، وراحوا يسألون الاله ان يمنحهم النار،وكانت صلاتهم اليه « اعطنا ناراً ، وإلا فاننا سنموت من البرد .. » ، فرق لصلاتهم قلب الاله ، وذهب الى عجوز لا تزال تملك ناراً لأنها منعت نفسها من خطايا الناس وقال لها : « لو تشركين النـــاس في نارك،فاني سأحقق لك ما تحبـــين ؟ اي شيء تريدين ؟ »

– « الصبا والجمال » .. اجابت العجوز بنشاط : « اريد ان اعود صبية جميلة » .

– ستكونين غداً ، صبية جميلة ، عندما يقبل الصباح ..

هكذا وعدها الاله وقال لها : « خذي نارك الى الجسر ، حتى يستطيع الناس في كلا الجانبين ان ينتفعوا منها... احفظيها هناك ملتهبة دائماً . كرمز تذكير لخير الاله وحنانه ...

صالح جواد الطعمة
جامعة هارفرد–الولايات المتحدة

فرنسا

نظرة الى نتاج العام الماضي

لم تشهد الاوساط الادبية في فرنسا انتاجاً روائياً ضخماً كالذي شهدته في العام الماضي ١٩٥٣ . ولكن هذه الروايات لم تثر نقداً كثيراً ، وكانت اقل من الروايات السابقة « حملا لرسالة ما » . فقد كان هم معظم هذا النتاج ان يقص ليقص فقط، ليأخذ القاريء في نزهة ممتعة. وكان غالب القراء يقرأون ليشعروا بوهم التغير وتبديل الهواء . ومن هنا قام نجاح كتب الرحلات : الرحلة الى افرست ومغامرات الغواصات الخ . .

وقد ولد في السنة الماضية شكل جيد من الرواية في افريقيا الشمالية اثار اهتمام الادباء الفرنسيين ، وهو يكشف عن مآسي الضمير الواعي ومشكلاته وعن المعارك الداخلية بين التقاليد والدم . واشهر من عالج هذه الموضوعات

Memmi ومولود فرعون وكامارا لاي Camara Laye .

اما الروائيون الفرنسيون المشهورون فقد اصيبوا ببعض الجفاف . فقصة جيونو « طاحونة بولونيا » هو جهد للتجديد لم يلق نجاحاً كبيراً . وقصة دو لا كروتيل « قلب بسيط » قصة صغيرة جيدة ، و « العيش في مادير » لشاردون تثير الخيبة، بعكس كتاب هنري ترويا الجديد « البذور والحصاد» الذي يفتن ويسحر بغناه وباتساع المدى الذي يسلكه المؤلف .

ويرتفع في هذه الاثناء نجم جديد هو فاليسيان مارسو Félicien Marceau المتنوع الموهبة الحاذق الصناعة القصصية ، ومثله Jacques Perry . وهناك اتجاه لإحياء الرواية البلزاكية يسجله جورج كونشوني وآن ماري سولاك وبيار موانو ..

اما كتبة النساء فقد ابدت نشاطاً طيبـاً ، وعلى رأسها زويه اولدنبورغ Zoé Oldenbourg وجانين مارا ، ولكن ابرع الروائيات هي ساليا برتان Celia Bertin في روايتها « البراءه الاخيرة » .

وفي باب الدراسات والمذكرات تأتي في الطليعة « الآمال والتجارب » لدوهاميل ، و « مذكرات سني الحرب ١٩١٤ – ١٩١٨ » لرومان رولان ، و « مذكرات » بول رينيه و « رسائل » سانت اكزوبري . وقد ادى النقد رسالة طيبة وانتج نتاجاً قيماً ، فكتب جان بروست دراسة عن بودلير، وهنري موندور دراسة عن « الان » والبيريس دراسة بعنوان « الرجال المطاردون » الخ ...

جوائز ادبية

منحت جائزة غيليوم ابولينير لعام ١٩٥٤ الى الشاعر الفرنسي جان ماليريو Jean Malrieu صاحب ديوان «مقدمة للحب» Préface à l'Amour وقد سبق ان كللت هذه الجائزة عدداً من الشعراء المجيدين . وكانت هذا العام برئاسة جان كوكتو .

ونال روبير ايفن Robert Even من مدينة متز جائزة اميل موسلي E Moselly على قصته « الاب جيريمي » .

ونالت الكاتبة البلجيكية لويز دوبرو Louise Dubro جائزة انطوان شولييه A. Chollier وقيمتها تسعون الف فرنك .

الموسم المسرحي

يعاد في هذا الموسم تمثيل مسرحيات جذبت الجماهير في الموسم الفائت مثل « الساعة الباهرة » L'heure Eblouissante و « الوردة الموشومة » La Rose Tatouée ومن المسارح من يجرب حظه بمسرحيات جديدة مثل : المقامر Le Joueur بقلم ادغو بيتي الكاتب الايطالي الذي وافته المنون مؤخراً . وقد استقبلت هذه المسرحية ببرود من قبل النقاد ، ولكن الكتاب مثل مارسيل ايمه ، جان انوي ، جورج شحادة وغيرهم عبروا عن اعجابهم بها وبما تحويه من مسألة انسانية، مسألة الرجل والمرأة اللذين يتحابان.

ومن بين المسرحيات الجديدة مسرحية « اناديومين » AnadYoméne واطرف ما فيها ان كاتبها يجاوز الستين من عمره ، فان جورج كايان –وهو اسمه– يعد من اكبر تجار الكحول في فرنسا ، وقد ترك الادب منذ خمسة وعشرين عاماً ليكسب بعض المال فنجح الى حد كبير ثم عاد الى حظيرة الفن ، فاستطاع بماله ان يفتح امام مسرحيته ابواب مسرح باريس . ولكن النقاد والجمهور لم يكونوا من رأي اصحابه الذين شجعوه في عمله ، اذ ان مسرحيته لم تلق النجاح الذي كان يأمله الكاتب التاجر .

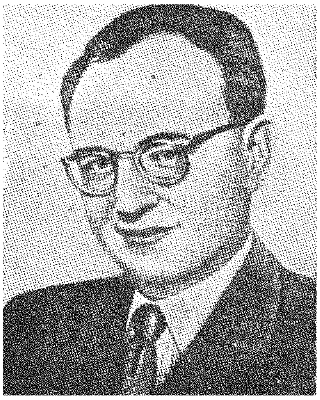
روسيا

جوائز ستالين للسلم

وزعت مؤخراً جوائز ستالين الدولية لتقرير السلم بين الامم لسنة ١٩٥٣ فنالها كل من بيير كوت Cot ، وهو سياسي بارز (فرنسة) والبروفسور صاحب سنغ سوخي Sahib Singh Shohey (الهند) وآندريا غاجارو Gaggero من رجال الدين (ايطالية) وايزابيل بلوم Blume (بلجيكا) وهاوارد فاست Fast * الروائي والاديب (الولايات المتحدة) ، والبروفسور جون بيرنال Bernal العالم (بريطانية) وليون كروزكاوسكي



اندريا اندرين



هاوارد فاست

Kruczkowski الكاتب (بولندة) ، وبابلو نيرودا Neruda الشاعر (تشيلي) والدكتورة آندريا آندرين Andreen وهي طبيبة بارزة (السويد) ونينا بوبوفا Popova (الاتحاد السوفياتي) .

ذكرى الروائي الانكليزي وليم ثاكاري

في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥٣ احتفل في موسكو بذكرى مرور تسعين عاماً على وفاة الروائي الانكليزي الكبير وليم تاكاري Thackeray ، وقد شهد الاحتفال جمهرة غفيرة من العلماء والكتاب والمؤلفين الموسيقيين والمهندسين المعماريين والفنانين والممثلين ورجال الصحافة .

وفي كلمة الافتتاح قال الكاتب آناتولي سوفرنوف Sofronov :

« ان اجتماع اليوم ليس في نظر الشعب السوفياتي الذي يقدر الادب الانكليزي مجرد حادث ادبي عادي . انه مناسبة ينتهزها الشعب السوفياتي للتعبير عن صداقته للشعب البريطاني واعجابه بثقافته العريقة ..والواقع ان اسم « ثاكاري » مألوف لدى القارىء السوفياتي . وان مؤلفاته التي تنطوي على هجاء ساخر بالحياة الانكليزية في منتصف القرن التاسع عشر قد أسرتنا لنفاذها البارع الى سيكولوجية الشخوص الذين يمثلون عصرهم احسن تمثيل . »

* هو مؤلف كتاب «المواطن توم بين» الذي صدر مؤخراً عن دار العلم للملايين.

النشاط الثقافي في الغرب

الولايات المتحدة

كتب مترجمة

لمراسل « الآداب » الخاص

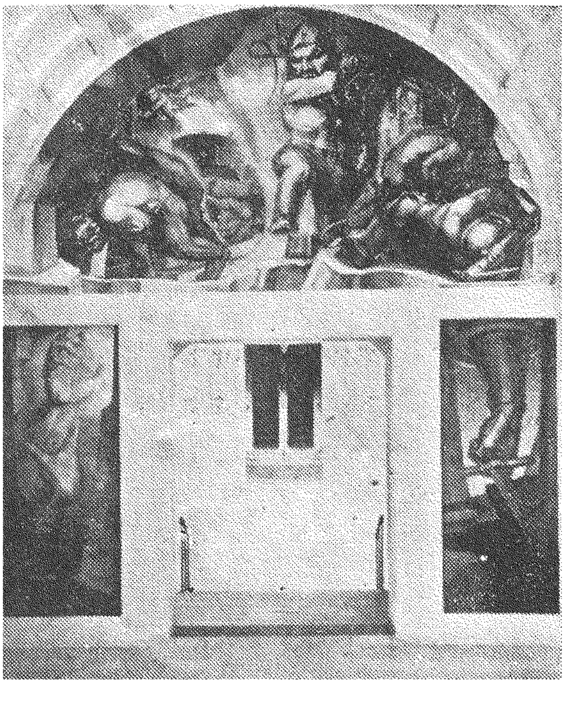
يتحدث النقاد ، اليوم ، عن بعض الكتب المترجمة من اللغات الاسبانية والفرنسية وغيرهما من لغات العالم ، وفي مقدمة ما يتحدثون عنه « الساعات الاخيرة The Final Hours » الرواية الاسبانية التي كتبها جوزا سواريه كارينو José Suarez Carreno ؛ الكاتب الذي ولد في مدينة مكسيكو عام ١٩١٤ ، وسكن اسبانيا منذ عام ١٩٢٠ ، وقد جلب انتبــاه القراء والنقاد، في مجموعته الشعرية المسماة«أرض الوعيد The Menaced Land » وفاز بعد ذلك بعدة جوائز منها جائزة « Adonais »وجائزة « Nadal » عام ١٩٤٩ عن روايته « الساعات الاخيرة » التي ترجمت وصدرت الآن في الولايات المتحدة.وهي على ما فيها من نظرة يائسة إلى مشاكل الحياة، وخاصة في اسبانيا ، تصور لنا حياة اكثرية الناس في ذلك الجزء من العالم الانساني . وموضوع الرواية ليس بالشيء الغريب عن اذهان القراء ، إذ هي – اعني الرواية – تتناول حياة اسرة من الطبقة المتوسطة، وكيف ان فتاتها الوحيدة « كارمن Carmen » تنقلب الى عاهرة لتساعد ابويها على دفع قائمة حساب، ومواجهة الازمة الاقتصادية الخانقة. وهنالك بطل آخر هو«Angel Aguado» شاب متوسط العمر ، غني ولكنه عاجز ، فقد قابليته على اداء وظيفة الرجل ، يبحث عن عفة قائمة على قوته الجنسية المنهارة ، وكان نصيبه تلك الفتاة الجميلة « كارمن » ، وشخص بائس ثالث « Manolo » يقوم بدور بارز في الرواية ، وهو ابن شارع يدفع رغم ما يشعر به من كرامة ، الى الاعتماد على مهن صغيرة ، حقيرة اولصوصية، وقد احس بميل الى « كارمن » ، وعندما يقبل الليل يروح « مانولو » يطوف حول مدريد، ملاقياً ابناء عالمه من مستجدين ، ولصوص ، وسكارى ، وباعة متجولين . ومشكلة الحياة التي يقاسونها هي هي باقية بلا حل،وكل ما يستنتجه الروائي كارينو من هــذه الصور ، اننا « كنا قساة ، لا أحد يحب غير نفسه وليس بين الناس شيء غير الخداع ، والكره،والعذاب..» و «مانولو» ، كاصدقائه المعذبين ، لم يملك يوماً ما رغب فيه ، وتطلع اليه . فالنساء، والطعام ، والسيارات، والسكاير ، والملابس ، كانــت كمجموعة اوهــام يائســة في ذاكرته (١) . وفي الساعات الاخيرة من الليل ، يبصر كارمن برفقة صديقها « أكادو » في احدى الحانات ، فيلمع في عينية شيء بريء ، يائس ، محال ، ولكن « أكادو » اخيراً، يأخذهما بسيارته ، ويمضي بها الى الجبال المتوعرة فوق مدريد ليدفــع سيارته نحو الصخور ، ويقتل كارمن ثم نفسه ، وآخر فكرة له ان « كل شيء بلا فائدة في هذه الحيــاة .. كل شيء على الاطلاق ... » اما « مانولو » البائس فقد كتب له ان يبقى حياً ، فعــاد ماشياً الى « مدريد » – بعد ان سرق مال اكادو – يفكر انه لا بد ان يحيا ... وفي هذه النهاية يبدو لنا الفرق واضحاً بين اليائسين من الحياة، وبين اولئك الذين يجالدون ببسالة مؤمنين بأن من حقهم ان يحيوا، ومن حقهم ان يحيوا حياة سعيدة كريمة .

المعارض الفنية

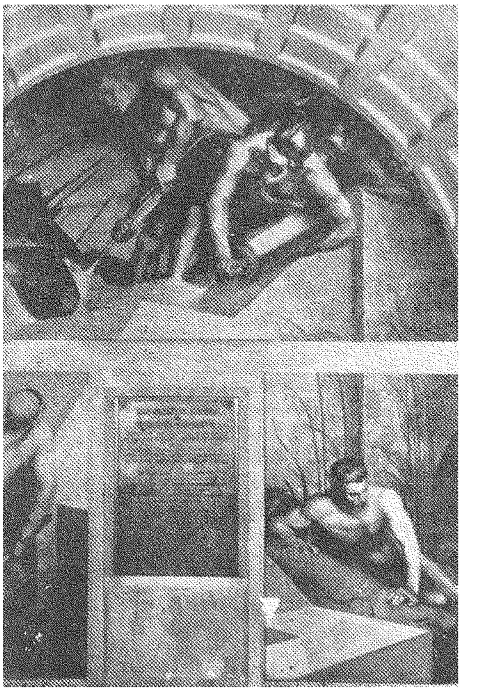
إن هــذا الموسم من العام موسم معارض فنية واسعة ، تقــام في مختلف ارجاء الولايات ، إذ لا تكاد تجد ولاية تخلو من عدة معارض مختلفة المذاهب ، وهنا ، في بوسطن وكمبردج فقط،اقيمت عشرة معارض في وقت واحد . وقد جلب المعرض الالماني انتباه الرواد ، لما حوى من لوحات حية للفنان (Lewis Rubenstein) . وقد اتبع فيها طريقة التصوير عــلى الجدار، التي استعملها كبار الفنانين الايطاليين في عصر النهضة Renaissance ، ويبدو انه قد تأثر بها حين قضى عاماً واحداً في روما يطلع على المذاهب الفنية المعاصرة والقديمة هناك . وموضوع اللوحة الاولى المكونة من ثلاثة اجزاء مشتق من اسطورة المانية بعيدة القدم تصور الجشع المادي (كما يبدو ادناه) والظلم الناتج عنه للانسانية. ويمثل القسم العلوي منها الكهوف التي يسكنها الاشرار العاملون على تخريب عناصر الخير في العالم ، لأجل رئيسهم « ألبريخ Alberich » الذي يضربهم بالسوط ليزيدوا عملهم المخرّب . والقسم الأيسر يبرز لنا يــد

(1) New World Writing (3rd Selection) P. 39.

الجشع المادي



سقوط الآلهة



النشاط الثقافي في العالم العربي

١ – تنظم وزارة التربية اجتماعات دورية لمديري المعاهد الثانوية للتداول .

٢ – تنظم الوزارة اجتماعات دورية لاساتذة كل مادة ، لدراسة وسائل تحسين اساليب التعليم .

٣ – تؤلف الوزارة لجاناً من الخبراء لدراسة الكتب والبرامج .

٤ – اقامة دورة تمهيدية لامتحـــانات القسم الاول من البكالوريا ، يتقدم اليها التلامذة الاحرار ، وتلامذة المعاهد التي لم تتجاوز نسبة نجاح مرشحيها عشرة في المئة في دورة حزيران السابقة ، ولا يحق للراسبين في هذه الدورة التمهيدية ان يتقدموا للامتحان في الدورات الرسمية .

٥ – للوزارة حق الاشراف على امتحانات الصف الثاني في المعاهد الثانوية ومراقبة نقل الطلاب الى الصف الاول .

٦ – يقصى عن امتحـــان البكالوريا كل مرشح سبق له ان رسب في اربع دورات .

٧ – للوزارة ان تمنع المعاهد التي لم ينجح احد من مرشحيها في دورتي حزيران وتشرين من قبول تلامذة جدد في الصف الثاني .

٨ – للوزارة ان تفتش المعاهد الثانوية ، الاهلية والاجنبيـــة . ويحق للوزير ان يحرم كل معهد يعرقل التفتيش او يرفضه ، مـــن تقديم مرشحين لامتحانات البكالوريا .

٩ – يعتبر راسباً في الامتحان الخطي كل مرشح ينال صفراً في احدى المسابقات ، مهما بلغ مجموع علاماته في المسابقات الاخرى .

١٠ – كل من نال اقل من ٥ على ٢٠ ، في مادة من المواد الخطية ، يعيد الامتحان في المادة نفسها في الدورة اللاحقة ، على ان ينال فيها علامة ٧ على عشرين على الاقل اذا كانت المادة مسابقة عربية ، او ٥ على ٢٠ في سائر المواد ، والا اعتبر راسباً في الامتحان كله .

ومضى على نشر هذا المرسوم شهر ونصف دون ان يحرك احد ساكناً ، وفجأة ، افاق الطلاب على الصعوبات التي تعترضهم في الامتحانات القادمة ، فتنادوا للاضراب والتظاهر ...

والواقع ان محاولة وزارة التربية محاوله جديرة بالتشجيع والتأييد لانقاذ طلابنا من الجهل والغباء والاهمال ، غير ان تطبيق هذا المرسوم يجب ان يكون تدريجياً ، فما ذنب هذا الطالب الذي اجتاز السنوات الثانوية على برنامج ضعيف ، حتى تفاجئه الوزارة بعقبة يصعب عليه اجتيازهـــا في السنة الخامسة ...

على الوزارة ان تدعم المنهاج منذ المراحل الاولى، وأن تقدم للمدارس الخاصة اساتذة متخصصين، حتى ينهضوا بهذا المنهاج...وعلى ذكر الاساتذة نلفت نظر وزارة التربية الى انها اهملت في مرسومها مشكلة مستوى المدرسين، فقد انهار مستوى المدرسين، اكثر مما انهار مستوى الطلاب... ولو وضعت الوزارة يدها على اختيار المدرسين كما حاولت ان تضع يدها على اختيار الطلاب، لأصابت موطن الداء ...

« بهي »

اشتات ادبية

● قررت وزارة التربية اللبنانية الاشراف على سير جمعية اهل القلم ، والندوة اللبنانية ، وطرق انفاق اموالها . وعهدت الى الدكتور كمال الحاج ، رئيس مصلحة الشؤون الثقافية بالقيام بهذه المهمة .

وقد اباحت وزارة التربية لنفسها هذا الحق لأنها تقدم في كل عـــام أربعين الف ليرة لبنانية الى جمعية اهل القـــلم ، وعشرة آلاف ليرة الى الندوة اللبنانية .

● قررت مجلة « الثقافة الوطنية » ان تصدر في حلة جديدة وموعد جديد ، فيصغر قياسها ، ويزيد عدد صفحاتها ، وستصدر مرة واحدة في الشهر .

ومن المنتظر ان تبذل في اخراجها جهود مضاعفة ، لتواصل اداء رسالتها التي نهضت بها منذ عددها الاول ، تدعمها نخبة طيبة من الاقلام .

● فقدت العربية ، في الشهر الماضي ، الاستاذ وديع البستاني ، ناقل الملحمة الهندية «المهابهاراتة» الى العربية، كما فقدت الاستاذ امين ناصر الدين، مؤلف دقائق العربية .

● كان في نية وزارة التربية الوطنية ان تخصص جانباً من نشاطها لرعاية الفنون وتشجيعها ، فوضعت مشروعاً ينص على اقامة المعارض الفنية، وإنشاء المتاحف ، **واستقدام الفرق الموسيقية العالمية** ، وتعزيز المسرح .. الخ ... وادخلت هذا المشروع الضخم في صلب ميزانية ١٩٥٤ .

وسار المشروع سيره السهل ، الى ان بلغ وزارة المالية ، وهناك ألغي بشطبة قلم ازرق ، غير فني !

● يسافر الاستاذ صلاح لبكي في هذا الشهر الى القاهرة لالقـــاء عدد من المحاضرات في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية. وسيكون موضوعه « الشعر العربي الحديث في لبنان » .

● انبثقت عن مجلة الحكمة جمعية ادبية باسم « حلقة الثلاثاء » اتخذت مقرها في صالون السيدة عقيلة الدكتور كمال الحاج ، وتنوي الحلقة ان تنشر كتباً وتلقي محاضرات ، وتعتبر مجلة الحكمة منبراً لها .

● تقدم الاب غريغوريوس سليم الى جمعية اهل القلم بكتابه « مقام الفكر » طالباً الاشتراك في مباراة الدراسات . فلما لفت رئيس الجمعية نظره الى انه تأخر يومين عن انتهاء موعد قبول المباريات (تقدم في ٧ شباط) اصر على ان تعرض المسألة على لجان التحكيم !...

● تبرع شقيق فقيد الادب يوسف اسكندر نصر بجـــائزة سنوية قدرها الف ليرة لبنانية ، تتولى توزيعها جمعية اهل القلم في مباراة ادبية ، على الفائزين .

● اعلن الاستاذ منير تقي الدين انه سيتنازل عن قسم كبير من قيمة جائزة الدراسات ، اذا نالها ، ويقدمه الى الاول في مادة الادب العربي بين المتقدمين لشهادة البكالوريا ، هذا العام .

● تنوي مجلة الآداب ان تقيم مباراة جديدة بين رسامي العالم العربي، في موضوعات ستعلن عنها في عدد قادم . كما أنها تعتزم إصدار اعداد ممتازة خاصة تتناول موضوعات مختلفة ، في شؤون حياتنا الفكرية .

النشاط الثقافي في العالم العربي

مصر

لمراسل « الآداب » الخاص اكرم الميداني

الموسم المسرحي

للمرة الثانية يظهر « ابسن » على المسرح المصري هذا العام ، فقد بدأ الموسم المسرحي بدرة الكاتب العظيم « بيت دمية » التي قدمتها فرقة المسرح الحر على مسرح الاوبرا ، ثم قدمت الفرقة المصرية الحديثة – او اذا شئنا الدقة فريق الشباب منها – مسرحية « الاشباح » على المسرح نفسه ، وذلك قبيل انتهاء موسم التمثيل العربي على هذا المسرح التاريخي .

وظهور أبسن على المسرح في مصر ، وخلال موسم واحد ، امر يسترعي الانتباه حقاً ، ولعل اغلب المثقفين في العالم العربي ، والمهتمين بتطور الحركة المسرحية في مصر يدركون ما ينطوي عليه هذا الامر من الأهمية ، بالنسبة للنمو الذهني لدى رائد المسرح في مصر ، وبالنسبة لتطور مستوى العاملين في الحقل المسرحي من مديرين ومخرجين وممثلين . ذلك ان الحبكة المسرحية والخداع الذي يستولي على افئدة السذج والعامة ، ومحاولة محاكاة الحقيقة على نحو غير واقعي ، والاثارة الحسية التي لا تبلغ الذهن او القلب بحال ما .. كل هذا ، كان وما زال حتى اليوم ، سمة غالبة على انتاج المسرح في مصر ، وأقصد بانتاج المسرح ما قبله وتبناه المديرون والمخرجون من مسرحيات وأساليب في الاخراج ، ووسائل في الاداء التمثيلي . وبديهي اننا نستثني من ذلك الجهود المخلصة التي يبذلها مسرحيون مصريون للخروج بالمسرح المحلي من الوهدة التي تردى فيها ، وأظنني لا أعدو الحق اذا ذكرت في طليعتهم رجل المسرح الكبير توفيق الحكيم .

على ان شأن المسرح المصري هذا ، وما يحيط به من الآراء والتأملات ، لا تكفيه اشارة عابرة كهذه ، بل هو يحتاج الى البحث والدرس ، لما يلقيه من ظل خطير على تأخر النهضة الفنية في مصر ، ومن ثم في العالم العربي كله .

نعود الى ابسن ومسرحيته ، فعلى الرغم من ان المسرحيات الابسنية لم تعد جديدة في المسرح الغربي ، وان كان النقاد هناك ما يزالون يبقون على قيمتها الفنية ويشيدون بدورها التاريخي في تأثر الفن بحاجات المجتمع ومشاكله القائمة ، غير انها – اي المسرحيات – تعد بالنسبة للبيئة المصرية خاصة والشرقية عامة ، اعمالاً فنية تتفق ومشكلات الساعة الى حد كبير .

والرأي السائد حول «بيت دمية» انها تصور المرأة في صراعها مع الرجل كي تخرج من البيت حيث هي دمية مشلولة ، الى المجتمع ككائن مفيد يستطيع ان يسهم برأيه وسعيه في البناء والتقدم ، وهذا ما كان عليه موقف المرأة الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وما هو عليه موقف المرأة الشرقية في الفترة الحالية من القرن العشرين .

ذلك هو الرأي التقليدي الذي يعرف به النقاد مسرحية « بيت دمية » بل ويعكسونه ايضاً على مسرحية « الاشباح » لانها – في رأيهم – تمثل ذلك الملل القاتل الذي يصيب الحياة الزوجية نتيجة لروح العزلة والانفراد التي يحرص الزوجان على ان تظل حياتهم المشتركة متشحة بها .

بيد ان صحة هذا الرأي لا تعني انه احاط بالمشكلة الرئيسية التي حاول ابسن ايضاحها ومعالجتها في معظم مسرحياته ، وهي تلك الحيرة التي تستبد بالفرد عندما يكتشف ذاته فجأة ، ولا يستطيع ان يلائم بينها وبين الآخرين ، فاشخاص ابسن جميعاً تبدو لهم ذاتهم في اشراقة رائعة ، وعندئذ تبدأ مأساتهم ، ماذا يفعلون ؟... الى اين يمضون ... ؟ وتأكل نفوسهم الحيرة وينحدرون الى خضم المأساة ...

هذه المشكلة لم تعد ذات بال لدى المثقفين الغربيين ، ولكنها على جانب من الاهمية في حياتنا الفكرية ؛ وكم كان يجدر بالنقاد عندما شاهدوا اشخاص ابسن واشباحه يخطرون على المسرح مرتين خلال عام واحد ، ان يتناولوا آراء الكاتب العظيم على نحو اكثر عمقاً ودقة من عبارات التشجيع والمجاملة التي نشروها تعليقاً على تمثيل « بيت دمية » و « الاشباح » .

حول « فن الحرامية » !

منذ اكثر من شهرين والصحف المصرية تنقل جدلاً اثاره الاستاذ محمد التابعي حول الامانة الفنية في مضماري السينما والموسيقى ، وقد بدأ التابعي هذا الجدل بمقال نشرته مجلة « اخبار اليوم » عن سرقة الموضوعات في السينما أشار فيه إلى قصص سينمي عالمي اخذه السينميون المصريون دون الاشارة الى ذلك عند عرض هذا القصص باللغة العربية ، وتناول بالذات فيلماً لفريد الاطرش هو « لحن الخلود » اخراج بركات ، وذكر انه مأخوذ بنصه عن فيلم امريكي شهير هو « الحورية الوفية The Constant Nymph » وهو فيلم ظهر سنة ١٩٤٥ بطولة شارل بوايه وجوان فونتين واخراج ادموند جولدنج .

على ان هذا الجدل لم يلبث ان تطور فتناول الموسيقى وفن الاخراج السينمي ، وانهالت الرسائل على التابعي تسجل التشابه الواضح بين جمل موسيقية لعبد الوهاب وفريد الاطرش وجمل اخرى مما زخرت به الموسيقى العالمية ، ولقطات سينمية لبركات وشاهين تماثل لقطات اخرى من افلام عالمية معينة...

واعتذر الموسيقيون والسينميون بانهم إذ يعترفون بهذا التشابه بين انتاجهم والانتاج العالمي ، إلا ان هذا لا يعدو ما يعرف بالاقتباس .. فما كان من التابعي الا ان احل كلمة اقتباس مكان كلمة سرقة فيما ينشر في « اخبار اليوم وآخر ساعة » من مقالات وانباء حول هذا الموضوع وغيره .. واصبحنا نقرأ اخبار السرقات اليومية العادية على هذا النحو .. « .. وغادر اللص المنزل بعد ان اقتبس ما خف وزنه وغلا ثمنه .. » .. أو « ان لصاً ضبط وهو يحاول اقتباس محفظة احد المارة ... »

ولعل اطرف مشاركة في هذا الجدل ذلك المقال الممتع الذي نشره الاستاذ بيرم التونسي في مجلة « الجيل الجديد » عن شخصية خيالية دعاها بالمعلم عبده.. ألفت عصابة لسرقة الالحان واستغلالها .. وعرف القراء ان المعلم عبده هذا هو الاستاذ محمد عبد الوهاب ..

إلا ان هذا النقاش بدا اخيراً كانه لا نهاية له .. وان الناس لن يخلصوا منه الى رأي فيم تلخص فيه الاتهامات وحجج الدفاع التي ملأت اذهانهم .. الى أن نشر التابعي مقالاً في «اخبار اليوم» لم تكن له صلة مباشرة بحملته على الاقتباس واهدار الامانة الفنية ، وعرض فيه الى النظم والتعليمات التي تنفذها ادارة الرقابة السينمية في مصر عند موافقتها على ما يقدم اليها من قصص سينمي .. وختم التابعي مقاله منتحلاً العذر – بشكل غير مباشر – للذين يقتبسون قصصهم عن الافلام الاجنبية ، لانه يرى ان الرقابة السينمية بوضعها الراهن لا تتيح للقصاص السينمي ان يعبر عما يجول في نفسه من موضوعات مصرية صادقة

تصلح للسينما ..

وظهرت للناس قولة شكسبير الشهيرة .. « هذه هي المسألة .. »

اجل تلك هي المسألة !! ولا شك انه ينبغي ان نذكر ان اول من نبه اليها كان الدكتور طه حسين في مقال كتبه رداً على توفيق الحكيم جاء فيه :

... « ... والأمر الثاني الذي اطلبه الى الدولة هو ان تتفضل فتبيح لادبائنا ومنهم توفيق نفسه هذه الحرية التي لا بد منها لكل اديب يستطيع الانتاج والاجادة فيه ، هذه الحرية التي تمكنهم من ان يطرقوا موضوعات لا يستطيعون انيطرقوها ويعلنوا آراء لا يستطيعون ان يعلنوها..ويقولوا كلاماً لا يستطيعون ان يقولوه .. فاذا تفضلت علينا الدولة بما نريد من الحرية والثقافة .. فأنا زعيم بوجود التمثيل عندنا بل بوجود فنون الادب كلها .. بل بوجود الفنون الجميلة كلها عندنا على اكمل وجه وأحسنه وأرقاه... » (١)

سوريا

المرحوم عبد السلام عيون السود

ولد في حمص ، عام ١٩٢٢ من اسرة محافظة ، متدينة ؛ وما اطل على الشباب ، حتى تلقفته مشكلة « الخبز اليومي » ، فاذا به يدور مع الرغيف ، من عامل في الطيران (رياق) ، حيث اسلمه الارهاق وسوء التغذية، لأول ناب من الداء ، الى عامل في المساحة ،



يعيش الحرمان والتشرد ، في الريف السوري ، حيث تفتحت مواهبه الشعرية، لبساطة الحياة، وغنى الطبيعة ؛ الى موظف في المالية ، وفيها استقر ، وتزوج،وانجب اطفاله الثلاثة ، ومات ١٥/١/٩٥٤ .

لم يكن من حزب، ولم يعمل لحزب، بل عاش للخبز اليومي ، يكدح في سبيله، وللشعر ، يحياه ويغنيه ، وللنثر ، يرسله لوناً من الشعر ، انيقاً نقياً؛ ونثر الشاعر، ابداً ، شعر ، او كالشعر .

كانت حياته ، وكان شعره ، مأساة عنيفة،من الاحساس بالموت، والاستسلام للداء ، وللقدر . كان يدرك مصيره ، ويعيش الموت – ان صح التعبير – صامتاً ، على فلسفة من رضى المؤمنين ، واستسلام اليائس .

كانت خطى المأساة ، تنتحب على كل سطر من شعره، وكل لفظةمننثره.

والغرابة ، كل الغرابة ، ان هذه المأساة ، لم تثر يوماً ولم تعربد ، بل طأطأت للمصير ، طأطأة الشراع اسلم الهوج؛ دغدغه الموج ولواه ، ثم احتضنه وقبله وطواه .

مات عن مكانة في الشعر ، مرموقة ، وعن مجموعة منه ، اسلمها النار ، قبل ان يسلمه الداء للموت بأيام ، وهكذا ، ذهب شعره (مع الريح) (١) حقيقة ، لا مجازاً .

حياته – شعره – مأساته – كلها ، تجتمع في قوله ، من قصيدة :

انا يا صديقة مرهق حتى العياء فكيف انتِ ؟
وحدي أمام الموت... لا أحد سوى قلقي وصمتي .

نصوح فاخوري — وصفي قرنفلي

العراق

ازمة الشعر المعاصر

كتب الاستاذ صفاء الحيدري في « الرسالة الجديدة » (العدد الرابع) مقالاً عن « ازمة الشعر المعاصر » اشار فيه الى الخطأ الذي يقع فيه بعضهم اذ يقارنون الشعر العربي الحديث بتراث الاسلاف الضخم ، فهم لا يهتمون بالتطور في البيئة والثقافة والتقاليد ، ولا بتأثير المجتمع على الشاعر . ثم تحدث الكاتب عما يعانيه الشاعر اليوم من « ألم وحرج ازاء الصعوبات التي تضعها المطابع امامه ، وقلة الناشرين وشحهم وجهل القراء وتأخرهم » مما يوقعه في ازمة نفسية ... « واذا كان الشاعر الحديث لا يزال يتلكأ في سيره ، فليس ذلك لقصور في قابليته الذهنية واستعداده النفسي والفطري وانما لما يصمه المجتمع المتأخر عادة امامه من عقبات ومصاعب ، منشؤها ذلك التباين الروحي والعقلي بين الشاعر وبين مجتمع يقصر عن بلوغ الطفرات الفكرية التي يسبقها اليه الشاعر ، او بالأصح ، الى الذهنية الكلاسيكية التي تخشى ان تفقد ثباتها واستقرارها من جراء محاولات الشاعر التجددية وانقلاباته الفكرية » وهذه كلها عقبات لم يكن يواجهها الشاعر القديم .

ذلك هو مضمون مقال الاستاذ صفاء حيدري ، ولا شك ان رأيه قابل المناقشة والجدل .

معركة الجواهري

لا تزال معركة الجواهري دائرة الرحى في الزميلة البغدادية « الرسالة الجديدة » بين خصوم الشاعر العراقي الكبير وانصاره ؛ وقد دخلت الميدان اقلام جديدة معارضة او مؤيدة .

وقد كتب الاستاذ عبد المجيد لطفي في العدد الرابع من الزميلة مقالاً ذهب فيه الى ان الجواهري « كيان ضخم وطود شامخ في الأدب العربي في كل عصوره . وباعتقادي انه سيأتي يوم تؤرخ فيه مرحلة مهمة من الأدب العربي بتاريخ الجواهري ، وتسمى تلك المرحلة مرحلة الجواهري في الأدب كما يؤرخ عهد الابداع في الشعر الاوروبي بعهد الشاعر العظيم طاغور» .

ويضيف الكاتب ان الجواهري « يشع كوكباً عالياً وينفث الروائع والبينات في كل قصيدة يقولها ، بل هو يزداد شاعرية كلما تقدمت به الاعوام وان ذهنه الولود لموضع غرابة للدارسين المتضلعين .. »

---

(١) اقرأ مقال توفيق الحكيم المشار اليه في كتاب تحت المصباح الاخضر – القاهرة ١٩٤١ ومقال طه حسين رداً عليه في كتاب فصول في الأدب والنقد – القاهرة ١٩٤٥ .

(١) الاسم الذي اختاره لشعره ، وفي النية جمع ما نشر منه ، وطبعه في مجموعة صغيرة تحمل اسم (مع الريح) .

النشاط الثقافي في العالم العربي

هذا وقد وردت «الآداب» كلمة من الاديب محسن جمال الدين (بانياس) يدلي فيها برأيه في الموضوع ، فيرد سبب قيام هذه المناظرة الى ان الجمهور الذي يحب الجواهري كقائد فكري وزعيم ادبي هو الذي يحرك نفوس الكتاب والأدباء ليهزوا في نفس الشاعر الثورة من اجل ان يواصل رسالته التي حملها منذ ربع قرن . ويقول الكاتب ان الأديب يفقد منزلته « حين يتخلى عن اداء الرسالة الانسانية الوطنية التوجيهية التي حملها في صالح امته ، أو اذا انحرف تعمداً وطمعاً في غاية زائلة ، او باع نفسه الكريمة في سوق المساومات والغايات » ولا يرى الكاتب في الشاعر العراقي الكبير مثل هذا ويقول: « اننا نترقب عودة الجواهري الى منبره الشعبي كي لا يحرم الوطن وابناءه من روائع افكاره ولهب قصائده . »

صحف جديدة

صدرت في بغداد « المجلة الجامعية » ، يحررها طلاب كلية الآداب والعلوم . السنة الاولى (١٥ كانون الثاني ١٩٥٤) وقد صدر عددها الاول بحكمة بليغة للاستاذ ساطع الحصري : « قالوا لماذا خسرتم فلسطين وانتم سبع دول ... واجيبُ بأننا خسرناها لأننا سبع دول . »

وصدرت في بغداد ايضاً جريدة يومية سياسية هي « العمل » لصاحبها ومديرها المسؤول الاستاذ عدنان الراوي المحامي ويبدو من خلال اعدادها الاولى انها جريدة نضالية تتجه اتجاهاً اشتراكياً عربياً قومياً .

مؤلفات جديدة

– « الحان » ديوان شعر للاستاذ يوسف عز الدين
– « مقدمة في العراق المعاصر » للدكتور زكي صالح
– « الدولة والتعليم » – الجزء الثاني ، للاستاذ حسن الدجيلي .
– « ابو علي بن سينا » بقلم رحيم الصفوي استاذ الأدب الفارسي في جامعة طهران ، ترجمة السيد علي البصري .
– « رسالة بداية الهداية » للغزالي ، وهي من سلسلة كتب الحجة للغزالي ، ونشر الحاج فؤاد السامرائي .
– « عبد الباقي العمري : سياحة فكرية في ديوانه الترياق الفاروقي » للاستاذ محمود الملاح ، دار منشورات البصري .
– « ابشع جريمة في التاريخ » قصة طويلة بقلم حسان الكاشي ، مطبعة اسعد .
– « صور بريشة حسام الدين نامق » اقاصيص بقلم حسام الدين نامق ، الجزء الاول (سلسلة القلم الجديد) ، المطبعة العربية ، بغداد .

المغرب العربي

حول الحركة الفكرية في تونس

لمراسل « الآداب » الخاص

كان الحقل الفكري في تونس منذ خمسة عشر عاماً تقريباً خصباً لايعرف الجدب : فالنوادي الادبية زاخرة برجال الفكر ، والمجلات متعددة وطافحة بكل طريف من نتاج الاقلام المتحركة . وكانت المجلات الادبية كثيرة منها « المباحث » و « الافكار » و « الجامعة » و « البدر » و « العالم العربي » التي كان ينشر بها الشاعر الخالد ابو القاسم الشابي قصائده البواكر ، تلك القصائد التي احتلت مكانتها في طليعة شعر المحدثين ، ووجدت من الكثيرين تقديراً لما انطوت عليه من الابداع والنبوغ والالهام . وهذا كله بصرف النظر عن الصحف اليومية والاسبوعية التي كان اهتمامها بالحركة الادبية عظيماً متزايداً ومنذ ذلك الحين اخذت ظلال هذا النشاط في التقلص والانكماش يوماً بعد يوم ، زد على ذلك ما احدثته الحرب من قلق في النفوس ، وتشريد في كيان المجتمع . وبالرغم من هذا كله كانت مجلة « الثريا » تعمل بجد متواصل في سبيل رفع المستوى الفكري ، وتنشيط الاقلام ، وتغذية المواهب ، ثم توقفت عن الصدور خلال الحرب . ولم تبق سوى صفحات ضيقة تخصصها الصحافة اليومية الاسبوعية « كالنهضة » و « الزهرة » للادب والشعر لترفه عن قرائها اثناء تلك المحن التي بلوها .

ومنذ تلك الايام المظلمة ، الى الآن لم نعد نرى من يهتم بالفكر من الادباء الشيوخ فقد ظلوا يغطون في نومهم لا يحركون ساكناً ، غير ان فئة قليلة من ادباء الشباب اظهرت بوادر طيبة ومحاولات ناجحة لخلق قيم ادبية جديدة تتمشى وروح العصر .

وعمل بعض من الادباء الناشئين على تأليف رابطة ادبية تدعو الى ادب تريده الحياة ودعوها باسم «رابطة القلم الجديد» ، اصدرت بياناً نشرته في اكثر الصحف المغربية ، ضمنته نهجها وسلوكها وهدمها .

عدد خاص عن فرحات حشاد

اصدرت الزميلة التونسية (الندوة) في الشهر الماضي عددها الثاني عشر من سنتها الاولى ، وقد كرسته للحديث عن الزعيم النقابي المرحوم فرحات حشاد . وقد شارك في تحرير العدد الاساتذة المبرزون : محمود المسعدي ، عبد الله فرحات ، مصطفى الفيلالي ، سالم الشفي ، الشاذلي القليبي ، الهادي العبيدي ، حاتم المكي وصفية فرحات بريشتيهما .



فرحات حشاد – بريشة صفية فرحات – عن الزميلة التونسية « الندوة »

وقد افتتح العدد بمقال : (شخصية فرحات حشاد) ونظنه للاستاذ محمود المسعدي ، ومما جاء فيه : « ... فقد عرف الضيق والفاقة ، وهو الصائد الشاب يجهد مع والده بشباكه وخيوط صيده ، فاذا هو لا يقف عند منزلته ولا يرضى بها ، ولا يرى فيها حكماً من القضاء لا مرد له . بل ينظر اليها نظرة واضحة رصينة ، على انها منزله من منازل الانسان وشأن من شؤونه ، قابل للتغيير ومظنة للتجاوز . فلا يلبث ان يتخلص منها طالباً لما هو أحسن ... »

الآداب تستفتي

— التتمة من الصفحة ٢٤ —

ان الموسيقى العربية من حيث كونها موسيقى ، وان الغناء العربي من حيث هو غناء انما هما التعبير عن العواطف الانسانية ، ولهما ما لسائر الفنون من قواعد واصول تتمشى عليها طبيعة كل فن جميل ويحددها منطقها الخاص .

غير ان الطبيعة الاقليمية هي التي تجعل العواطف تنفرد باذواقها وبذلك تختلف الاساليب في الفنون والآداب ، وليس الامر كذلك في العلوم التي هي حق مشترك بين جميع البشر .

فالموسيقى العربية تختلف باسلوبها عن الموسيقى الغربية اختلافاً ناتجاً عن الاختلاف بين العرب والغربيين في الشعور والروح والعواطف والاذواق . فنجد الموسيقى الغربية تعتمد قواعدها واصولها على الرمزية في التصوير لا على الاندفاعات النفسية كما هي طبيعة الموسيقى العربية .

على ان لكل منهما مزيتها الخاصة التي يستجابها الذوق ، هنا بمرآة من العاطفة وهناك بمرآة من العلم .

ثم ان النفوس لا تستهويها غير ما الفته حياتها التي استوحتها من مهدها فهي لا تشعر الا بشعورها الخاص ، فالغناء العربي انما هو صادر عن طبيعة الامة العربية ولذلك فهو ملائم لروحها المتوثبة لانه يحمل لها اسبـــاب التغني بعواطفها كافة وهو غني بجميع ما تصبو اليه اندفاعاتها النفسية فيه معاني البطولة المتوثبة وهواجس الحب والوله ومجالي الذكريات العاصفة ومرامي التطلع الى المستقبل .

لا ، ليس الغناء العربي حزيناً كما يزعمون ، بل هو كالروح العربية التي تنطوي على كل قابلية في الحياة ، تجد فيه كل نفس موضوعها ، تجد حزنها ان اعتورها الحزن ، وتجد فيه سرورها ان اكتنفتها مباهج الحياة ، وتجد فيه مجالاً للادكار بتاريخها المجيد ، ان استهواها جلال ماضيها وتجد فيه ميدانا واسعاً للتحفز ان مشت بها آمالها الى تكوين مستقبلها .

هذا هو الغناء العربي مسايراً للروح العربية لانها من طبيعة واحدة بل هو وحي لهذه الطبيعة .

غير اني لا اقصد ان الغناء العربي كامل لا يحتاج الى تصفية ، فليس هناك من شيء كامل لا حاجة الى تصفيته ، فالغناء العربي الحاضر بجملته امتداد للغناء العربي القديم ، ولكن حصلت فيه ترسبات جرفتها اليه امواج الزمن ، وفي هذه الترسبات ما هو صالح للحياة الفنية العربية ، وفيها ما هو مناف لعصرنا المتيد ، وربما كونتها حالة الخمول في العصور المظلمة اما بالركون الى اللهو السمج ، او البكاء على الماضي المجيد . فلذلك امسى الغناء في اكثره بين الميوعة وبين الحزن ، ذاك يمثل نفسية الطائفة الخاملة المنصرفة الى المتع الرخيصة ، وهذا يمثل دمعة الآسفين وحرارة اللوعة في نفوسهم . ثم ان هنالك مـــن الغناء والموسيقى ما نسمعه اليوم في الافلام السينمائية ، وهو فن مادي رخيص ، اقول : مادي لانه يسعى للمادة . واقول : رخيص لانه مخدر لنفوس النشء يصرفها عن وعيها المتوثب وعن التغني بكرامتها الى التغني بالمتع المبتذلة ، وفي هذا قتل لنفسية الشباب وهو في الوقت نفسه قتل للفن الغنائي .

وقد يدافع عنه بانه تجديد ، وما هو الا تمزيق ثم ترقيع ، وخلط شائن بين اذواق متنافرة لا تجمعها طبيعة ولا تلتئم على اسلوب .

اما الاقتراح الذي اوجهه فهو ان نهذب موسيقانا وغناءنا ونصفيهما من ذلك المكدر الذي لا يتفق والنفسية المعتزة بكرامتها .

وهنالك دعوة الى احياء الانغام العربية القديمة ، متوخين ما لها من اثر قومي ومن احتفاظ بالكرامة ، وما فيها من ملائمة للشعور العربي الناهض واني اشجع هذه الدعوة واسعى الى مؤازرتها ما استطعت .

واخيراً اقول : ان غريد الامة إن هو إلا مصباحها ، وهو متهيء الى من يوقده لينير سبلها الفنية ، ولا يمكن ان يوقد هذا المصبـــاح من يدعو الى اطفائه ، والمستقبل للامة العربية رغم الساعين الى احباط مجهوداتهـــا باسم احيائها .

جواب الاستاذ حكمة ممتاز (العراق)

اود قبل الاجابة على السؤال، موضوع الاستفتاء، ان احدد ما هو المقصود بتعبير (الموسيقى العربية المعاصرة) . إذ اعتقد بانه لا يوجد ما يسمى بالموسيقى العربية المعاصرة بالمعنى الفني الكامل لكلمة (موسيقى) . فاذا كان المقصود بها هو هذا التراث الموسيقي الشرقي المنتقل الينا من الجيل الماضي وهو عبارة عن هذه البشارف والسماعيات والادوار والتواشيح وما يماثلها فان هذه الموسيقى التي تغلب عليها الصنعة لا تعبر عن الروح العربية المتوثبة لانها عبارة عن خليط من الانغام التركية والفارسية والبدوية المقصود منها التطريب فقط دون ان تعبر عن اية فكرة او تصور اية عاطفة .

وأما اذا كان المقصود بها هو الغناء الشعبي المحلي لكل بلد من البلاد العربية مع ما يصاحبه من موسيقى فانني ارى ان هذا الغناء على درجة عجيبة مـــن البدائيـــة فهو بالتالي لا يصلح ان يكون ممثلاً للروح العربية المتوثبة . ويعود السبب في ذلك الى عاملين :

العامل الاول — عامل قديم يعود الى نشأة الغناء العربي القديم والنظرة التي كانت تنظر بها الفنون بصورة عامة . فقد ازدهر الغناء العربي وبلغ اوج القمة في العصر العباسي في عصور الخلفاء والامراء والسراة اي ازدهر وسط الخمرة والمجون . بينما نلاحظ بان الغناء الاوروبي والموسيقى الاوروبيـــة ترعرعا وتكامل نموهما بين اعضاء الكنائس اي وسط جو مشبع بالروحية والسمو بالنفس الانسانية الى اعـــلى مراتب الوجدان . فالغناء العربي اذن والموسيقى التي تصاحبه — لأنه لا وجود للموسيقى التصويرية الصامتة — ليس الغاية منها التعبير عن افكار سامية او تصوير لانفعال العواطف وانما غايته اطراب السكارى واثارة العواطف الحيوانية في المستمع بعكس الموسيقى الاوروبية التي تخاطب اشرف العواطف في الانسان وتعبر عن مختلف احاسيسه وآماله ومشاعره وتوجهه نحو الخير والجمال .

اما العامل الثاني فيعود الى الامية الفنية التي يتصف بها معظم الذين يتصدون للتلحين والتأليف الموسيقي . فمعظم اولئك الملحنين تنقصهم الدراسة الفنيـــة الكاملة للموسيقى فضلاً عن انعدام ثقافتهم العامة . بل ان الكثير من اولئك الذين يسمون انفسهم ملحنين ظلماً وعدواناً لا يعرفون كتابة (النوتـــه الموسيقية ، وانما هم يلحنون (شفهياً) — اذا جاز هذا التعبير — ثم يقصدون احد الموسيقيين الملمين بكتابـــة النوتة ويعزفون امامه ما ألفوا من الحان ليسجله لهم على اوراق النوتة !!.

فهذه الامية الموسيقية المعيبة وهذا الجهل الفني المطبق جعلا اولئك الملحنين يتجهون في الحانهم الى مجرد التطريب البدائي للسادة والاثرياء دون ان يحاولوا التعبير عن خلجات الشعب وآماله . ومن هنا كثرت سرقاتهم المفضوحة — ويدعونها ظلماً اقتباساً — من روائع الموسيقى الاوروبية . ومن هنا جاءت الحانهم لا تمثل الروح العربية المتوثبة للأنعتاق من ظلمات الماضي ومن سيطرة الاستعمار الغاشم . لأنها لا تصور او تمثل مشاعر افراد الشعب من عمال وزراع ومثقفين .

اجل ، فلا يمكن بحال من الاحوال ان تكون هذه الالحان الركيكة المائعة المليئة بالخنوثة والنواح معبرة عن آمال واحاسيس الشعب . فأين هي

صندوق البريد

الى الاستاذ الكبير سلامه موسى

ارجو ان اؤكد لكم يا سيدي ان مؤلفاتكم القيمة ، ولو انها لا تحظى بالرواج الذي تحظى بـه كتب كثـيرة اخرى ، كانت ولم تزل متعـة عقلية دسمة لكثيرين من صفوة مثقفي الجيل العربي المعاصر . وكتاباتكم تلاقي الاقبال الشديد من خاصة المتنورين العرب في جميع اقطارهم ، واني لواثق ان جميع ما وضعتم من تآليف سينال تقديراً اكبر ورواجاً اوسع كلما تقدمت بلادنا في مضمار الرقي وحصلت على مزيد من الحرية .

ولقد استفدت شخصياً واستفاد كثيرون غيري من مؤلفاتكم ومقالاتكم . كما لم نستفد من مؤلفات اي كاتب عربي آخر ، فقد كانت وما تزال تفتـح امامنا آفاقاً فكرية جديدة ، والذي يطالع مجموعات مقالاتكم في « في الحياة والادب » و « مختارات سلامه موسى » ، وقـد كتبت منذ حوالي ثلاثين عاماً يجد فيها متعة لا تقل عن المتعة التي يجدها في التعليقات والمقالات الـتي تظهر حالياً في « آخر ساعة » وفي « اخبار اليوم » . وبهذه المناسبة اود ان اقول ان كثيرين من المثقفين يبتـاعون هاتين المجلتين للاطلاع على ما تكتبونه فيها .

واود ان انوه بالاضافة الى الكتابين اللذين ذكرهما الاستاذ في جوابه بكتب « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » و « العقل الباطن » و « في الحب والحياة » الذي صدر في العام الماضي .

ولينعم الاستاذ الكبير بالاعجاب الذي يكنه له خاصة المتنورين العرب . وبتقديرهم العظيم لمؤلفاته وجهاده في سبيل حرية الفكر . وليثق ان صموده الطويل في وجه الطغيان والرجعية لم يذهب عبثاً بل جعل منه علماً من اعلام الفكر الحر في مجتمعنا العربي ، وزعيمـاً لطائفة كبيرة من المثقفين الذين يرمون الى تحطيم الغيبيات ، ونبذ التعصب ، ومقاومة الاستبداد .

الاردن – المفرق　　**سليمان موسى**

في أعدادنا القادمة

دراسات

الحركة الرومانسية في الادب والحياة	ابراهيم شكر الله
مشكلات الموسيقى العربية	توفيق سكر
الأساس الاجتماعي لأبطال المقامات	عبد النافع طليمات
ارض الملاحم	بلقاسم سعد الله القماري
الثورة الفكرية في ادب المهجر	حارث طه الراوي　الخ ...

قصص

شلن	احمد كمال زكي
المدينة القديمة	ايليا اهرنبورغ ترجمة رجاء النقاش
لاجئة	الدكتور بديع حقي
الطوفان	هاشم الامين
صرصار	راجي عنايت
الذبابة البشرية	سليمان فياض
واحدة تكفي	مصطفى ابو النصر
حريق ابن رشد	فاروق خورشيد　الخ ...

قصائد

النافذة المغلقة	ابراهيم محمد نجا
ودّعت ابي	كمال نشأت
مشردون	محمد العربي صمادح
قيصر والحرية	راتب الاتاسي
الذكرى	محمود فتحي المحروق
من كتاب الطفولة	محمد مهران السيد
صار لحداً مراراً	عدنان الراوي
المتسللون	سمير صنبر　الخ ...

الالحان والقطع الموسيقية التي تصور انفعال الشعب العربي نحو اكبر فاجعة اصيب بها في العصر الحديث ؟ واين هي الاناشيد والترانيم والاغاني التي تصف مأساة فلسطين الدامية ؟ وما الذي سيكتبه المؤرخون بعد مائة عام عند ما يؤرخون هذه الفترة ويجدون هذه الفاجعة التي شردت مليون انسان وخلفت وراءها الوف الضحايا والحوادث الدامية التي ليس لها من اثر في الموسيقى العربية المعاصرة ؟ ! فأين هذه الموسيقى المتخلفة من الموسيقى الاوروبية التي تسجل الحوادث اروع تسجيل وتعبر عنها اصدق تعبير كما فعل بتهوفن ازاء شخص نابليون وحروبه ، وكما فعل شوبان نحو كفاح بلاده بولنده ضد الغاصبين ، وكما فعل حديثاً الموسيقار السوفياتي (ديمتري شيستاكوفيتش) الذي خلد في سمفونيته السابعة حصار لينينغراد وصمودها امام جحافل الغزاة الالمان وقد وضع هـذا اللحن في لينينغراد وتحت وابل القنابل الالمانية فجـاء لحناً حياً ينبض بالبطولة والمجد ؟

ومجمل القول ان الغناء ومن ورائه الموسيقى غايته عندنا اطراب طبقة الاثرياء ومخاطبة العواطف البهيمية دون الالتفات الى مشاعر الشعب وآلامه وآماله وهو لذلك لا يمكن ان يعبر عن الروح العربية المتوثبة . وعلى ما تقدم استطيع ان ابني اقتراحاتي في الموضوع على النقطتين التاليتين :

١ – ان يتجه الفن العربي عامة بما فيه الموسيقى والغناء نحو الشعب ، اي أن يعبر عن عواطف الشعب وانفعالاته تجاه الحياة والواقع ، وان يكون الفن موجهاً للشعب ، اي أن يخاطب فيه اسمى عواطفه ويوجهها نحو اشرف الغايات .

٢ – تعميم الثقافة الموسيقية الفنية الصحيحة ، وهذا التعميم يشمل الموسيقيين كما يشمل الشعب نفسه ، فلا يكفي ان نثقف الموسيقيين الثقافة الفنية الكاملة ، وانما يجب ايضاً ان نربي ذوق الشعب لكي يستطيع ان يتفهم الفن الموسيقي الصحيح ويستطيع بالتـالي مواكبة الشعوب التي ضربت بسهم وافر في مضمار التقدم الفني .

واذا لم نأخذ بهذين الاقتراحين فان موسيقانا العربية – ان صح تسمية هذه الانغام المهلهلة موسيقى – ستبقى كما هي ، موسيقى ركيكة مفككة غايتها التطريب البدائي واثارة الغرائز الدنيا في المستمع . وبالتالي فانها لا يمكن ان تجاري وتعبر عن هذه الروح العربية المتوثبة المباركة التي تزداد يوماً بعد يوم لكي تبلغ ما نرجوه لها من عزة ورفعة وعلو شأن .

فهرست

العدد الثالث – آذار (مارس) ١٩٥٤ – السنة الثانية

بيانات ادارية : تدفع قيمة الاشتراك مقدماً – قيمة الاشتراك : في سورية ولبنان ١٢ ليرة ؛ في الخارج : جنيه استرليني ونصف او ٥ دولارات ؛ في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات ؛ في الارجنتين مئة ريال – توجه المراسلات إلى العنوان التالي : مجلة الآداب ، بيروت ص . ب ١٠٨٥ .

مطبعة دار الكتب - بيروت - بناية اللعازارية